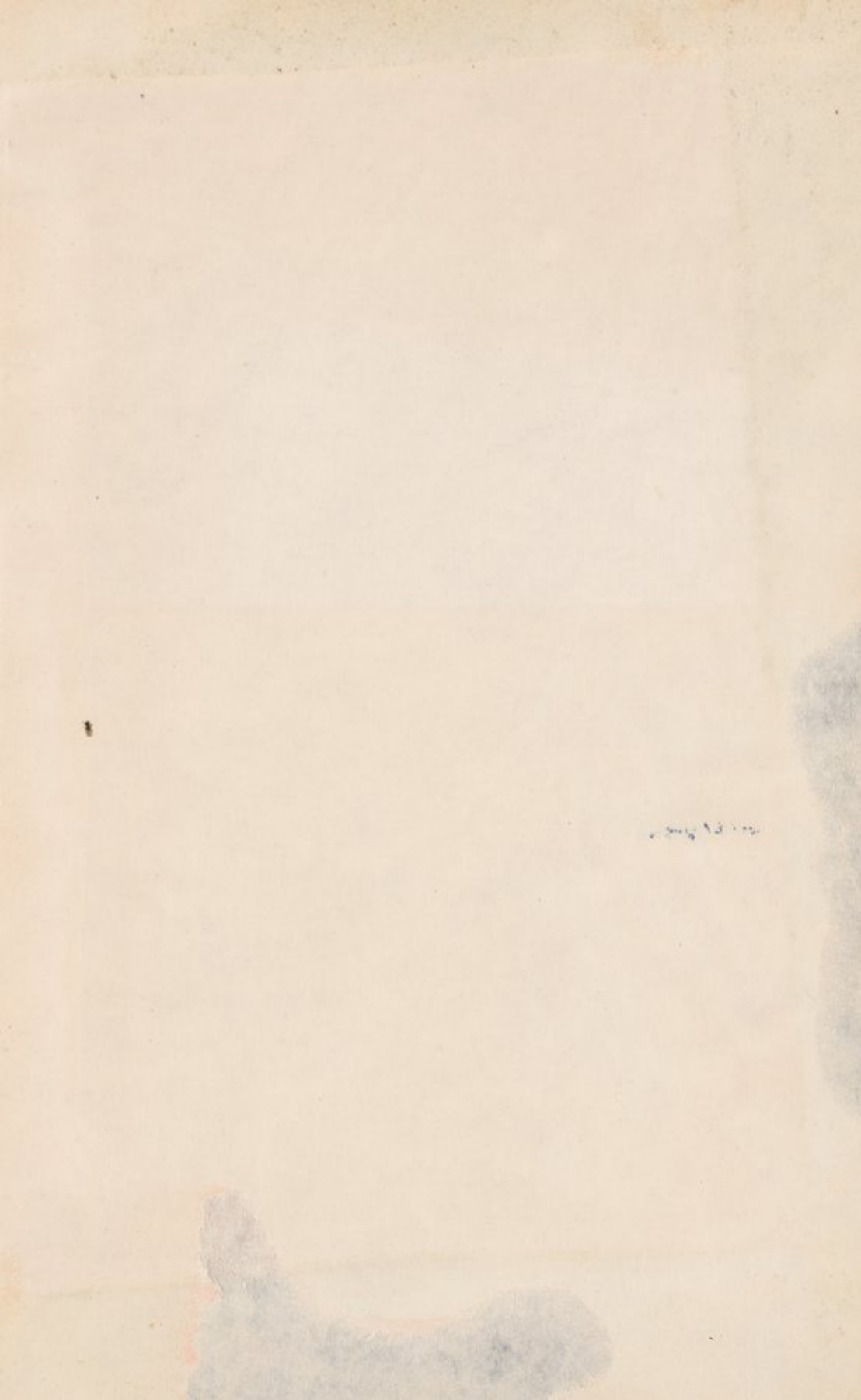




892.74:Sh522hA

شاکر، فواد

892.74
sh522hA

~~210 APR 66~~

حَدَائِقُ وَازْهَادُ

892.709
Sh532hA

بقلم
فؤاد شاكر

الطبعة الأولى

١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م



79633

المطبعة العلمية العالمية
مصر - عنزة وشبراخ

٣٨ (ب) شارع منصور بالقاهرة

مقدمة

بقلم سعادة الشيخ محمد سرور الصبان

بسم الله الرحمن الرحيم

طالعت — في فترات قصيرة — بعض هذه المحاضرات التي أُلقيت في ندوة الاسعاف بمكة ، كما استمعت إلى بعضها في فترات أخرى ، يوم كانت ندوة الاسعاف تقوم إلى جانب واجبها المادى في إسعاف العقول ، بواجبها الأدبى في تغذية الأرواح والأنفس بما تقدمه إليها من أفانين البيان ، وألوان المعرفة ، على مأددة الشقيف والتهذيب ، وعن طريق الندوة الاسعافية التي كانت في متناول كل يد — أو على الأصح — مرتاد كل زائر .

وليس لى ما أقوله حول هذا الموضوع وما كان له من أثر بارز في الحياة الأدبية ، وفي تقدير الناس له وإقبالهم عليه ، إذا عرف القارئ الكريم مبلغ صلتى بهذه الجمعية ، وما يقتضىنى الموقف من الحرج إذا أنا تورطت في الكتابة عنه ، وحسبى أن التاريخ قد سطره في سجله الخالد ، وترك للزمن وللناس ، القول الفصل ، والحكم الأخير .

أما الناحية التي لا يمكننى إغفالها ، فهي تقديرى الشخصى — بعد أن أغفلت الحديث عن جمعية الاسعاف وأعمالها الأدبية والمادية — للذين تفضلوا بالاستجابة لدعوة الجمعية فساهموا معها بما قدموه من عصارة أفكارهم فيما ألقوه من المحاضرات . وللذين أرهفوا آذانهم في إصغاء وإقبال . من جمهرة الأدباء وغيرهم من الشعب العربى السعودى ، فأقبلوا على الاستفادة من هذه المحاضرات .

وثمة ناحية غيره هذه وتلك ، يقتضي الحق الصريح أن أسجلها لرجل من أكرم الرجال نفساً عملاً هو حضرة صاحب السعادة محمد طلعت حرب باشا - رحمه الله - الرجل الذي كان له فضل تأسيس هذه الجمعية - جمعية الإسعاف الخيرية - حيث سرنا على نهجه ، ونسجنا على منواله ، فكان له فضل البدء بما أسداه من المعونة المادية للجمعية وبما اقتفت من خطاه فيما بعد ، حتى قدر لها النجاح ، رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن أعماله في الخير أحسن الجزاء .

وإذا كان مؤلف هذا الكتاب ، يطمح إلى كلمة ثناء أسطرها له جزاء عمله هذا ، فنصبيه من ثنأى وتقديرى ، لا يزيد عن أنصبة زملائه الذين ساهموا في ندوة الإسعاف بمحاضراتهم ، إلا بمقدار ما بذل من جهد مشكور ومأجور ، في إبراز هذه المحاضرات سفرأ مقروءاً ، ذلك إلى جانب تقديرى الكبير المشفوع بالإعجاب إلى ماضيه الحفيل في خدمة الصحافة والثقافة في بلاده العزيزة ووطنه الكريم طيلة ربع قرن من الزمان ، خدمة صادقة يعرفها له إخوانه الصادقون ، ويقدرونها له حق التقدير وما كان له من فضل في إنتاجه الأدبى والثقافى أفاد بلاده ومواطنيه أياً إفادة .

أسأل الله التوفيق للجميع ، وأن يزيد في سعادة هذا الوطن وأبنائه ، تحت رعاية حضرة صاحب الجلالة مولاي الملك المعظم وأعضاء أسرته الكريمة .

محمد سرور الصبار

تعريف وإيضاح

عرفت المملكة العربية السعودية هذا الرجل، الذي امتدت أنامله العشر، إلى جميع مرافق الحياة فيها . وكان له فضل السبق إلى جميع أمورها وشؤونها ، فقد نهض سعادة الشيخ محمد سرور الصبان بإنشاء جمعية للإسعاف الخيري في هذه البلاد ، في وقت هي أحوج ما تكون فيه إلى هذا المشروع الجديد عليها ، وتعهد جمعية الإسعاف بعطفه ورعايته ، حتى أثمرت وانتفع بقطافها عشرات الألوف من المسلمين سواء هذه من أهالي المملكة أو ممن يتوافد عليها من حجاج بيت الله الحرام ، ولا أريد في هذا المقام أن أفرد الحديث عن هذه الجمعية وأعمالها وما أدته من الخدمات ، ولا عن المجهودين المادى والأدبى اللذين بذلنهما هذا الرجل في التمسى بالجمعية حتى ضمن لها البقاء ثم التقدم ثم الخلود ، وإنما حسبي هذه الإشارة الاجمالية التي اقتضاها السياق لأخلص من ذلك إلى القول بأن مهمة مؤسس الجمعية لم تقف عند حد هذا الإسعاف المادى ، بل امتدت همته الى الناحية الروحية في عقول مواطنيه ليشبع أذهانهم من نههم طالما شكوا منه المسغبة ، ويروى عقولهم من ظمأ طالما شكوا منه الأوار . وذلك هو وجه الشبه بين إسعاف الأجسام وإسعاف النفوس !!

ففي غضون عام من الأعوام المنصرمة ، افتتحت الجمعية في مبناها جناحاً خاصاً دعت الناس إلى ارتياده ، ودعت معهم لقيفاً من رجال الفكر والفن والقلم ، ليحاضروا الناس فيما اكثرته أدمغتهم من ألوان الثقافة وأفانين المعرفة ، وإذا بالناس يفاجأون بين عشية وضحاها ، بتلك المائدة الشهية أو ذلك المنهل العذب ، وقد أقبلوا عليه بشغف ونهم كبيرين ، واختلفوا إلى الموارد والموائد ، ينهلون ويتذوقون .

لقد دعت الجمعية نخبة مختلفة الألوان ، مؤتلفة الأهداف ، من العلماء والأدباء والأطباء وغيرهم من رجال الفكر والقلم ، إلى إلقاء محاضرات كل فيما يختاره من

موضوعه في ندوة دار الإسعاف ، فكنا نستمع إلى الطبيب يوما ، وإلى العالم الديني يوما آخر ، وإلى الأديب ، وإلى رجل المال والاقتصاد ، وإلى غيره وغيره . وقد أفاده الناس من هذه المحاضرات أيما إفادة بما تسرب إليهم من ثقافة ووعي ، وما استساغوا من معرفة ، ثم استفاد الناس مرة أخرى حين قامت الجمعية بطبع هذه المحاضرات ونشرها في سلسلة من الكتب كانت توزع على الجميع ليزدادوا معرفة وعرفانا .

ولقد دعيت ، فيمن دعى ، إلى إلقاء محاضرات لم يحدد موضوعها ، فاخترت جانباً طريفاً من جوانب الحياة والأدب ، هو جانب الفكاهة في الأدب العربي وما كان من التندر بين رجال السلطان ورجال الأدب والقلم في سلسلة من عصور الأدب العربي ، وألقيت في هذا الموضوع جملة من المحاضرات ، لقيت من حسن القبول ما شجعتني ودفعني إلى تسجيلها في كتاب خاص لا تقديراً لها من جانبي بل إكبار للجمعية التي نهضت بعبء هذا العمل الأدبي الجليل ، وتسجيل لحادث جديد في تاريخ الحياة الأدبية ، هو وجود هذا المنتدى الأدبي الذي شع منه قبس وضاء من الهدى والثقافة والمعرفة ، بدد كثيراً من الظلمات التي كانت محيطة بالأدب العربي في المملكة العربية السعودية ، وأسفرته لكل ذى عينين .

هذا هو تعريف موجز لموضوع الكتاب أردت به التوضيح ، ولا يفوتني أن أسجل في ختامه تحية — وإن كانت متواضعة — أرجو بها أن أحيي حضرة صاحب السعادة الشيخ محمد سرور الصبان المستشار العام لوزارة المالية ، والوزير المفوض ، على ما حباه الله به من صفات قل أن تجتمع في رجل واحد ، من صفات الخلق الكريم ، وما منحه الله ، جزاء وفاقاً ، من مكانة رفيعة هو لها أهل وبها جدير ، وفي مقدمة تلك المنح الجزيلة التي يغبط عليها ويهنأ ، ثقة حضرة صاحب الجلالة مولاي الملك المعظم به ، وتقديره لشخصه ، وثقة جميع حضرات أصحاب السمو الملكي أمراء آل سعود ، ثم ثقة وتقدير وعطف حضرة صاحب المعالي الشيخ عبد الله السليمان وزير مالية المملكة العربية التي يعمل معه صاحبنا ليل نهار ، ويلازمه

أكثر أجزاء يومه ، بل مالى لا أقول ثقة جميع مواطنيه به ، ومحبتهم له ، وتقديرهم إياه ، وأنا على ما أقول جد صادق ، ويعرف لى صدق فى هذا جميع مواطنى وغيرهم وغيرهم من مسلمى الأرض .

إن الحياة الأدبية مدينة لسعادته ببعث نهضتها الحديثة فى نفوس مواطنيه وبما كان يحبوهم به من العطف الأدبى ، والتشجيع المادى ، وبما له من الأيادى البارة الرحيمة على كثير من غير مواطنيه ممن تعرضوا لعطفه ورعايته من المسلمين وحسب التاريخ أن يظفر بين فترات مختلفة من الزمن بأمثال هؤلاء الرجال الذين هم أعلام على الخير أو الانسانية

النُّدُرُ وَالْفِكَاهَةُ فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ

المحاضرة الأولى

التي أقيمت بجمعية الإسعاف الخيري بمكة

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

«أجوا هذه القلوب والتمسوا لها ظرف الحكمة ، فانها تمل كما تمل الأبدان ،
والنفس مؤثرة الهوى آخذة الهوى جاعحة إلى اللهو أمارة بالسوء ، مستوطنة
للعجز طالبة للراحة نافرة عن العمل ، فإن أكرهتها أنضيتها ، وإن أهملتها
أرديتها » .

لقد طبع الله النفس الإنسانية على لونين من الخير والشر ، وجعل السرور
والكدر ظاهرة خلقية تمثل ذينك اللونين في حياة الإنسان ، وتبرزهما من
ممكنهما في عالم الإحساس إلى مظهرهما في عالم الحياة ، فالسرور والكدر هما إذن
المظهر الحقيقي لتمثيل الخير والشر ، فاذا علمنا هذا علمنا أن النفس الإنسانية التي
طبعها الله على الخير والشر ، وخلق فيها وسائل التعبير عن إحساسها لا يمكن أن
تكون إلا كما خلقها الله تعالى فتستجيب لصدى أحاسيسها حسبما تملئ عليها المناسبات
فهى تضحك وتبتهج إذا شعرت بأسباب الضحك والإبتهاج ، وتبكي وتصطخب إذا
شعرت بأسباب الكدر والهموم .

وقد يجرنا السياق في سبيل التدليل على هذا الرأي إلى الإفاضة في الكلام عن
الخير والشر وعلاقتهما بالسرور والكدر لنظفر من وراء ذلك بتقرير نظرية مماثلة ،
وهي أن النفس الإنسانية بما تحملها في طبيعتها من عوامل الخير والشر ، يمكن
استجلاؤها بوضوح تام في مظهرها الذي تتلون به من السرور والكدر ، وأن
اللون الذي يتغلب على الآخر ويزحمه ويفحمه يكون هو المظهر الصحيح للجانب

الخفى فى تلك النفس . فالنفس المراحة الطروب هى التى تكون أميل إلى الخير
والنفس الشرسة الغضوب هى التى تكون أميل إلى الشر .

قلنا إن السياق يكاد يجرنا إلى الكلام فى هذه الناحية ، ولكن لنضع هذا
السياق جانباً فلا يجرنا ولا نجره ! وحسبنا ما ألعنا إليه منه لندخل إلى صميم
موضوعنا .

لقد عرف الناس التندر والفكاهة منذ زمن بعيد ، فهل فيكم من يستطيع أن
يحدد لى تاريخها الأصيل ، وهل فى مراجعكم التاريخية ما يحدد لى الزمن الذى عرف
فيه التندر وعرفت فيه الفكاهة .

أجل لقد عرف ذلك منذ عرف الإنسان النطق ، أى منذ خلق الله الإنسان ،
وبتعبير آخر ، منذ خلق الله أول خلقه من البشر ، وهو آدم عليه السلام فهو
لا شك أول إنسان خلقه الله ، وهو أول من تكلم فلا شك أيضاً فى أنه كان يضحك
ويتفكه ويتندر وعلى هذا درجت النفس الإنسانية جمعاء ، فلم ير الأنبياء ولا الرسل
غضاضة على أنفسهم فى الضحك والمزاح الشريف الحق استجابة لأصداء نفوسهم كلما
دعت المناسبات .

وبما أن الأمة العربية ، أمة ذات تاريخ حميد ، وكان لها من وقائعها وحروبها
وحوادثها وولعها بالشعر والأدب والعلوم ما يجعل التندر بين أفرادها وجماعاتها
ضرورياً بل طبيعياً ، كانت أحفل الأمم بالتندر والفكاهات ، لما هو فى نفوس
أفرادها من الساحة والرجاحة ، ولما هو واقع تحت سمعها وبصرها من الحوادث
والاجتماعات ، وخضوعاً لما تمليه الحياة الإجتماعية من استجابة لصدى حوادثها ،
فالحياة فى هذه الحالة أحفل بالتندر وأحفل بالفكاهات والمداعبات ، لأنها حياة
مليئة بالحركة والنشاط ، مليئة بالقوة والفتوة وكل تلك أسباب باعثة على المرح
والطرب ، والغبطة والإرتياح وإشاعة السرور فى النفس بصفة عامة ، لذلك فقد
حفل تاريخهم بما لا يحصى فى هذه الناحية أيضاً ، وبما أعتقد أنهم بزوا فيه غيرهم من
الأمم الأخرى بشأو بعيد .

ويكاد السياق يجزئى هنا أيضاً إلى الكلام عن أثر الشعر والشاعرية فى تكوين التندر والفكاهة ، بالنظر للعلاقة الروحية التى تربط بين الشاعر وبين الخيال ، وماللخيال من فضل بعيد فى حياة التندر والفكاهة والتنكيت ، ولكن هذا موضوع يستحق بحثاً مستقلاً ، فلا ترك ذلك السياق مرة أخرى فلا يجزئى ولا أجره . ولأسترسل فى موضوعى .

قلت إن العرب هم أحفل الأمم بالفكاهة والتندر لما كان فى حياتهم من المرح وما فى أخلاقهم من السماحة والرجاحة ؛ ودلىلى على ما أقول تلك المؤلفات الهائلة فى العدد والحجم ، التى تزر بها المكتبة العربية والتى تحمل إلينا قبساً من الأضواء ينير لنا الطريق عن ذلك الماضى البعيد الذى يمتد إلى أزمان الجاهلية وأيامها الأولى .

ودلىلى الآخر ، هو ما سأسرده على مسامعكم من خلاصة موجزة ، هى بمثابة القطرة من البحر ، أو الحبة من القطر ، مما حفلت به المراجع الأدبية فى هذا الموضوع ، وإلا فلو حدثكم شهراً كاملاً عن نفائس الفكاهات والتنادر فى الأدب العربى لما أملتكم ولما أكون قد وفيت الموضوع حقه من البحث والإحاطة والإلمام .

وأحب أن أقرر بين أيديكم حقيقة متواضعة وهى أن للذكاء الفضل الأول فى إيراد النكتة البارعة والدعابة البريئة ، والملحة الطريفة ، فتلك فنون ليست وليدة البلادة بل هى وليدة الذكاء ودقة الإحساس ، ولذلك لم يستطع كل إنسان أن يكون لبقاً بصناعته واختياره ، ولا يستطيع كل إنسان أن يتعمل الفكاهة ويصطنع الدعابة ، وهى والعياذ بالله فى هذه الحالة تتجاوز السخافة والمهوان إلى الإسفاف المزرى الذى يثقل النفوس ويقىها .

والنكتة الحلوة هى التى تأتى من عفو الخاطر وذلك يترتب أولاً على سرعة البديهة وحضور الذهن ومواتاة الخاطر وفيض النفس ، وصفاء القريحة ، وهذه الصفات

مجتمعة ، هي التي يتألف منها الشيء الذي نسميه الذكاء ولا يتجاوزها في شيء .
فإذا سلمنا بالذكاء الفطري للأمة العربية نستطيع أن نستخلص من ذلك دليلاً
على ما قلناه من تفوق هذه الأمة في الملح والتندر والفكاهة .

انتهت أيام الجاهلية وجاء الإسلام فانصرف المسلمون إلى شاغل أشغلهم وملك
وقتهم وتفكيرهم ، هو الإخلاص للإسلام ونشر الدعوة له ، والغزو في سبيله ،
ومكافحة أعدائه ، وتوطيد أركانه في مختلف البقاع والنواحي ، كان مألوفاً وطبيعياً
أن أهمتهم هذه المشاغل التي تستنزف الوقت وتستوعب الفكر الخلى ، وكان طبيعياً
ومألوفاً أيضاً أن لا تبقى لأحدهم هذه المشاغل الجديدة التي أخلصوا النية في استيعابها
وقتها يتندر فيه ويتفكه به ، ولكن طبيعياً ومألوفاً أيضاً أن لا تحول هذه المشاغل
مهما عظمت بين النفس الإنسانية وبين طبيعتها البشرية من المرح والدعابة ، فكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول إلا حقاً ، وكان كل صحابته الأدينين
وغير الأدينين يسيرون على سنته فيتبسطنون في المزاح والدعابة ولا يتخرجون من
الفكاهة الحلوة والتحلل البريء ،

وانتهى العصر الأول من عصور الإسلام بانتهاء زمن النبي الكريم وصحابته
الأوفياء ، وكان ما كان من نشوء الدولة الأموية والعباسية ، وتكوين الخلافة
الإسلامية ، ثم تأسيس الملك على صورة أخرى وفي بلاد غير بلاد الحرمين التي كانت
مبعث النبوة ومأز الهجرة ، فكانت تلك الأسباب كلها مؤهلات جديدة لتساوين
الحياة بلون آخر جديد يستمرىء المرح والدعابة ويستوعبها إلى حد أبعد من سابقه ،
فنشأت مجالس الملوك والأمراء والوزراء ، وحفلات بالشعراء والكتاب والمحدثين
والمنشئين ، وجاءت تلك الحياة بلون جديد يكاد يشبه من بعض نواحيه أيام الجاهلية
التي سبقت الإسلام من حيث التحلل ، مع بعد ما بينهما من الفوارق ومنذ ذلك

الوقت انتشرت الدعابة والفكاهة والتندر على صورة أخرى تختلف عما كانت عليه
بالتحلل الكثير ، ومجارة أهواء النفس التي يقول في وصفها صديقنا في المحدثين
الأستاذ الوزير خير الدين الزركلي :

والنفس جامحة نخذ ما اسطعت منها بالشكيم

ويقول فيها صديقنا في المتقدمين (البوصيري) :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفضمه ينظم

فاسترسل الناس مع أهوائهم وسايروها بما يشبع نهمهم ويروى ظمأها فامت
الفكاهة والدعابة نمواً عظيماً في ظل ذلك التحلل وظل أمرها معلقاً بين النشوء
والارتقاء ، أو التدهور والتخاذل وفقاً لمقتضيات الحياة الأدبية في كل عصر من
العصور التي مرت بعد صدر الإسلام وظلت على ذلك التأرجح إلى عصر النهضة الأدبية
الحديثة التي شملت بقاع الدنيا أخيراً ، والتي يصح أن يقترن تاريخها بولادة مولود
جديد كان له أبرز الأثر في نشوء الحياة الأدبية والثقافة الحديثة ، بما تنطوي عليه
من فكاهة ودعابة ، فما هو الشيء الجديد الذي يقترن بولادته التاريخ الحديث لنشوء
الحياة الأدبية والثقافة وما تشتمل عليه من المرح والدعابة والتندر والفكاهة ؟ !

ما هو هذا الشيء ؟ ! إنه الصحافة لقد وجدت الصحافة وعرفت في هذه الغضون
فحملت مشعلاً وضاء من مشاعل الثقافة العامة لتتير به السبيل أمام الحياة ، وكان
فيما حملته من نتاج الأذهان ومختلف ثمار القرائح أن قدمت لقراءها ألواناً شتى من
ألوان المعرفة والإفادة فضربت بكل سهم في كل فن ، فكان للفكاهة والتندر النصيب
الموفور بين صفحاتها إذ تغلبت النفس الإنسانية على حواجز التقيد وتمردت بقوتها
على كل تقليد ، وخلصت نجية إلى ما يلائمها من ألوان الحياة فخصت لكل لون من
ألوان معيشتها الضرب الذي يلائمه ويشبع هواه ، ومن هنا فتقت الحاجة الحيلة ،
فأنشئت إلى جانب الصحف اليومية الوقورة صحف أخرى فكان للفكاهة نصيبها

الموفور من حياة الصحافة ، كما كان لغيرها من العلوم والفنون نصيبه الموفور منها أيضاً .

فأنت إذ تجد صحيفة يومية للسياسة ، وصحيفة أسبوعية للأدب ، وصحيفة غير يومية وغير أسبوعية لأى فن من الفنون أو علم من العلوم تجد صحيفة متواضعة بل غير متواضعة عن الدعاية والتندر لها قراؤها وعشاقها ، وهم من الكثرة بحيث يمثلون عدداً ضخماً من المواطنين فى كل أمة ، فى مختلف بقاع المعمورة .

المحاضرة الثانية

ألقيت بجمعية الإسعاف الخيرية بمكة

أيها السادة :

تكلمنا في مقدمة القسم الأول من هذه المحاضرة أى في مقدمة المحاضرة الماضية عن الناحية التاريخية للتندر والفكاهة في الأدب العربى بشئ من التوضيح فى غير إسهاب ، حسبما اقتضاه المقام إذ ذاك ، ثم أوردنا طائفة من الملح والتندر والفكاهات بما اتسع له الوقت ، ولكن بعض ذوى البصر والبصيرة من خيرة مفكرينا الملمين بالأدب العربى من جميع نواحيه ، والواقفين على شتى أفانينه فى زواياه وخبائاه ، قد رأوا ما لهذا البحث من القيمة الأدبية باعتباره يمثل ناحية غير مطروقة من من نواحي الأدب العربى الفسيح المتسع الأطراف المترامى الأمداء ، فأمرؤنى أن أقدم تنمة للمحاضرة هى بمثابة القسم الثانى من موضوعه بعد أن أخذوا على أو على محاضرتى مأخذاً واحداً هو أنها قصيرة المدى بحيث لا يتفق قصرها ذاك مع فسحة موضوعها وترامى مداه وأنا قبل أن أطلع عليهم بمحاضرتى قلت لهم فى سياقها حرفياً : « إننى لو مضيت أحاضركم شهراً كاملاً فى هذا الموضوع لما أكون أملتكم ولا أكون قد وفيت الموضوع حقه من الإحاطة والإلمام » . ومن ذلك يتبين لكم أننى كنت متضامناً — ضمناً — مع أصحاب ذلك الرأى أو المأخذ إذ سرعان ما امتثلت ودلفت إليكم ببقية محاضرتى كما ترون الآن .

فلنتنه من هذه التقديمة لندخل إلى صميم الموضوع ، أو إلى تقديمة أخرى لا بد منها ، وهى مواصلة الكلام عن التندر فى الأدب العربى من ناحية غير الناحية التى تكلمت فيها فى المحاضرة السابقة لأهميتها فى موضوعنا .

فالتندر في الأدب العربي إذا أردت تفريره إلى أذهانكم في وسعي أن أضفه لكم بأنه شيء يشبه محيطاً من المحيطات التي ترونها على الخرائط أو تسمعون وصفها من الكتب ، فإذا كان الذهن لا يستطيع أن يتصور تحديد مدى واحد من هذه المحيطات بما ترمى إليه من ألوف المسافات والأميال والامداء ، فإنه كذلك ، عاجز عن أن يصور أو يلمّ بالتندر في الأدب العربي لصلة الشبه الوثيقة التي تجمع بين محيط الأدب ومحيط البحار .

وإنني لأتواضع لديكم فأقول تدليلاً على ذلك أن لدينا عشرات من المجلدات الضخمة ولا أقول مثاتها حفل بعضها بالتخصص في الكلام عن التندر في الأدب العربي ، وعن أيام العرب في جاهليتها وإسلامها وحفل بعضها الآخر بما نثر بين صفحاته الواسعة المتعددة من فتات هذه المائدة إذ تجد بين كل بضع صفحات ما يقتضيه السياق من التندر والفكاهة فمن هذه المؤلفات جميعها يتألف ذلك المحيط الأدبي الذي شبهناه بالمحيط المائي .

فلئن ظن بعض الناس أن الذي أوردته في محاضرتي السابقة أو أن الذي سأورده في محاضرتي الآن يمثل الجانب المهم مما حفل به الأدب العربي من التندر ، فقد ظن خطأ ، إذا أنني لزمّت جانباً واحداً من جوانب هذا المحيط ، وهو الجانب الذي يلائم موضوعي الذي أتكلم فيه ، فقد قصرت حديثي على « التندر والفكاهة » ومن هذا الترادف يتبين القصد الذي ذهبت إليه وهو الفكاهة أي الجانب الفكاهي من التندر وحسب ، وما قصدت التندر إطلاقاً لأن ذلك يجرنا إلى محيط آخر أبعد مدى من هذا « المحيط الهادي » الذي أنا فيه .

هذه هي الملاحظة التي أردت أن أسجلها إنصافاً للأدب العربي وصوناً لحقه من أن يتطرق إلى أذهان بعض المستمعين إنني بمحاضرتي مثلت الجوانب العامة للتندر في الأدب العربي ، وهو ما لا يدخل تحت الطوق في محاضرة عاجلة كهذه .

ثم لا بأس من أن أزيد الموضوع إنصافاً بتسجيل كلمة عابرة عن التندر بصفة مطلقة في الأدب العربي فنقول عنه أنه واحدة من الدعائم التي قامت عليها الحياة الأدبية في الأمة

العربية ، وأنه في مجموعه يؤلف الكتلة التي تمثل أرفع درجة في مكارم الأخلاق
ويقدم أبرز صورة صادقة لمجموعة من الصفات العربية التي عرف بها العرب وكانت
علماً عليهم وطابعاً لهم ، ونحن لم ندخل ذلك القسم في موضوعنا لأنه وإن كان يلتقي
معه من طرف ، فهو معه من جانب آخر على طرفي تقيض ، لما فيه من الجد المحض
ولما في موضوعنا من الفكاهة المحضة .

وحسب التندر في الأدب العربي أن يكون كما وصفنا دعامة لمكارم الأخلاق
بأوسع معانيها ، لما هيأته له الأسباب من أن يكون كذلك وللمناصب الخصبية التي
نبت فيها وترعرع تحت ظلها ، فهو لم يكن تندرّاً بين سوقة ورعاع ولكنه نبت
وترعرع في مجلس النبي وصحابته الأكرمين ، ثم الخلفاء الراشدين من بعدهم ، ثم في
مجالس ملوك المسلمين ، وبين الوزراء وكبار رجالات الدول الإسلامية ثم قادة الأقطار
في مختلف تلك العصور من الكتاب والشعراء وأئمة البيان وزعماء الفصاحة والبلاغة
والرواية ، فقد كان يقع التندر في هذه المجالس ، فلا تمر واحدة منها دون أن تحمل
في مبناها جانباً من جوانب البلاغة والفصاحة ، وتحمل في معناها جانباً من الجوانب
القيومية لمكارم الأخلاق ، وعلى سبيل الإجمال والاشارة ، لا التفصيل بالعبارة ، أذكر
لكم أن ذلك التندر كان يشتمل مثلاً على فضائل الكرم والشجاعة والصبر والحلم
والعفة وحسن الخلق وكريم الرضى وقبول الاعتذار وطلب العفو بعد المقدرة
وتوضيح معاني البذل والسخاء وذم البخل والشح ، والحض على المعروف والنهي عن
المنكر ، ومجانبة الهوى ، والاعتصام بالله وحقوق الأصدقاء والرحمة بالضعفاء وحرمة
الجيرة ، وصلة الرحم ومراعاة ذوى القربى وإيتاء الحقوق بصفة عامة ، وما إلى ذلك
من النظائر التي يضيق النطاق عن حصرها وعرضها .

أفليست هذه هي مكارم الأخلاق بأوسع معانيها ؟ ! ثم أليست هذه هي بعض
الجوانب التي يشتمل عليها التندر في مختلف عصور الأدب العربي فما لنا لا ننصف
هذا الجانب من التندر بتقرير مزاياه التي هي وإن كانت خارجة عن نطاق بحثنا
الأصيل فهي ليست عليه بالمتطفل الدخيل !

واليكم فيما يلي ، مآروته لنا صحف التاريخ على ألسنة الكبراء والعلماء والأدباء ،
وما حفلت به مجالسهم ، ومنتدياتهم : —

ولدت فأنجبت

خاطر ، رجل على أن يقوم إلى عمرو بن العاص وهو يخطب . فيقول له أيها الأمير
من أمك ؟ ففعل ، فقال عمرو أمي هي النابغة بنت عبد الله أصابتها رماح العرب
فبيعت بسوق عكاظ فاشتراها عبد الله بن جدعان فوهبها للعاص بن وائل ، فولدت له
وأنجبت ، فان كانوا جعلوا لك شيئاً خذوه !!

ثلاثة مجانين

دعا أحد الولاة ، مجنونين ليحركهما ويضحك منهما ، وبعد أن تندر برهة
عليهما ، وعلى ما يقومان به من مضحكات أمر بضرب عنقيهما ، فالتفتا إليه وقال
أحدهما للآخر ، كنا مجنونين ، فصرنا ثلاثة !!

ثمانين بمائة

كان إبراهيم بن هرمة — مغرمًا بالشراب — وقد أقام عليه الحد عامل المدينة
فلما ضاق ذرعاً بذلك ذهب إلى المهدي — أمير المؤمنين — ليحتال عليه في ذلك ،
وألقى بين يديه قصيدة يمدحه بها ، فأعجب المهدي بشعره وقال له سل حاجتك !!
قال تأمر لي بكتاب إلى عامل المدينة أن لا يحدثني على شرب الخمر ، فقال له ويلك
كيف تأمر بذلك ، وقال لوزرائه ماذا تقولون في حاجة ابن هرمة وما عندكم من
التلطف : قالوا يا أمير المؤمنين إنه يطلب ما لا سبيل إليه ، قال المهدي إن عندي
حيلة له ، اكتبوا إلى عامل المدينة من أهلك بابن هرمة سكراناً فاضرب ابن هرمة
ثمانين جلدة ، واضرب الندي يأتيك به مائة .

فكان ابن هرمة إذا مشى في أزقة المدينة سكراناً يصيح بأعلا صوته قائلاً : من
يشترى ثمانين بمائة ، فكان رجال الشرطة يتجنبونه .

دماء كلاب المسلمين

كان الربيع العامري والياً باليمامة ، فجيء له بكلب عقر كلباً فقضى له بالقصاص ، فقال أحد الحاضرين من الشعراء :

شهدت بأن الله حق لقاءه وإن الربيع العامري رقيق
أقاد لنا كلباً بكلب فلم يدع دماء كلاب المسلمين تضيع !!

البصرة في دارك !

دخل ربيعة بن عقيل اليربوعي على معاوية ، وقال له أعني يا أمير المؤمنين على بناء دارى ، فقال له معاوية وأين دارك ؟! قال هى بالبصرة وهى أكثر من فرسخين طولاً فى فرسخين عرضاً !! فقال له معاوية أدارك فى البصرة ، أم البصرة فى دارك ؟!

كبد حمزة

كان أحد القصاصين يحدث الناس بقتل حمزة ، فقال لما بقرت هند كبد حمزة استخرجتها وعضتها ولا كتبها ولم تزد ردها ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : لو ازدردتها لما مستها النار فرفع أحد الحاضرين يديه إلى السماء وقال اللهم أطعنا من كبد حمزة !!

ذئب يوسف

قال أحد القصاصين لمستمعيه ، إن الذئب الذى أكل يوسف إسمه كذا ، فقالوا له إن يوسف لم يأكله الذئب ، فقال لهم : فهذا اسم الذئب الذى لم يأكل يوسف !!

الجزاء المؤجل

كان عبد الله بن الزبير مشهوراً بالبخل ، دخل عليه اعرابي - مرة - وقال له : إعطنى شيئاً من مالك وأنا أقاتل عنك أهل الشام ، فقال الزبير : إذهب وقاتل ،

فان أغنيت أعطيناك ، قال الاعرابي : أراك تجعل روحى نقداً ، وتجعل
دراهمك نسيئة !

بكاء الأصمعى

عرض رجل على الأصمعى شعراً رديئاً ، فبكى الأصمعى ، فقيل له ما يبكيك ؟
قال يبكينى أن ليس لغريب عندكم قدر ، لو كنت بيلدى فى البصرة ، ما جسر رجل
أن يعرض على مثل هذا الشعر ، وأسكت دون تأديبه !!

ضيفاً على الضيف

نزل على أبى حفصة الشاعر ، رجل من الأعراب ضيفاً ، فأخلى له المنزل وهرب ،
مخافة أن يلزمه قراه فى تلك الليلة ، فخرج الضيف واشترى ما احتاج إليه من طعام
ثم رجع وكتب إلى صاحب البيت :

يا أيها الخارج من بيته وهارباً من شدة الخوف
ضيفك قد جاء بزاد له فارجع ، وكن ضيفاً على الضيف

صورة الشيطان

حكى الجاحظ ، قال ما أخجلنى قط ، إلا امرأة ، رغبت منى أن أضحبها إلى صائغ ،
فلما مرت بى عليه ، قالت له مثل هذا وتركتنى وانصرفت فبقيت مبهوتاً لا أفهم شيئاً ،
ثم سألت الصائغ فى ذلك ، فقال هذه امرأة طلبت منى أن أصوغ لها صورة الشيطان ،
فقلت لها لا أدرى كيف صورته ، فأنت بك إلى لأصوره على صورتك !!

اللهم احفظه !

كان عمر بن مهران ، كاتب الخيزران ، يأمر الوكلاء والعمال الذين معه ،
أن يكتبوا على الأختام التى يختمون بها مخازن الطعام ، اللهم احفظه ، ممن يحفظه !!

مكروب السل

أنشد رجل ، أبا عثمان المازني شعراً ، فقال له كيف تراه ، فقال أراك عملت عملاً طيباً في نفسك باخراجك هذا الشعر من جوفك ، لأنك لو تركته فيه لأورثك السل !!

أطيب وأخبث مضغة

قيل للقمان : إذبح لنا شاة وائتنا بأطيب مضغة فيها فأتاهم باللسان ، فقيل له : إذبح لنا أخرى وائتنا بأخبث مضغة ، فأتاهم باللسان أيضاً ، فقيل له وما ذلك ، فقال ما من شيء أطيب منه إذا طاب ، ولا شيء أخبث منه إذا خبث .

في الظلام الدامس

نزل ضيف على أشعب في بيته ، فلما كان منتصف الليل نادى أشعب ضيفه ، وقال له ناولني شربة الماء الموضوعة على يمينك ؟! فاستغرب أشعب من هذا الطلب ، وقال له أئجنون أنت ؟! فكيف أعرف جانبي الأيمن من الأيسر في هذا الظلام الدامس !!

طفيلي ظريف

دخل طفيلي ظريف على قوم يأكلون ، فقالوا له ما دعوناك ، فما الذي جاء بك ، فقال لهم إذا أتمتم لم تدعوتي ، وأنا لم آت لكم من تلقاء نفسي وقعت بيني وبينكم وحشة وجفاء !! فضحك القوم وأذنوا له على الطعام !

جواب مفحم

حضر أشعب على مائدة بعض الأمراء فقدم لآكلين جدياً مشوياً ، فانهال عليه أشعب وجعل يسرع في أكله بنهم وشراهة ، فقال صاحب الدعوة أراك تأكل الجدى

بغيط وحرد ، كأن أمه نطحتك ؟ ! فقال أشعب ، وأراك تشفق عليه ، كأن أمه
أرضعتك !

ذكاء صبي

أرسل رجل ولده الى السوق ، ليشتري رشاء للبئر ، وقال لابنه اشتر لنا رشاء
طوله عشرون ذراعاً ، فعاد الصبي - الذكي - من منتصف الطريق الى أبيه يسأله ،
عشرون ذراعاً طولاً في عرض كم ؟ فقال أبوه : في عرض مصيبي في ذكائك .

نكاح الأم !!

استعمل معاوية رجلاً من كلب ، فذكر عنده المجوس وعبد النار . فقال
الرجل : لعن الله المجوس ، إنهم ينكحون أمهاتهم ، والله لو أعطيت ألف درهم
ما نكحت أُمِّي !!

بر الوالدين !!

سئل رجل من الأعراب ، ما هو برك بأهلك ؟ فقال : والله ما أوجعتها
بالسوط قط !!

يؤمن البقاع

تعرض رجل لمعاوية ، في الطريق ، وسأله حاجة ، فقال معاوية ليس لك عندي
شيء ، فتركه الأعرابي ساعة ، ثم عاوده في مكان آخر فقال له معاوية ألم تسألني آنفاً
قال بلى ، ولكن بعض البقاع أيمن من بعض ، فأعجبه كلامه وقضى حاجته !!

اللهم أبدله

كان رجل يقود أحد العميان ، بالكراء ، وكان الأعمى يتعثر خلف قائده مرة
بعد أخرى فكان يقول اللهم ابدل لي قائداً خيراً منه ، وكان القائد يقول : اللهم
ابدل لي به أعمى خيراً منه .

اللات والعزى !

قال أعرابي لبعض العذريين من العرب ، ما بال قلوبكم كأنها قلوب طير ، تناث كما يناث (١) الملح في الطعام . أما تتجدون ؟ ! فقال إنا ننظر الى محاجر أعين لا ننظرون إليها .

وقال أعرابي لآخر من بنى عذرة ، ما لأحدكم يموت عشقاً في هوى امرأة يألفها ؟ ! إنما ذلك ضعف نفس ورقة وخور تجدونه فيكم يا بنى عذرة ، فقال له : أما والله لو رأيتم الحواجب الزجاج ، فوق النواظر الدعج ، تحتها المباسم الفلج ، لاتخذتموها اللات والعزى !!!

اعتذار !!

قال الأصمعي : رأيت أعرابياً يصلى في الشتاء قاعداً ويقول : —
إليك اعتذارى من صلاتى قاعداً على غير طهر ، مومياً نحو قبلى !!
فمالي يبرد الماء يارب طاقة ورجلاى لا تقوى على طى ركبتى
ولكننى أقضيه يارب جاهداً وأقضيكه إن عشت فى وجه صيفى
وإن أنا لم أفعل فأنت محكم إلهى فى صفعى ، وفى تنف لحيتى

سعة العافية !

لقى جميل^ه ، بثينة^ه ، بعد طول تهاجر كان بينهما طالت مدته ، فتعابا عتاباً طويلاً فقالت بثينة ، ويحك يا جميل أتزعم أنك تهوانى وأنت تقول :
رمى الله فى عيني بثينة بالقذى وفى الغر من أنبأها بالقوادح
فأطرق طويلاً يبكى ثم قال ، بل أنا القائل :
ألا ليتنى أعمى أصم تقودى بثينة لا يخفى على كلامها

(١) يناث يذوب .

فقال له ويحك ؟ وما حملك على هذه النكبة ! ؟ أوليس في سعة العافية ما كفانا جميعاً ؟ !

من مخني العقيق !!

قال الميثم بن عدي ، قال لي صالح بن حسان ، هل تعرف بيتاً نصفه أعرابي في شملة ، وآخره مخنث يتفكك من مخني العقيق ؟ ! فقلت لا أعرف . فقال أجلتك حولا لتذكره ، فقلت ولو أنك أجلتني حولين ما عرفت ! قال قول جميل : —

ألا أيها النوم ويحكموا هبوا ...

هذا أعرابي في شملة ، ثم قال : —

نسائلكم ، هل يقتل الرجل الحب ؟ !

كأنه والله من مخني العقيق ...

موتة مضحكة !!

هي ميتة بشار بن برد الشاعر الزنديق المعروف ، الذي كان مقذع الهجاء :
وكان قد هجا الخليفة المهدي بأبيات تناهت في القذع هي : —

خليفة زني بعماته يلعب بالدبوت والصولجان
أبدلنا الله به غيره ودس موسى في حر الخيزران

فدخل يعقوب بن داود وزير المهدي ، على المهدي وقال له يا أمير المؤمنين إن هذا الأعمى الملحد الزنديق قد هجاك ، قال بأي شيء ، قال بما لا ينطق به لسانی ولا يتوهم خيالي ، قال بحياتي عليك أن تنشدني ما قاله ، فقال له لو خيرتني بين إنشادي إياه وبين ضرب عنقي لآثرت ضرب عنقي !! خلف عليه المهدي بالآيمان المغلظة التي لا فسحة فيها أن يخبره ، فقال له أما لفظاً فلا ولكني أكتب لك ذلك ، وكتبه خطأ ودفعه إليه ، فلما قرأه الخليفة كاد ينشق من الغيظ ، وقام من فوره إلى البصرة بحجة النظر في أمرها ، وما كان وكده غير بشار ، فلما بلغ مكاناً اسمه البطيحة ،

سمع أذاناً في ضحى النهار ، فقال انظروا ما هذا الأذان ، فإذا بشار يؤذن سكراناً ، فقال له يازنديق ، يا عاض بظر أمه ، عجبت أن يكون غيرك هذا !! أتلهو بالأذان في غير وقت الصلاة وأنت سكران ؟!

ثم دعا بعامل شرطته وأمره بضربه بالسوط فضربه بين يديه على صدر الحراقة سبعين سوطاً أتلفه فيها ، فكان إذا أوجعه الضرب يقول « حس . حس » بمثابة الأنين من الضرب فقال بعضهم : أنظر الى زندقته يا أمير المؤمنين يقول « حس . حس » ولا يقول « باسم الله » فقال بشار وهو تحت الضرب ، ويلك !! أطعام هو فأسمى عليه ؟! فقال له آخر أفلا قلت الحمد لله ، فقال له ويحك !! أو نعمة هي فأحمد الله عليها !! إنما هي بلية أتوجع منها ! فلما اشتد عليه الضرب وأشرف على الهلاك ألقى في سفينة ، فقال ليت عين أبي الشمقمق ترانى حيث يقول :
إن بشار بن برد تيس أعمى في سفينة !!

وألقيت جثته بعد ذلك في موضع يعرف بالحرارة في البطيحة من أعمال البصرة .

في سبيل الله

أسر معاوية يوم صفين رجلاً من أصحاب علي بن أبي طالب ، فلما أقيم بين يديه قال : الحمد لله الذى أظفرنى بك وأمكننى منك ، فإن لا تقل ذلك فانها مصيبة ، قال : وأية نعمة أعظم من أن يكون الله قد أظفرنى برجل قتل فى ساعة واحدة جماعة من أصحابى ، ثم قال ، إضربوا عنقه ، فقال اللهم اشهد أن معاوية لم يقتلنى فيك ، ولا لأنك ترضى قتلى ، ولكنه قتلنى فى الغلبة على حطام الدنيا ، فان فعل فافعل به ما هو أهله . فقال معاوية قاتلك الله ، لقد سببت فأوجعت ، ودعوت فأبلغت ، ثم عفا عنه وأخلى سبيله .

يلحنون ويربحون

دخل أعرابى السوق ، فسمع القوم يلحنون ، فقال سبحان الله ، يلحنون ويربحون ، ونحن لا نلحن ولا نربح ، وولى هارباً !!

المركب الصعب

كان إبراهيم بن خالد المعيطى يغنى ، فدخل الحمام يوماً وابن جامع فيه ، وكان له « شئ » يجاوز ركبته فقال له ابن جامع ، يا ابراهيم ، أتبيع هذا البغل قال لا بل أحملك عليه يا أبا القاسم ، فلما خرج ابن جامع من الحمام رأى ثياب المعيطى رثة فأمر له بخلعة من ثيابه فقال المعيطى لو قبلت حملانى قبلت خلعتك !! وضحك ابن جامع وقال له : أخزأك الله ، ويلك ما تدع ولعك وبطالتك وشرك !!

بائع السنانير

أتى شريحاً القاضى قوم برجل ، فقالوا إن هذا خطب إلينا فسألناه عن حرفته فقال أبيع الدواب ، فاذا هو يبيع السنانير ، فقال أفلا قلت أى الدواب تبيع ، وأجاز ذلك !

حسن التخلص !

أخذ أبو العتاهية ثياباً من أحد تجار « باب الطاق » ببغداد ولم يدفع ثمنها فمر به يوماً فقال صاحب الدكان لغلامه وكان حسن الصورة ، إدرك أبو العتاهية ولا تفارقه حتى تأخذ ما لنا عنده ، فأدركه الفتى على الجسر وأخذ بعنان حماره وأوقفه فقال له ما حاجتك ؟! قال أنا رسول من التاجر بعثنى إليك لآخذ ما له عليك . فأمسك عنه أبو العتاهية وكان كل من مر فرأى الغلام ماسكاً به وقف ينظر حتى اجتمع خلق كثير ، فلما احتشد الجمع أنشد أبو العتاهية يقول : -

والله ربك إننى لأجل وجهك عن قفاك !!

لو كان فعلك مثل وجهك كنت مكتفياً بذلك !!

نفجل الغلام ، وترك عنان الحمار ورجع إلى صاحبه وهو يقول له : لقد بعثتنى إلى شيطان جمع على الناس ، وقال فى من الشعر ما أخجلنى فهربت منه ، فان كان لك حاجة بما لك ، فدونك وإياه !!

شدة الفراسة

قال الحرى ، حدثت عن عبد الرحمن الفضولى ، قال كان أمية بن الصلت جالسا مع قوم فمرت بهم غنم فشغت منها شاة ، فقال للقوم : هل تدرون ما قالت الشاة ؟! قالوا لا . قال إنها قالت لسخلتها مرى لثلايجىء الذئب فىأ كلك كما أكل أختك منذ عام أول فى هذا الموضع ، فقام بعض القوم إلى الراعى فقال له أخبرنى عن هذه الشاة التى شغت ، ألها سخله ؟ فقال نعم ، هذه سخلتها ، فقال أ كان لها غيرها ، فقال نعم ، كان لها عام أول سخله وأكلها الذئب فى هذا الموضع !!

سؤال وجواب

اشتهر « الدلال » الخنث بالمجون والدعابة ، ومن نوادره أنه صلى يوماً خلف الامام ، فقرأ « ومالى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون » فقال الدلال لا أدرى !! فضحك الناس وقطعوا الصلاة فلما قضى الوالى صلاته دعا به وقال له ويلك ألا تدع هذا المجون والعبث ، فقال له قد كان عندى أنك تعبد الله ، فلما سمعتك تستفهم ظننتك تتشكك فى ربك فليبتك !! فأجابه اذهب إلى لعنة الله ولا تعاود فأبالغ فى عقوبتك .

كثرة الزحام

جلس أشعب وامرأته يأكلان من قدر ، قال - أشعب - ما أطيب الطعام لولا كثرة الزحام ، فقالت امرأته أين الزحام وليس على الطعام إلا أنا وأنت ؟! قال وددت والله لو كنت أنا والقدر فقط .

كرم

دعى أشعب لتناول الطعام عند صديق له فقال أخاف أن يحضر ثقيل فيفقدنا لذة الطعام ولكن الصديق طمأنه ، وفيما كانا يأكلان إذا بالباب يطرق فوجف قلب أشعب وقال « ما أرانا إلا وقد وقع ما نكره » فقال صاحب المنزل لا تخف فهذا

صديق لى وفيه عشرة خصال حميدة قال أشعب هات . قال أولها أنه لا يأكل ولا يشرب ، فقاطعه أشعب قائلا التسع خصال لك ، دعه يدخل .

شحات

طرق أحد المتسولين منزلاً امرأة ولما فتحت الباب طلب أن تمنحه شيئاً يسد به رمقه ، فأمنت السيدة نظرها فيه وقالت إننى أذكر أنى رأيتك قبل الآن ألم تحضر فى العام الماضى أنت وشحاذ آخر وأعطيكم فطيرة ؟ فقال المتسول نعم يا سيدتى وأنا الذى لم أزل حياً بعد أكل تلك الفطيرة !!

من طرائف العى والحصر

صعد رجل المنبر فارتج عليه ، فقال أما بعد ، فوالله ما أدرى ما أقول ولا فيم أقحمتمنى ، أقول ماذا ؟! فقال بعضهم قل فى الزيت ، فقال الزيت مبارك كلوا منه وادهنوا ...

وصعد ثابت بن قطنه منبراً بسجستان فحمد الله وأثنى عليه ثم أصابه العى فنزل وهو يقول :

فإلا أكن فيكم خطيباً فأنى بسيفى إذا جد الوغى لخطيب !
فقل له ، لو قلتها وأنت على المنبر ، لكنت أخطب الناس .

وخطب يربوعى ، وبدأ خطبته بحمد الله ، حتى إذا ما وصل الى « أما بعد » فحصر وأرتج عليه ، ولم يدر ما يقول ، فهداه التفكير إلى أن يقول : أما بعد فان امرأتى طالق ثلاثاً لم أرد أن أجمع اليوم فمنعتنى !!

رقة المجاملة

لما ولى الخلافة أبو العباس السفاح ، قدم عليه بنو الحسين بن على بن أبى طالب وأعطاهم الأموال وقطع لهم الأقطاع ثم قال لعبد الله بن الحسن احتكم قال : يا أمير

المؤمنين بألف ألف درهم فاني لم أرها قط فاستعارها أبو العباس من صيرفي - كالكمعي -
وأمر له بها لأن بيت الملك لم يكن أنشئ ثم جرى لأبي العباس بجواهر مروان فجعل
يقلمها وعبد الله بن الحسن عنده فبكي عبد الله فقال ما يبكيك يا أبا محمد قال هذا
عند بنات مروان وما رأت بنات عمك مثله قط . فخباه السفاح بالجواهر ثم أوعز
إلى الصيرفي أن يبتاعها منه فاشتراها بثمانين ألف دينار .

مالك وللشعراء . . ! ؟

أنشد الشاعر الحميري في مجلس الخليفة المنصور الأبيات التالية :

إن الإله الذي لا شيء يشبهه أعطاكموا الملك للدنيا وللدن
أعطاكم الله ملكاً لازوال له حتى يقاد اليكم صاحب الصين
وصاحب الهند مأخوذاً برمته وصاحب الترك مأخوذاً على هون
وانطلق أمير المؤمنين يضحك من هذه المعاني وهذا الشعر ويصفق بيديه ويعلن
مظاهر إعجابه ، ثم تلفت المنصور إلى جواره فرأى القاضي سوار بن عبد الله ، مربداً
الوجه أسوده حنقاً وغيظاً . فسأله عما به ، فقال إن هذا الشاعر منافق ، يعطيك
بلسانه ما ليس في قلبه ، وراح يذم السيد الحميري والمنصور ينظر إلى الشاعر ليري
وقع ذلك من نفسه ومبلغ ما يدافع به عن شعره أمام القاضي والخليفة ! فارتجل
الشاعر الحميري أبيات عديدة يتهم فيها على القاضي يقول منها :

يا أمين الله يا منصور يا خير الولاة

إن سوار بن عبد الله من شر القضاة

فسر المنصور من تغاضب جليسه وعلاضحه وسروره فغضب القاضي وأخذ يلح
في الشكوى وأمر الخليفة أن يعتذر الشاعر إلى سوار بن عبد الله من بيته ولكن
القاضي اشتد في خصومته وألح في رفض الاعتذار والاصرار على الخصومة ، فرأى
الشاعر أن يعتمد على مداعبة أخرى أشد فتكاً وإن كانت في معرض الاعتذار وأراد
أن يذكره بأنه من قبيلة ابن العنبر ، فقال :

أتيت دعي^٣ بنى العنبر أروم اعتذاراً فلهم أعذر
 أعتذر الحر عما أتى إلى رجل من بنى العنبر
 فاشتد غضب القاضى مرة أخرى ، وأصرها له فى نفسه ، ثم أوعز إلى جماعة
 بأن تشهد على السيد الحميرى بأنه سرق ليقطع يده ، فبادر الشاعر بشكواه إلى الخليفة
 أمير المؤمنين فدعا بالقاضى سوار بن عبد الله وقال عزلتك عن الحكم إن قطعت يده
 فما تعرض له بسوء بعدها حتى مات .

لا يرجع فى عطائه

قال الأصمعى مررت بأعرابى يصلى بالناس وصليت معه فقرأ والشمس وضحاها
 والقمر إذا تلاها ، كلمة بلغت منهاها لن يدخل النار ولن يراها ، فقلت له على رسلك
 يا هذا فليس ما تقوله من القرآن فى شيء فقال علمنى ، فعلمته الفاتحة وسورة
 الاخلاص ، ثم مررت به بعد أيام فاذا هو يقرأ الفاتحة وحدها ، فقلت له أين السورة
 الأخرى فقال وهبتها لابن عم لى ، والكريم لا يرجع فى عطائه !!

خيـاط

قدم أعرابى على بعض أقاربه فى البصرة ، فدفعوا له ثوباً ليقطع منه قميصاً ،
 فدفع الثوب إلى الخياط فقدر عليه ثم خرق منه فقال له لم خرقت ثوبى ؟!
 قال لا يجوز خياطته إلا بتخريقه ! وكان مع الأعرابى هراوة متينة فشج بها رأس
 الخياط فرمى له الثوب وهرب فتبعه الأعرابى وهو ينشد :

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله فيما مضى من سالف الأحقاب
 من فعل علج جثته ليخيط لى ثوباً خفرقه كفعل مصاب
 فعلوته بهراوة كانت معى فسعى وأدبر هارباً للباب !
 أيشق ثوبى ثم يقعد آمناً كلا ومنزل سورة الأحزاب !

طيلسان بن حرب

أهدى ابن حرب الى أحد الشعراء طيلساناً قديماً خلقاً رثاً فقال فيه عدة مقطوعات اشتهر بها ، منها :

يا ابن حرب أهديتني طيلساناً رقيق من صحبته الزمان وصدا
طال ترداده على الرفو حتى لو بعثناه وحده لتهدى
ومنها : -

يا ابن حرب كسوتني طيلساناً يتجنى على الأنام الذنوبا
تغنى إحدى نواحيه صوتاً فتشقى الأخرى عليه الجيوباً

لعاب المنية

قال ابن قتيبة ، حدث جار لأبي حية النخري ، قال :
كان لأبي حية سيف ليس بينه وبين الخشبة فرق ، وكان يسميه لعاب المنية ،
قال أشرفت عليه ذات ليلة وقد انتضى سيفه وهو واقف على باب داره ، وقد سمع
حساً فصار يقول : -

أيها المغتر بنا ، والمجتري علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك ، خير قليل
وسيف صقيل ، هو لعاب المنية الذي سمعت به ، مشهورة ضربته ، لا تخاف نبوته ،
أخرج بالعفو عنك ، وإلا دخلت بالعقوبة عليك ، آن والله أن نملأ الفضاء خيلاً
ورجلاً ، يا سبحان الله ما أكثرها وأطيعها ثم فتح الباب ، فاذا كلب قد خرج !!
فقال أحمد لله الذي مسحك كلباً ، وكفاني نزالاً وحرباً !!

لأجل قبلة !

كان أبو نواس يختلف الى محمد بن هارون الرشيد من السيدة زبيدة ، وكان
الكسائي يعلمه النحو ، فقال أبو نواس إنى أريد أن أقبل هذا ، فقال الكسائي إن على

في ذلك وصمة وأكره أن يبلغ أمير المؤمنين ، فلما هده أبو نواس وأبى الكسائي
كتب في رقعة الأبيات التالية :

قل للأمير جزاك الله سالحة لا يجمع الله بين السخل والذئب
السخل يعلم أن الذئب آكله والذئب يعلم ما في السخل من طيب !
ثم دفعها الى أحد الخدم ليوصلها الى الرشيد فجاء بها الخادم الى الكسائي فلما
قرأها علم أنها من شعر أبى نواس وأنه لا يقلع عنه إلا بقضاء حاجته ، فلما جاء
أبو نواس في الغد وهو لا يشك في وصول رقعة الى الرشيد قال الكسائي ، ويحك ،
هذا أمر عظيم وأخاف أن يلحقني عنه مكروه ، ولكني سألتطف بك فعب عنا أياماً
ثم أحضر كأنك قادم من غيبة ، وسلم على ، وعلى محمد ، فاني أسلم عليك وأعانقك ،
وسلم عليك محمد ويعانقك ، فتكون قد قبلته من غير أن ينكر ذلك عليك أو على !!
وتبلغ حاجتك !

فلما قدم تحدث الكسائي أن أبا نواس كان غائباً ثم حضر فقام اليه الكسائي
وسلم عليه وعانقه ، وسلم أبو نواس على محمد وقبله وقال في ذلك : -

قد أحدث الناس ظرفاً يعلو على كل ظرف !
كانوا إذا ما تلاقوا تصاحفوا بالأكف !!
فأحدثوا اليوم رشف الخدود والرشف يشفي
فصرت تلثم من شئت من طريق التحفي !
وصار رشف وبوس وذاك يشفي ويكفي
واحمد لله هذا من بعض لهوى وقصفي !!

ما ضيعت من نفسك !!

دخل أعرابي على زياد ، فقال له ، إن « أئينا » هلك وإن « أخينا » غصبنا على
ميراثنا من « أبانا » ، فقال له زياد ويلك !! ما ضيعت من نفسك أكثر مما ضاع من مالك !!

مع الحجاج

قال الحجاج مخاطباً بعض المتخلفين : ما منعكم أن ترحلوا برحيل أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان قالوا له انزل يا ابن اللخناء ! فكل معنا . فقال الحجاج هيهات ، هيهات !! ذهب ذلك ، ثم أمر بهم فجلدوا بالسياط وطوفهم بالمعسكر وأمر بفساطيط روح بن زنباع فأحرقت بالنار ، فدخل روح على الخليفة شاكياً وقال يا أمير المؤمنين إن الحجاج الذي كان معي في شرطتي ضرب غلامني وأحرق فساطيطي !! فقال عليّ به ! فلما دخل عليه قال له ما حملك على ما فعلت ؟! قال الحجاج : أنت الذي فعلت ، إنما يدي يدك ، وسوطي سوطك ، وما على أمير المؤمنين إلا أن يخلف لروح بن زنباع عوض الفسطاط فسطاطين ، وبذل الغلام غلامين ، ولا ينكرني فيما قدمني له !!

فأطرق عبد الملك هنيئة ، ثم قال : سأفعل ذلك !!

صديق العائلة !!!

عرف الأخطل بشدة إقذاعه في هجائه وتحامله . ومن هذه الطرافة تجدد هذا الإقذاع ينقلب عليه حتى في ناحية التمازح فقد دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان وهو مغموم وعنده رجل كان يحسده الأخطل ويغار منه فقال الأخطل يا أمير المؤمنين عهدي بأبي هذا الفتي سيد مضر وسيد بني جشم وشيخنا الذي نصدر عن رأيه . فاهتز الفتي وطرب لهذا الثناء وقال يا أمير المؤمنين هو أعلم بنا قديماً وحديثاً قال الأخطل إن أباه أمرنا ذات يوم وقد نورت الرياض أن نخرج إلى روضة في ظهر بيوت الحى للقيولة فيها نخرجنا وانبسطنا لعباً وخرج الرجل منا بالحروف والجدى وقام الضيفان فاجتروا وشووا ودارت السقاة علينا فيينا نحن كذلك رعى أبوه فما تركنا في الحى روثة حمار إلا نشقناه بها فلم يرقأ دمه وقال لنا شيخ شدوا خصي الشيخ عصباً ففعلنا ذلك فرقأ دمه فوالله ما دارت الكأس إلا دورة حتى جاءنا

الصراخ من عند أمه أنها رعت فبادرنا إليها وما ندرى ماذا نعصب منها حتى خرجت روحها .

كل هذا وعبد الملك يفحص رجله في الأرض ضحكا والفتى يصيح ويقول كذب كذب إنه لا يعرفنا ولا نعرفه .

وكان قبل قليل يقول إنه يعرفنا قديماً وحديثاً وإنه صديق العائلة .

حسن الغناء !!

لما ولى زبراء المدينة وهو من بني هاشم أمر بأصحاب الملاحى فحبسوا وحبس عطرة فيهم وجلس ليعرضهم فحضر رجال من أهل المدينة شفّعوا لعطرة وأخبروه أنه من أهل المروءة والنعمة والدين فدعا به وأخلى سبيله وأمره برفع حوائجه إليه فدعا له وخرج فإذا هو بزملاءه المغنين أحضروا ليؤدّبوا فعاد إليه عطره وقال له أصلح الله الأمير أعلّ الغناء حبست هؤلاء قال نعم قال لا تظلمهم فوالله ما أحسنوا منه شيئاً قط ، فضحك الوالى وأخلى سبيلهم .

أبو العتاهية

كان أبو العتاهية شاعراً خصب التفكير وكان أول أمره يبيع الفخار بالكوفة فلما فضل أبو العتاهية على أبي قابوس النصرانى وبلغه ذلك قال له :

قل للمكنى نفسه متخيراً بعتاهيه
والمرسل الكلم القبيح وعته أذن صاغيه
إن كنت سرّاً مؤتني أو كان ذاك علانيه
فعليك لعنة ذى الجلال وأم زيد زانيه

ولما قيل له أتستم مسلماً قال لم أستمه وإنما قلت :

فعليك لعنة ذى الجلال ومن عينا زانيه

فقطها بلبس الثياب !

قال رجل لمؤدب ولده لا تخرجهم من علم إلى علم حتى يحكموه فإن احتكاك العلم في السمع وازدحامه في الوهم مضلة للفهم وكان ولده يلعب بالكلاب فكتب إلى معلمه :

ترك الصلاة لأكلب يسعى بها طلب المهراش مع الغواة الرجس
فإذا خلوت فعضه بملامة وعظنه وعظك للأديب الكيس
وإذا هممت بضربه فبدرة وإذا بلوت بها ثلاثاً فاحبس
وقال رجل لآخر يلعب بالكلاب :

أيها المبتلى بحب الكلاب لا يحب الكلاب إلا الكلاب
لو تعريت وسطها كنت منها إنما فقطها بلبس الثياب

الحديث المعاد!

قال ابن بسام يصف ثقيلًا :

ياطلوع الرقيب ما بين ألف ياغريمًا أتى على ميعاد !
ياركوداً في يوم صيف وغيم ياوجوه التجار يوم الكساد
خل عنا فإنما أنت فينا واو عمرو وكالحديث المعاد

عدالة الحجاج !!!

نظر الحجاج يوماً على المائدة إلى رجل وجأ عنق رفيقه ، فدعا بهما ، فقال للرجل علام وجأت عنق رفيقك ؟! فقال غص بعظم خفت أن يغصَّ به فيقتله فوجأت عنقه فألقى العظمة ، فسأل رفيقه فقال صدق . فدعا الحجاج بالطباخ وقال له : أتدع العظم في طعامك حتى يغص به الناس فقال إن الطعام كثير وربما وقع العظم في المرق فلا يزال به ، قال الحجاج تصب المرق على المناخل فتصفيه !! فكان يفعل ذلك .

التقرب إلى الله ...

أصاب عبد الرحمن بن مدين — وكان رجل صدق — بخراسان مالا عظيماً ففهر سبعين مملوكاً بدوا بهم وأسلحتهم إلى هشام بن عبد الملك ، ثم أصبحوا معه يوم الرحيل فلما استوى بهم في الطريق نظر إليهم وقال ما ينبغي لرجل أن يتقرب بهؤلاء إلى غير الله ، ثم قال لهم اذهبوا فأنتم أحرار ، وما معكم لكم .

قيمة الأبرة

سئل يحيى بن خالد عن سيد من سادات العرب البخلاء وكان في صحبته فذمه ، فقيل له وهذا ثوبك محرق أفلا يكسوك ثوباً وأنت في صحبته ؟!

فقال : جعلت فداك والله لو ملك بيتاً من بغداد إلى الكوفة مملوء إبراً وفي كل إبرة منه خيط وجاءه يعقوب يسأله منها إبرة ليخيط بها قميص ابنه يوسف الذي قد من دبر لم يفعل !!

وقد أخذ هذا المعنى محمد بن مسلمة فقال يهجو الأغلب :

لو أن قصرك يا ابن أغلب كله إبر يضيق بها فناء المنزل
وأذاك يوسف يستعيرك إبرة ليخيط قد قميصه لم تفعل ؟!

محاكمة شاعرين

جاء شاعران إلى بعض النحاة يتحاكان إليه في شعرهما فقالا له : اسمع شعرنا وأخبرنا بأجودنا . فسمع شعر أحدهما وقال ذاك أجود فقال له الآخر كيف تقضى وما سمعت شعري ، قال : ما يكون أنحس من هذا قط ولن يكون !!

كل ثقیل يغوص

ألف أبو العلاء صاعد الأندلسي كتاباً سماه الفصوص . واتفق لهذا الكتاب

أن سقط في نهر قرطبة ، فعلم العريف الشاعر به فأشدد بين يدي الأمير المنصور :
قد غاص في البحر كتاب الفصوص وهكذا كل ثقل يغوص
فضحك المنصور والحاضرون ، وأردف العريف قائلا :
عاد إلى معدنه إنما توجد في قعر البحار الفصوص

خاطب

خطب إعرابي إلى قوم : فقالوا ما تبذل من الصداق ؟ ثم ارتفع السجف عن
المرأة فرأى شيئا كرهه ، فقال لهم والله ما عندي اليوم نقد . وإنى لأكره أن
يكون على دين وولي هارباً .

هل من خلل

خطب معاوية بن أبي سفيان خطبة أعجبه . فقال أيها الناس هل من خلل ؟
فقال رجل من عرض الناس . نعم خلل نخلل المنخل . فقال وما هو ؟ فقال إعجابك
بها ومدحك إياها .

زقفيلم

قال أبو علقمة النحوي المشهور بالتعمر مرة لخدمه ، وقد استيقظ من النوم --
أصفت العتاريف ؟ فقال الخادم : زقفيلم . فقال أبو علقمة : وما زقفيلم ؟
فقال الخادم وما صفت العتاريف ؟ فقال قلت لك أصاحت الديكة ؟ فقال الخادم
وأنا قلت لك إنه لم يصح منها شيء .

هذا عملاك

قال ابن سيف : رأيت جحظة قد دعا بناءً ليبنى له حائطاً ، فحضر فلما أمسى

اقتضى البناء الأجر ، فماسكا . وذلك أن الرجل طلب عشرين درهما ، قال جحظة : إنما عملت يا هذا نصف يوم وتطلب عشرين درهماً ؟ قال أنت لا تدري إني قد بنيت لك حائطاً يبقى مائة سنة . فبينما هما كذلك وجب الحائط وسقط . فقال جحظة : هذا عملك الحسن ؟ قال : فأردت أن يبقى ألف سنة ؟ قال لا ، ولكن كان يبقى إلى أن تستوفي أجرتك .

دار جحا

صادف جحا جماعة من أصحابه فدعاهم لتناول الطعام ، فلما حضروا دخل الدار ليفسح لهم طريقاً وسأل امرأته ما أعددت من الماء كل ؟ فقالت لا شيء . فصعد إلى الطابق العلوى وأطل عليهم من النافذة وقال لضيوفه إن لدار جحا بايين دخل من أحدهما وخرج من الباب الآخر .

الفتوة

ذكرت الفتوة عند سفيان الثوري . فقال : ليست الفتوة بالفسق ، ولا الفجور ، ولكن الفتوة كما قال جعفر بن محمد : طعام موضوع وحجاب مرفوع ، ونائل مبذول ، وبشر مقبول ، وعفاف مرفوع وأذى مكفوف .

حصون من حديد

وقف بعض المجَّان على بشار بن برد وهو ينشد شعراً فقال له : أستر شعرك كما تستر عورتك فصفق بشار يديه وغضب وقال له : من أين أنت ويحك ؟ قال أنا أعزك الله من بأهله وأخوالى سلول وأصهارى من عكل . واسمى كلب باضاخ ومنزلى بنهر بلال . فضحك بشار وقال : إذهب ويحك ، قد علم الله أنك استترت منى بحصون من حديد .

لو رأيت

دخل أبو عتاب الجرار على عمرو بن هدا ب وقد كف بصره والناس يعزونه ،
فمثل بين يديه وكان كالجمل المحجوم وله صوت جهير فقال : يا أبا أسيد لا يسوءنك
ذهابهما فلو رأيت ثوابهما في ميزانك تمنيت من الله أن قطع يديك ورجليك ودق
ظهرك . وأدعى صلعتك !!

سقناه لبلد ميت

تغذى أبان مع هرون الرشيد خجاءوا بهريسة في وسطها سكرجة فيها من دهن
الدجاج : قال أبان :
فاشتهيت من ذلك الدسم ومددت يدي لأغمس فانقلب الدسم نحوى على الهريسة ،
قال الرشيد يا أبان أخرجتها لتغرق أهلها ؟! فقال أبان : لا يا أمير المؤمنين ولكن
سقناه لبلد ميت . . .
فضحك الرشيد حتى أمسك صدره .

لا تؤاخذنا

شوى لأبى الهاشمي دجاج في بيته ففقد فخذ من دجاجته فأمر فنودي في منزله .
من هذا الذي تعاطى فعقر ؟ والله لا أخبز في التنور شهراً أو يرد المفقود فقال له
ابنه الأكبر : يا أبت لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا .

كيف يتعلم الحلم

كان لجعفر الصادق عبد سيء الخلق . ف قيل له أما تأنف من مثل هذا العبد
عندك وأنت قادر على الاستبدال به . فقال : إنما أتركه لأتعلم عليه الحلم .

لا زلتم

اجتمع ناس من الشعراء بباب عدى بن الرقاع يريدون مساجلته . فخرجت لهم بنت صغيرة فقالت :
تجمعتموا من كل أوب ومنزل على واحد ، لازلتموا قرن واحد !!
فانصرفوا عنه ولم يهاجوه .

البخيل لا يسود

قيل لبعض العرب : أيسود فيكم الجبان ؟ قال : نعم . قيل له : أيسود فيكم البخيل ؟ قال : لا .

كشبان من السكر

مما حكاه ابن الجصاص الصوفي عن نفسه قال : دخلت على احمد بن روح الالهوامزي فقال : ما تقول في صفحة أرز مطبوخ ، فيها نهر من سمن وعلى حافتيها كشبان من السكر المنخول . فدمعت عيناى ، فقال ما يبكيك ؟ قلت أبكى شوقاً إليه جعلنا الله وإياك من الواردين بالغواصة والردادتين . فقال يا غلام قدمها . فجاء بها تفور . ثم قال لى ما الغواصة وما الردادتين ؟ قلت الغواصة الابهام والردادتين السبابة والوسطى فقال : أحسنت بارك الله فيك .

محمل

كان في البصرة رجل ثرى من أصدقاء بشار بن برد فكان يهديه أضحية سمينة في كل سنة . ففي سنة اقتصد وكيله واشترى أضحية هزيلة بعث بها الى بشار فكتب إليه بشار يقول :

ولولا استحائيك خضبتها وعلقت في جيدها جالجا

جاءتك حتى ترى حالها فتعلم أنى بها مبتلى
سألتك لهما لصياننا فقد زدتن فيهم عيلا
نخذها وأنت بنا محسن ومازلت بي محسناً مجحلاً

أعمى يقود بصيراً

سأل رجل بشاراً عن منزل رجل ذكره له . فجعل بشار يفهمه والرجل لا يفهم
فلما يئس منه بشار أخذ يده وقام يقوده الى المنزل الذى يبتغيه وجعل ينشد
فى الطريق :

أعمى يقود بصيراً لا أبالكما قد ضلّ من كانت العميان تهديه !!
وظلّ بشار يقود الرجل حتى وصل به إلى المنزل ثم دفعه داخله وقال له : هذا
هو المنزل يا أعمى !!

وهو نائم

حمل إلى سيف الدولة أموال على بغال فضاع منها بغل وعليه عشرة آلاف دينار
وجاء هذا البغل حتى وقف على باب الناشئ الشاعر فسمع حسه فظنه لصاً فخرج
إليه بالسلاح فوجده بغلاً موقراً بالمال فأخذها من عليه وأطلقه ثم دخل على سيف
الدولة وأنشده :

ومن ظن أن الرزق يأتى بحيلة فقد كذبتة نفسه وهو آثم
يفوت الغنى من لا ينام عن السرى وآخر يأتى رزقه وهو نائم
فقطن سيف الدولة للحادث ومنحه المال المذكور .

الكلب أحسن حالا منه !!

دخل الشاعر الناشئ الأحمى على سيف الدولة فأنشده قصيدة له فيه فاعتذر

سيف الدولة بضيق اليد يومئذ . ووعد بمضاعفة جائزته . فخرج من عنده فوجد على بابه كلاباً تذبح لها السخال وتطعم لحومها فعاد إلى سيف الدولة فأنشده هذه الأبيات :

رأيت يباب داركموا كلاباً تغذيها وتطعمها السخالا
فما في الأرض أدبر من أديب يكون الكلب أحسن منه حالا

ما شرك الصدق

امتدح ابن ميادة جعفر ابن سليمان . فأمر له بمائة ناقة . فقبل يده وقال والله ما قبلت يدى قرشى قبلك إلا واحداً . فقال أهو المنصور ؟ قال لا والله . قال فمن هو ؟ قال الوليد بن يزيد . فغضب جعفر وقال والله ما قبلتها لله تعالى ! — فقال والله ولا يدك ما قبلتها لله تعالى ولكن قبلتها لنفسى . فقال جعفر والله لا شرك الصدق عندى . أعطوه مائة أخرى .

كفنها معى

مات لوالد جحا جارية حبشية فبعثه والده إلى السوق ليشتري لها كفناً ، فأبطأ عليه ، فبعث غيره وجاء بكفن وحملت الجنازة . فجاء جحا وهو يعدو في المقابر ويقول هل رأيتم جنازة حبشية كفنها معى :

الكذب فى الأعمار

نظر أحد القضاة فى قضية امرأة وعزم على الحكم عليها بالسجن وقبل إصدار الحكم سألها كم عمرها فترددت قليلا فقال لا بأس أنا لا أريد أن أزيد عقوبتك بالاصرار على معرفة عمرك الحقيقى فالكذب فى الأعمار حق من حقوق النساء .

قضى شريح على رجل باعترافه فقال له الرجل : يا أبا أمية قضيت على بغير بيئة
فقال شريح أخبرني ابن أخت خالتك !!

تناقض الأحكام

جاء رجل إلى جحا يشكو إليه بأن الثور الأحمر الذي يملكه جحا قد نطح
بقرة الرجل في بطنها فقتلها . فقال جحا وما دخل صاحبه في الأمر ؟ فهذه دعوى
دم لا يطالب بها حيوان . فقال الرجل كلا لقد أخطأت بالإفادة فان بقرتنا قد بقرت
بطن ثوركم !!

فقال جحا هذه مسألة فيها نظر يجب أن نبحثها .

بلع الأمانة !!

قال أبو الحسن البغدادي في تقييد بغداد وكانت في عنقه غدة :
بلع الأمانة فهي في حلقومه لا ترتقي صعداً ولا تنزل

قل موتوا

وجد الحجاج بن يوسف على منبره مكتوباً : تمتع قليلا إنك من أصحاب
النار . فكتب الحجاج تحته : قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور .

لو هبت الريح

مر بعض أهل الكوفة ببشار بن برد ، وهو منبطح في دهليزه كأنه جاموس .
فقال يا بشار من القائل :

في حلقى جسم فتى ناحل لو هبت الريح به طاحا

قال أنا . قال ما حملك على هذا الكذب ؟ والله إنى لأرى أن لو بعث الله
الرياح التي أهلك الأمم الحالية ما حركتك من موضعك .

يا ليتها !!

مرض رجل من أهل النحو واللغة فعاده أحد أصدقائه . فلما استقر بالزائر المقام
سأل صاحبه عما يشكو منه من مرض . فأجابه حمى جاثية ، نارها حامية ، منها
الأعضاء واهية ، والعظام بالية . فاغتاظ الزائر من هذا التقعر اللغوى ونهض لفوره
منصرفاً وهو يقول : يا ليتها كانت القاضية فلست أهلاً للعافية .

محاسبة

عرف عبد المحسن الكاظمي الشاعر العراقي الكبير بالاسهاب وطول النفس
فلا تقل قصيدته عن مائة بيت كما عرف بسرعة النظم مع الاجادة ونظم يوماً قصيدة
جاء فيها البيت الآتي :

ورب زهر يخال خدّاً ورب خد يخال زهراً

ولما سمع الشاعر المعروف حسين شفيق المصرى هذا البيت حاكاه بمائة بيت على
وزنه وبطريقة رد الصدر على العجز منها :

ورب شبرا تكون جيزا ورب جيزا يكون شبرا

ورب بكرة يكون بعده ورب بعده يكون بكرا

ورب ظهر يخال بطناً ورب بطناً يخال ظهرا

ورب فشر يكون صدقاً ورب صدق يكون فشرا

الكلام الباردا !

روى أحد الحكام أن امرأة جاءت تشكو إليه عقوق ولدها فأمر الحاكم بضربه

علقة حتى أعلن توبته وانصرف الابن عائداً إلى منزله وهو في حالة يرثى لها . ولم تمض دقائق حتى عادت الأم إلى الحاكم تعتب عليه قائلة « أنا ما كان قصدي أنك تضربه كذا كان كفاية توبخه بكلمتين من كلامك البارد » .

الحساب العسير

قدم معاذ بن أيمن المدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أبو بكر إرفع حسابك . فقال معاذ : أحسابان حساب من الله وحساب منكم والله لا ألى لكم عملاً أبداً .

لم يكن مع اللص

سرق حمار أبي العيئة فتخلف عن صديقه أياماً ، فسأله حين حضر ما خلفك عنا يا أبا عبد الله ؟ قال : سرق حمارى . قال : كيف سرق ؟ قال : لم أكن مع اللص فأخبرك .

ليطمئن قلبي

دخل على الأصمعي بعض أصدقائه وطلب منه قرضاً . فقال : نعم وكرامة ولكن سكن قلبي برهن يساوى ما تطلب . فقال : يا أبا سعيد أما تثق بي ؟ قال بلى وهذا خليل الله كان واثقاً بربه وقد قال : « ولكن ليطمئن قلبي » .

دعاء بخيل

سأل رجل بنان الطفيلي أن يدعو له فقال :

اللهم ارزقه صحة الجسم ، وكثرة الأكل ، ودوام الشهوة ، وتقواء المعدة ، وامتنعه بضرس طحون ، ومعدة هضوم مع السعة والدعة ، والأمن والعافية .

أشعر الشعراء

يروى أن رجلاً قال لجرير : من أشعر الناس ؟ قال له : قم حتى أعرفك . فأخذ يده وجاء به إلى أبيه فوجده قد أخذ عنزاً له فاعتقلها وجعل يمص ضرعها . فصاح به أخرج يا أبت . فخرج شيخ دميم رث الهيئة وقد سال لبن العنز على لحيته فقال أترى هذا ؟ قال : نعم . قال : أتعرفه ؟ قال : لا . قال : هذا أبي أتدرى لم كان يشرب من ضرع العنز ؟ قال : لا . قال : مخافة أن يسمع صوت الحلب أحداً فيطلب منه لبناً . ثم قال : أشعر الناس من فاخر بمثل هذا الأب ثمانين شاعراً وقارعهم فغلبهم جميعاً .

سارق ساذج

سرق رجل يدعى موسى صرة تقود ودخل إلى المسجد يصلى فقرأ الامام الآية الكريمة : « وما تلك يمينك يا موسى » . فقال السارق : والله إنك لساحر ثم رمى الصرة وخرج .

بدينار

أراد أشعب أن يشتري قوساً فقال له صاحب القوس : إنه بدينار . فقال أشعب والله إذا كنت رميت منها طائراً ووقع مشوياً بين رغيفين ما اشتريتها منك بدينار .

مع الخليفة

دخلت بثينة وعزة على عبد الملك بن مروان فانحرف الى عزة وقال : أنت عزة كثير ؟ قالت لست لكثير بعزة ، ولكنى أم بكر عزة بنت جميل ، قال أتروين قول كثير :

وقد زعمت أنى تغيرت بعدها ومن ذا الذى يا عز لا يتغير !؟

تغير جسمي والخلقة كالتى عهدت ولم يخبر بسرك مخبر!!
فقلت لست أروى هذا ولكنى أروى قوله :

كأنى أنادى عزة حين أعرضت من الصم لو غشى بها المعصم زلت
صفوحاً فلا تلقاك إلا بخيلة فمن ملَّ منها ذلك الوصل ملت !

وانحرف إلى بثينة فقال : أنت بثينة جميل ؟! فقلت نعم ! قال ما الذى رجا فيك
جميل حين لهج بذكرك بين نساء العالمين ؟! قالت الذى رجا فيك الناس فجعلوك
خليفة !! فضحك الخليفة عبد الملك بن مروان ضحكا شديداً حتى بدأ له ضرس
أسود لم يره الناس قبل ذلك اليوم ، ثم منح بثينة ضعف ما منح عزة من الجائزة .

يخرج من بطونها

كان بشار جالساً في بيت المهدي والناس ينتظرون الأذن . فقال بعض موالى
المهدي لمن حضر . ما قولكم في قول الله عز وجل « وأوحى ربك إلى النحل
أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر » فقال له بشار : النحل التى تعرفها
الناس . فقال هيهات يا أبا معاذ . النحل بنو هاشم وقوله : « يخرج من بطونها شراب
مختلف ألوانه فيه شفاء للناس » يعنى العلم . فقال بشار أرانى الله طعامك وشرابك
وشفائك يخرج من بطون بنى هاشم فقد أوسعنا غثاثة . فغضب وشم بشار .

ثاقب اللؤلؤ

دخل يزيد بن منصور الحميرى على المهدي وبشار بين يديه ينشده شعراً يمتدحه
به . فلما فرغ أقبل يزيد بن منصور ، وكان فيه غفلة ، فقال يا شيخ ما صنعتك ؟
قال : أثقب اللؤلؤ . فضحك المهدي وقال : ويلك أتتندر على خالى ؟ فقال :
وما أصنع به يرى شيخاً أعمى ينشد الخليفة شعراً فيسأله عن صناعته .

قال صاحب بن عباد : خرجت من دار السلطان وأنا ضجر من أمر عرض لي فقابلني بعضهم وقال لي من أين أقبلت يا مولانا ؟ فقلت من لعنة الله . فقال رد الله غربتك . فاستحسنتم مداعبته فقلت ليتك تحق فقال مع ثلاثة آخر . يعني في الجنابة ، فأخجلني .

أسماء الكلب

دخل أبو بكر الخوارزمي على صاحب بن عباد في أول لقائه إياه فارتفع على الحاضرين في مجلسه من العلماء والأدباء ، والجماعة لا تعرفه فتساءلوا عنه وغازطهم ما رأوا منه . وقال أحدهم : من ذا الكلب فسمعه أبو بكر فالتفت إليه وقال : الكلب من لا يعرف للكلب مائة اسم ويحفظ في مدحه مائة مقطوعة . وفي ذمه مثله . فقال صاحب فأنت أبو بكر الخوارزمي . قال نعم عبدك !! وابن عبدك !!

محاورة مع الحجاج !!

قال الحجاج للغضبان ابن جربوع . إنك لسمين فقال من يك ضيف الأمير يسمن . قال لأحملنك على الأدهم فقال الغضبان من غيري يحمل على الأشهب والأدهم قال الحجاج أردت أن يكون حديداً قال لأن يكون حديداً خير من أن يكون بليداً قال الحجاج إذهبوا به إلى السجن . قال فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ، قالوا وما زال في السجن حتى بنى الحجاج مدينة واسط فقال جلسائه فكيف ترون هذه القبة قالوا ما نرى بها عيباً . قال سأبعث إلى من يخبرني فبعث إلى الغضبان فجاء وهو يرسف في قيوده فلما مثل بين يديه قال كيف ترى هذه فقال أصلح الله الأمير نعمت القبة حسنة مستوية قال خبرني بعيبها قال بنيتها في غير بلدك لا يسكنها ولدك ومع ذلك فإنه لا يبقى بناؤها ولا يدوم عمرانها وما لا يبقى ولا يدوم

كأنه لم يكن ، فقال الحجاج ردوه إلى السجن فقال أصلح الله الأمير قد أكلني الحديد ولا أطيق المشى قال احمלוه على الأيدي قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له بمقرنين . قال انزلوه قال رب أنزلى منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين قال الحجاج جروه فقال الغضبان وهو يحجر بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم قال الحجاج اضربوا به الأرض قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى . فضحك الحجاج وقال أطلقوه فقد غلبني هذا الخبيث .

خير الهدايا ...

حدث جعفر بن قدامه عن البرمكية ، قالت كانت لأم على بنت الرأس جارية مغنية يقال لها مكر وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناء وكان لها رفقاء من الكتاب والتجار وكان أبو يحيى اليكنجى يعاشرها فافتصدت يوماً فأهدى لها رفقاؤها الهدايا فبعث إليها أبو يحيى بثلاث سلال محتومة فإذا سلة فيها ماشى ومعها رقعة مكتوب فيها « الماشى خير من لاشى » ^(١) وفي الأخرى عصافير بأجنحتها فلما فتحها طارت ومعها رقعة مكتوب فيها « يا سيدتى أعتقت هؤلاء المساكين عنك ولو كان بدلها عبيد لأعتقتهم » ، وفتحت الأخرى فإذا هي فارغة وفيها رقعة مكتوب فيها ، « يا مولاتى لو كان عندى شيء بعثت بشيء ولكن ليس عندى شيء !! فلم أبعث إليك بشيء !! » فضحكوا جميعاً وبعثوا له بنصيب وافر من كل ما أهدى إليها ، وكتبت إليه أم على : أعطى الله عهداً إن لم تكن هديتك أملح من كل هدية وردت علينا .

عيادة مريض

مرض صديق لحامد بن العباس فأراد أن ينفذ إليه ابنه يعود فأوصاه وقال له

(١) الماشى فضلات البيت وفئات أشيائه .

إذا دخلت فاجلس في أرفع المواضع وقل للمريض ما تشكو فإذا قال كذا وكذا قل
سليم إن شاء الله . وقل له من يجيئك من الأطباء فإذا قال فلان قل مبارك ميمون
وقل له ما غذاؤك فإذا قال لك كذا وكذا فقل طعام محمود فذهب الإبن فدخل على
العليل وكان بين يديه منارة (أى ما يوضع فوقها السراج) فجلس عليها لارتفاعها
فسقطت على صدر المريض فأوجعته وقال للعليل ما تشكو . فقال متضجراً أشكو
علة الموت فقال سليم إن شاء الله . قال فمن يعودك من الأطباء قال ملك الموت قال
مبارك ميمون . قال فما غذاؤك قال سم الموت قال طعام طيب محمود .

الحق المركب

ذهب جحا يوماً إلى الطاحون بحنة وأخذ يكتال من جوالق الناس الموجودة
حفنات ويضعها في جوله . فقال له الطحان ما ذا تصنع . فقال أنا رجل بليد أصنع
ما يوحىه إلى عقلى فقال الطحان . إذا كنت بليداً فلماذا لا تأخذ من جولتك حنة
وتضعها في جوالق الآخرين ؟ فأجابه . أنا أحقق عادى ولو فعلت ذلك لكنت
أحق مضاعفاً .

الحجاج في النار

حلف رجل بطلاق امرأته إن الحجاج في النار . فأتى امرأته فمنعته نفسها فسأل
الحسن بن أبى الحسن البصرى . فقال لاعليك يا ابن أخى فإنه إن لم يكن الحجاج في
النار فما يضرك أن تكون مع امرأتك على زنا .

شاعر مغفل ووزير مغفل

صنع شاعر مغفل ، قصيدة في وزير مغفل واستأذنه إنشادها فأذن له فقال :
شجاع^ه لجاع^ه كاتب لا تب معاً كجلود صخر حطه السيل من عل

خبيص ليص مستمر مقوم كثير تبر ذو شمال مهذب
 بليغ ليغ كلما شئت قلته لديه وإن أسكت عن الأمر يسكت
 فطين لطين فيه فهم وعفة عليم بشعري كلما قلت يشهد
 كريم حليم قابض متبسط إذا جئته يوماً إلى البذل يسمح
 أديب ليب فيه فهم وعفة حصين لصين كل ذلك يفعل
 فسر الوزير من إنشاده وأمر له بمائة دينار معجلة .

سؤال وجواب

لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة خرج ليلة للحراسة فدخل المسجد وبيننا هو
 يحوسه في خلال الظلام عثرت رجله برجل نائم فرفع نصف رأسه وقال لعمر :
 أعمنون أنت ؟ فقال عمر — لا . فهم به الحرسى فقال له عمر ، صه ودعه ، إنما
 سألتني أعمنون أنت فقلت له لا .

فصاحة المنطق

لما دخل المهدي إلى البصرة رأى إياس بن معاوية وهو صبي وخلفه أربعائة من
 العلماء وأصحاب الطيالة وإياس يتقدمهم ، فعجب من ذلك وقال أما كان فيهم شيخ
 يتقدمهم غير هذا الحادث ؟ ثم التفت المهدي إلى الصبي وقال له كم سنك يافتي ؟
 فأجابه على الفور .

— سنى أطل الله بقاء الأمير سن أسامة بن زيد بن حارثة لما ولاه رسول الله
 صلى الله عليه وسلم جيشاً فيه أبو بكر وعمر .

فخجل المهدي واندھش وقال للفتى ، تقدم بارك الله فيك .

أبو نواس في مجونه

لما انصرف أبو نواس من (مصر) اجتاز بحمص فرأى كثرة خماراتها ،

وشهرة الشراب بها ، واستهتار شاربها ، فأعجبه ذلك ، فأقام فيها مدة مغتبطاً ، ومصطبحاً ، وكان بها خمار يهودى اسمه لاوى فقال لأبى نواس : كيف رأيت مدينتنا هذه ؟ وكيف رأيت حالنا فيها ؟ وإيما أفضل عندك هذه الأرض أم (قطر بل) ؟ فقال أبو نواس : لولا صفاء شراب (قطر بل) وركوبها كاهل دجلة ما كانت إلا بمنزلة حانة من حانات بلدكم .

ثم مر (بعانة) فسمع اصطخاب الماء في الجداول فقال : قد أذكرتنى بقول :
الأخطل :

من خمر عانة ينصاع الفؤاد لها بجدول صخب الآذى موار
فأقام فيها ثلاثة أيام يشرب من شرابها ثم قال لولا قربها من (قطر بل) ،
ومجاذبة الدواعى إليها لأقت بها أكثر من ذلك . فلما دخل إلى (الانبار) تسرع إلى
(بغداد) . وقال ما قضيت حق (قطر بل) إن أنا لم أبطىء بها ، فعدل إليها فأقام
فيها ثلاثة أيام حتى أتلف فضلة كانت معه من نفقته ، وباع رداء معلماً من أردية
(مصر) وقال عند انصرافه من (قطر بل) فى قصيدة :

طربت إلى (قطر بل) فأتيتهما بألف من البيض الصحاح وعين
ثمانين ديناراً جيداً أعدها فأتلقتها حتى شربت بدين
رهنت قميصى للمجون وجبى وبعث أزاراً معلم الطرفين
وقد كنت فى « قطر بل » إذ أتيتهما أرى أننى من أيسر الثقليين

واحدة تكفى

كتب عبد الله بن زياد إلى المنصور رسالة بليغة يسأله فيها حاجة . فسكت عنه المنصور وكان معروفاً بالبخل فبعث إليه ابن الزبير يتعجله برسالة أخرى يقول فيها :
« ما لأمر المؤمنين لم يرد على » فأجابه المنصور بكتاب يقول فيه : « قرأت كتابك فسحرتنى بلاغته وقوة أسلوبه وروعة بيانه ورأيت أن الغنى والبلاغة إذا اجتمعا فى رجل أبطراه لذلك أشفقت عليك ، ورأيت لك أن تكفى بالبلاغة !!

لا خير في الاسراف

كان الحسن بن سهل مبسوط اليد إلى حد الافراط في كل ما يتصل بأعمال الخير والبذل . فكتب إليه أحدهم يقول له أما علمت إنه لا خير في الاسراف ، فأجابه الحسن بقوله إنه إذا كان لا خير في الاسراف فإنه أيضاً لا إسراف في الخير !!

سيف الدولة وشاعر

قصد الشاعر الأحصى المعروف بالناشيء ، سيف الدولة الحمداني صاحب حلب فأنشده قصيدة يمدحه بها فاعتذر إليه سيف الدولة بضيق اليد يومئذ وقال له : أعذر فقد تأخر عنا حمل المال إلينا فاذا بلغك أن المال قد وصلنا فعد إلينا نضاعف لك جائزتك .

خرج الشاعر من عنده فوجد على باب سيف الدولة كلاباً تذبح لها السخال وتطعم لحومها . فعاد إلى سيف الدولة فأنشده أبياتاً منها هذان البيتان :

رأيت بيباب داركمو كلاباً تغذيها وتطعمها السخالا

فما في الأرض أدبر من أديب يكون الكلب أحسن منه حالا

فلاطفه سيف الدولة وصرفه . ثم اتفق أن وصل إلى سيف الدولة أموال من بعض الجهات على بغال فضاع منها بغل بما عليه وكان عليه مقدار عشرة آلاف دينار . وقذفت المقادير بهذا البغل إلى بيت الناشيء الشاعر فجاء حتى وقف على بابه ، فسمع الشاعر حسه في جوف الليل فظنه لصاً فاشتعل على سلاحه وخرج إليه يريد القبض عليه أو دفعه عنه فلما خرج وجد بغلا موقراً بالمالك فأخذ ما على البغل من المال وأطلقه ثم دخل بالأموال داره وأصلح أمره ثم قصد حلب بعد برهة فدخل على سيف الدولة ، وأنشده قصيدة له يقول فيها :

ومن ظن أن الرزق يأتي بحيلة فقد كذبت نفسه وهو آثم
يفوت الغنى من لا ينام عن السرى وآخر يأتي رزقه وهو نائم
فقال له سيف الدولة بحياتي عليك هل وصل إليك المال الذي فقدناه على البغل .
فقال نعم وقص عليه القصة . فقال سيف الدولة خذ المال بجائزتك . مبارك لك فيه .
فقال لسيف الدولة كيف عرفت ذلك . قال عرفت من قوله :
(وآخر يأتي رزقه وهو نائم) بعد قوله من قبل (يكون الكلب أحسن
منه حالا) .

غاية الجود

كانت لأبي المحلم عوف بن المحلم الشيباني وفادة على عبد الله بن طاهر إلى
(خراسان) وفي ذات مرة صادفه يريد المسير إلى الحج . فعادله في العمارية من
(مرو) إلى (الري) فلما قاربا (الري) سمع عبد الله بن طاهر ورشانا في بعض
الأغصان يصيح ، فأنشد عبد الله متمثلا بقول أبي كبير الهذلي :

ألا يا حمام الدوح إلفك حاضر وغصنك مياد فقيم تنوح ؟ !
أفك لا تنح من غير شيء فإنني بكيت زماناً والفؤاد صحيح
ولوعاً فشطت غربة دار زينب فيها أنا أبكي والفؤاد جريح
ثم أقبل على عوف فقال يا عوف أجز هذا . فقال عوف في الحال قصيدة ختمها
بهذين البيتين :

عسى جود عبد الله أن يعكس النوى فتضحى عصا الترحال وهي طريق
فإن الغنى يدنى الفقى من صديقه وعدم الفقى بالمقترين نزوح
فلما سمع عبد الله الشعر أخرج رأسه من العمارية وقال للسائق : الق زمام
البعير ، فألقاه فوقف ووقف جميع الركب . ثم دعا بصاحب بيت ماله فقال :
كم يضم ملكنا في هذا الوقت . فقال : ستين ألف دينار . فقال عبد الله بن

طاهر : إدفعها إلى عوف . فرجع صاحب بيت المال إلى عوف يحمل إليه الدنانير في أكياسها وسلمه إياها .

ولما استقر المال في حوزة عوف . قال له عبد الله : يا عوف لقد ألقيت عصا تطوافك فارجع من حيث جئت . فأخذ عوف المال شاكراً وقفل راجعاً . فأقبلت حاشية عبد الله بن طاهر حاتقة عليه يلومونه ويقولون له : أتجزئ أيها الأمير شاعراً في مثل هذا الموضع المنقطع بستين ألف دينار ولم تملك سواها . قال . إليكم عني فإنني قد استحييت من الكرم أن يسير بي جملي وعوف يقول (عسى جود عبد الله) وفي ملكي شيء لا ينفرد به .

وعاد عوف إلى وطنه فسئل عن حاله فقال رجعت من عند عبد الله بن طاهر بالغنى والراحة من النوى .

خلعة .. وخلعة

حدث الفصيح النحوى .. قال ، أطلع على بن الحسين الملقب بالشريف المرتضى من على روشنه فرأى المطرز الشاعر وقد انقطع شرك نعله وهو يصلحه ، فقال له : فديت ركائبك . وأشار إلى قصيدته التي أولها :

سرى مغرمًا بالعيش ينتجع الركبا يسائل عن بدر الدجى الشرق والغربا
على عذبات الجذع من ماء تغلب غزال يرى ماء القلوب له شربا
إلى .. قوله

إذا لم تبلغنى إليك ركائي فلا وردت ماء . ولا رعت العشا

فقال مسرعاً .. أتراها تشبه مجلسك وخلقك وشربك . وأشار بذلك إلى أبياته التي يقول فيها :

يا خليلي . من ذؤابة بكر في التصابي . رياضة الأخلاق

غنياني بذكرهم تطرباني وأسقياني دمعى . بكأس دهاق
وخذا النوم من جفوني فأنى قد خلعت الكرى على العشاق
فأفحم الشريف المرتضى من أنه خلع النوم . وهو ما لا يخلع ... !

الناس والبقر

(العتاني) شاعر من شعراء الدولة العباسية ولكنه من شعراء المهولين ذوى
الدروشة والدردشة ، ولكنه كشأن الشاعر الحكيم الفيلسوف المتبسط وكان من
حالاته هذه وإباحيته يأكل فى السوق ولا يبالي ويستريح لنفسه ما لا يتواضع العرف
على إباحته .

نظر إليه بعض الناس وهو يمشى وفى يده كسرة من الخبز يقضمها بأسنانه
البارزة التى لم تفهم معنى التواضع والانزواء فعاتبه أصحابه فى ذلك ، فقال أرأيتم
لو أكل الإنسان على مرأى من البقر ، أفيستحى الإنسان من البقر ، قالوا لا فما
هذا وذاك ، قال فأنا لا آكل إلا أمام البقر وإليكم الدليل ، وقصد بهم إلى ميدان
متسع من السوق وارتقى أقرب منصة - أى دكة - وصعد فخطب ووعظ فزاد اجتماع
الناس وتجمهرهم ؛ فلما حمى وطيس الوعظ والإرشاد واصل كلامه فقال - :

قد رويانا فى كثير من الأسانيد إن من بلغ لسانه أرنبه أنفه لم يدخل النار فلم
يبق أحد فى القوم إلا وأخرج لسانه إلى أرنبه أنفه لينظر هل يبلغ إليه أم لا ؟
وفى هذه اللحظة إلتفت إلى من حوله من خاصته فقال أليسوا بقراً ؟ !

ثقل الظل

زار ثقل من الثقلاء مجلس جماعة من أصحابه وكان صاحبنا هذا الخفيف ،
- مجازاً - مصاباً بالسعل والثقل إن صح هذا التعبير مجازة للوزن والقافية ،
فاستأذن من الحاضرين أن يسمحوا له بقفل النوافذ والباب اتقاء للبرد فأذنوا له

وقام فقفل النوافذ وراح إلى الباب ليقفله فلما وصل إليه صاح به صاحب المجلس .
وقال له نرجوك أن تقفل الباب من الخارج .

حالكم . . يوم أخذكم

قدم أبو الفرج الأصفهاني بهدية إلى أحد الكبراء فلما اقترب لتقديم هديته
لقى من عنت الحاجب ما أثاره فكتب إليه ما يلي :

حضرتكم دهرأ ، وفي الكم تحفة فما أذن البواب لي في لقاءكم
إذا كان هذا حالكم يوم أخذكم فما حالكم بالله يوم عطائكم ؟

لغة الخاصة !

كتب سعد بن محمد المعروف بحيص بيص الشاعر رقعة إلى أمين الدولة يطلب
منه « شيف أبار » وهو دواء للعين بالرسالة الآتية :

شيف أبار . أزكنت أيها الطبيب اللب الأسى النطاسى النفيس النقرس .
أرضيت عنك أم خنور . وسكنت عنك أم هوبر . . انى مستأخذ أشعر فى سنادى
رطباً ليس كلب شبوة . ولا كنعز المنصحة . ولا كنعز الحصب . بل كسفع
الزضيخ فأنا من التبشير إلى الفياشير . لا أعرف ابن سمير من ابن جمير . ولا أحس
صفوان من هام .

وتهم قرونك أن أرفع عقيرتى بعاط غاط إلى عاط ومياط . وجبار ودبار ومؤنس
وعروبة وشعار . ولا أبيض ولا أليص . ولا أعزتك ولا أسرندك . فبادرنى بشيف
الأبار النافع لعلتى النافع لعلتى .

فلما قرأ أمين الدولة رقعته نهض لوقته وأخذ حفنة شيف أبار وقال لبعض أصحابه
أوصلها إليه عاجلاً ولا تتكلف قراءة ورقته ثانية .

يستعفى من الشراب

كان ابن هند ضعيفاً عن احتمال الشراب . واتفق أنه كان عند أبي الفتح بن علي ابن أحمد كاتب قاموس ابني وشمكير فدخل أبو علي إلى المكان . وشهد ما بأيديهم من الكتب فأخذ مجلسه منهم وتناول معهم الطعام فلما فرغوا منه دعى إلى الشراب فكتب رقعة يقول فيها :

قد كفاني من المدام شميم صالحتني الإنهى^(١) وثاب الغريم
هي جهد^(٢) العقول سمى راحا مثلما قيل للديغ - سليم
إن تكن تسكن النعيم ففيها من أذى السكر والخمار جسيم
فلما قرأها ضحك وأعفاه من الشراب .

ذو القرنين

قال ابن نباته :

سلبت محاسنك الغزال صفاته حتى تحير كل ظبي فيكا
لك جيده ولحاظه ونفاره وكذا نظير قرونه لأيك

وقال بعض المحدثين في نفس الموضوع :

قالت لجارتها يوماً تعيرها قرنت زوجك والتقرين يفضحه
قالت أأتركة زوجاً بلا قرن أخاف زوجك ذوالقرنين ينطحه !

ذكاء الصبي

جلس أشعب وهو صبي مع قوم يأكلون . . فبكى فسأله :

(١) جمع نهية وهو العقل .

(٢) مجهدة العقل . وسميت راحا من تسمية الاضداد .

مالك تبكى ؟ فقال الطعام ساخن . فقالوا : فدعه حتى يبرد
فقال : أنتم لا تدعونيه !

عطية الملوك

وحدث مرة وهو صبي أيضاً أن كان والى الحجاز سائراً فى الطريق فسأله :
هل تعرف القراءة يا غلام ؟
فقال نعم . فسأله أن يقول شيئاً . فقال : إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً .
فسر الأمير من هذا الجواب وأعطاه ديناراً . . فرفض أشعب أن يقبل الدينار
فسأله الأمير عن سبب رفضه فقال أشعب : أخاف أن يضربنى أبى . . .
فقال الأمير : قل له إن الأمير هو الذى أعطاك الدينار . .
فقال أشعب : إنه لن يصدقنى . .
فقال الأمير : ولماذا ؟
فسكت الغلام لحظة ثم قال : لأن هذه ليست عطية الملوك . .

نعم الزوجة

أراد أشعب أن يتزوج امرأة فذهب إليها وقال : إننى سيء الخلق
فقلت : أسوأ منك خلقاً من أحوجك أن تكون سيئة .
وهنا صاح أشعب : أنت إذن امرأتى . . .

لماذا لا يدعوه

سأل أشعب صديقاً له بخيلاً : لماذا لا تدعونى أبداً إلى طعامك ؟
فقال الرجل لأنك شديد المضغ . . سريع البلع . . إذا أكلت لقمة هيأت
لك أخرى .
فصاح أشعب : جعلت فداك . . تريد إذا أكلت لقمة أن أصلى ركعتين ثم أعود
إلى ما بعدها . . !

ذكاء

كان أشعب يحمل بيضة يوماً فلقيه ابنه فقال له يا أبت أعطني هذه البيضة فنهزه والده بقوله :
ليست تسعها يدك .

حاجتان

سأل رجل أشعب أن يقرضه ويؤخره فقال هاتان حاجتان . . فإذا قضيت لك أحدهما فقد أنصفت
فقال الرجل : رضيت . .
فقال أشعب : أوخرتك ما شئت ولا أقرضك !

حجج قوية

قل أحد الأمراء مرة لأشعب :
ماذا تقول في الفالودج واللوزينج . . أيهما أطيب . . ؟
فقال يا مولاي لا أقضى بين غائبين .
فضحك الأمير وأمر باحضارها
فجعل أشعب يأكل من هذا لقمة ومن ذلك أخرى حتى قضى عليهما . . .
فقال يا مولاي . . كلما أردت أن أقضى لأحدهما أدلى الآخر بحجته . !

فسادها أرحم

نزع أشعب عند رجل يوماً فقدم الرجل أربعة أرغفة . . وذهب ليحضر له لحمًا فخمله وجاء فوجده حتى أكل الخبز فذهب وأتى بخبز فوجده قد أكل اللحم ففعل معه ذلك عشر مرات فسأله الرجل أين مقصدك ؟

فقال : الى الشام .

فقال : ولماذا ؟

فقال : بلغنى أن بها طبيباً حاذقاً لأسأله عما يصلح معدتى فانى قليل الشهية للطعام

فقال له الرجل :

إن لى حاجة إليك .

فقال أشعب : وما هى ؟

فقال الرجل : إذا ذهبت وأصلحت معدتك فلا تجعل رجوعك من هنا . .

ومات

كان أشعب جالساً مرة يقص على أحد الأمراء قصصاً مسلية وجاء أوان الطعام
فحضرت المائدة .. وكان أشعب قد بدأ يقص حكاية جديدة فقال :

كان أيها الأمير رجل . . .

فلما أبصر المائدة قد حضرت علم أن القصة ستلبيه عن الطعام نظراً لطولها :

فسكت فقال له الأمير : وما ذا يا أشعب ؟

فقال : ومات !

فى سورة المائدة

أم أشعب يوماً قوماً .. وكانوا يطعمونه الخبز والحل ولا يزيدون عليه ..
فصلى بهم يوماً الصبح فقرأ فى الركعة الأولى بعد الفاتحة يا أيها الذين آمنوا اتقوا
الله ولا تطعموا أئمتكم كأمحاً بل لحماً فإن لم تجدوا لحماً فشحاً .. فإن لم تجدوا شحاً
فبيضاً .. فإن لم تجدوا بيضاً فسمكاً .. فإن لم تجدوا سمكاً فلبناً .. ومن لم يفعل ذلك
فقد ضل ضلالاً بعيداً وخسر خسراناً مبيناً ..

وقرأ فى الركعة الثانية بعد الفاتحة :

يا أيها الذين آمنوا اطبخوا سكباً ولا تهمضوه تهميضاً ومن يفعل ذلك فقد
افتري إثماً عظيماً .

فلما فرغ من صلاته جاءوا إليه واعتذروا إليه عن التقصير في حقه بأنهم
لم يكونوا علموا أن الله أنزل في ذلك قرآناً .. !
وسألوه في أي سورة هذه الآيات ؟ فقال :
في سورة المائدة .

لطائف ؟؟

جاء بعض اللطفاء على باب دار فعزمه شيخها وأدخله عنده وأجلسه في المكان
منفرداً ثم استدعى جارتين أحدهما صفراء والأخرى سوداء ودفع لكل واحدة
مزهراً وقال لهما أضربا له عليهما وغنيا وشاغلاه ثم ذهب الشيخ وبقى الضيف
والجارتان فلما اشتد به الجوع ومضى النهار ولم ير للطعام راحة كتب في مكان
الشيخ هذين البيتين :

يا دعوة كانت علينا دعوة عزّ الطعام بها وغيض الماء
سوداً وصفراً كلما غنين لي لعبت بي السوداء والصفراء !!

ثقب اللؤلؤة !!

اجتمع جماعة من أهل الأدب وعملوا سماعاً وفيهم غلمان حسان ، فبعثوا منهم
غلاماً مليحاً إلى الشيخ عفيف الدين التلمساني يطلبون شمس الدين للحضور فلما
جاء الرسول كتب عفيف الدين على يده :

أرسلتما لي رسولا في رسالته حلو المرافف والأعطاف والهيف
وقد تمادى يسيراً ذاك إنكما أوقدتما النار في أحشاء ذي دنف
فلما حضر شمس الدين وأخبر بالقصة كتب إليه :

مولای کیف اثنی عنک الرسول ولم تکن لوردة خدیہ بمقتطف
جاءتک من بحر ذاک الحسن لؤلؤة فکیف ردت بلا ثقب إلى الصدف

أبدع الغزل !

روی أن عبد الملك ابن مروان جمع عمر بن أبی ربيعة وكثیر عزة وجميل بثينة
وأحضر لديه ناقة موقرة دراهم وقال: ینشد كل واحد منكم بيتاً فی الغزل فأیکم كان
أبدع فهای له بما علیها .

فقال جميل :

ولو أن راقی الموت یرقی جنازتی بمنطقها فی العالمین حیث
وقال کثیر :

وسعی إلى بعب عزة نسوة جعل الإله خدودهن نعالها
وقال عمر بن أبی ربيعة :

فلیت الثریا فی المنام ضجیعی لدى الجنة الخضراء ، أو فی جهنم

فقال عبد الملك : خذها یا صاحب جهنم !!

جارية الرشید

عرضت جارية علی الرشید لیشتريها فطلب بها البائع مبلغاً جلیلاً فقال الرشید :
أنا أعرض علیها بیتاً إن أجابت عنه أعطیتک ما تقول وزدتک والتفت إليها وقال :
ماذا تقولین فیمن شفه أرق من أجل حبک حتی صار حیرانا
فقلت بدیهة :

إذا رأینا محباً قد أضرب به أمر الصبابة ، أولیناه إحسانا
فأعجبه جوابها واشتراها .

معلم الحساب

حكى عن الشيخ يحيى المسالحي أنه لما قدم دمشق الشام وقرأ في الجامع الأموى نظر إلى غلام بديع الجمال فوقع حبه في قلبه فافتان به فسأل عنه فأخبر عن أبيه وكان ممن يتردد إلى الشيخ فاجتمع به وقال له لم لا تحضر ولدك يتعلم عندى العلم؟ فقال له إنه يحضر علم الحساب عند بعض المشايخ فقال: أنا أقرئه قبل شيخه فإذا حضر عندى يكون محصلاً للفضيلتين، فأجابه لذلك وأمر ابنه بما ذكر فتوجه الغلام عند الشيخ يحيى فأجلسه بجانبه وأطال القراءة في ذلك اليوم أكثر من الأيام الماضية فلما انقضى الدرس وأراد الغلام الانصراف لقراءة علم الحساب دفع له الشيخ يحيى رقعة وقال إدفعها إلى شيخك، فلما حضر قال له ما أبطأك عن الحضور فأخبره بالقصة ودفع له الرقعة فاذا فيها:

يا جاعلاً علم الحساب وسيلة تصطاد فيه فاتن الأبواب

إن كنت في علم الحساب رزقته فالله يرزقنا « بغير حساب » !!

فكتب له الشيخ على ظهر الرقعة وأمره أن لا يحضر عنده بعدها. فأخذ الغلام الرقعة ودفعها للشيخ يحيى فاذا فيها:

لموت به ظلياً غريباً مهفهفاً ومذ صار تيساً بعتة للمسالحي !

دعابة جريئة

روى أن أحد أمراء العرب كان عنده جماعة من الأجلاء والفضلاء فقام صاحب المنزل إلى الوضوء وعاد وهو قابض بيده على شيء من تحت ثوبه كهيئة المستبرئ من البول ودخل على الجماعة وهو على تلك الصفة وقال لهم من يأخذ الندى بيدي إلى زوجته؟! فأطرق القوم خجلاً...! فقام رجل منهم وقال زوجتى أولى به يا أمير العرب فأطلق الأمير يده وقال هو لك خذه وإذا بعقد جوهر في يده فبهت القوم، وحسدوا الرجل فقال الأمير للرجل: ما أجراؤك على ذلك؟ قال ثقتى أنه لا يظهر منك إلا السكال فدفع له ألف دينار..!

يهجو نفسه !

دخل أبو دلامه على المهدي وعنده اسماعيل بن علي وعيسى بن موسى والعباس
ابن محمد وجماعة من بني هاشم فقال له المهدي والله إن لم تهج واحداً ممن في هذا
المجلس لأقطعن لسانك فنظر إلى القوم وتخير في أمره وجعل ينظر إلى كل واحد
فيغمزه بأن عليه رضاه :

قال أبو دلامه فازددت حيرة فما رأيت أسلم لي من أن أهجو نفسي فقلت :
الا أبلغ لديك أبو دلامه فليست من الكرام ، ولا كرامه
حشيت دمامة وجمعت لؤماً كذلك اللؤم تتبعه الدمامة
إذا لبس العمامة قلت قرداً وخنزيراً إذا نزع العمامة
فضحك القوم ولم يبق منهم أحداً إلا أجازه :

زوجة مروان

كان لأعرابي امرأتان فولدت إحداها جارية والأخرى غلاما فرقصته أه يوماً
وقالت معيرة لضررتها :

الحمد لله الحميد العالى أتقذني اليوم من الجوالى
من كل شهواء كشن بالى لا تدفع الضيم عن العيال
فسمعتها ضررتها فأقبلت ترقص ابنتها وتقول :

وما على أن تكون جاريه تغسل رأسى وتكون الغاليه
وترفع الساقط من خماريه حتى إذا ما بلغت ثمانيه
أزرتها بنقبه يمانيه أنكحتها مروان أو معاويه

أضهار صدق ومهور غاليه

قيل فلما سمعها مروان تزوجها على مائة ألف مثقال وقال إن أمها حقيقة أن
لا يكذب ظنها ولا يخلف عهدا .

فقال معاوية لولا أن مروان سبقنا إليها لأضعفنا لها المهر ولكن لا تحرم الصلة
فبعث لها بمائة ألف درهم .

والد بلا ولد ! !

قال رجل لولده وهو في المكتب ، في أى سورة أنت ، فقال الولد : لا أقسم بهذا
البلد ووالدى بلا ولد فقال له أبوه لعمرى من كنت ولده فهو بلا ولد .

مثل هذا !

حكى الجاحظ قال : ما أخجلنى قط إلا امرأة مرت بى إلى صائغ ، فقالت له
مثل هذا ، ومضت فبقيت مبهوتاً ثم سألت الصائغ فقال هذه امرأة أرادت أن أعمل
لها صورة مصاغاً على شيطان فقلت لا أدرى كيف أصوره فأنت بك إلى لأصوره على
صورتك .

وفي الجاحظ يقول بعضهم :

لو يمسح الخنزير مسخاً ثانياً ما كان إلا دون قبح الجاحظ
رجل ينوب عن الجحيم بوجهه وهو القذى في عين كل ملاحظ

الخمار الأسود !

قدم تاجر إلى المدينة يحمل خمر العراق فباع الجميع إلا الأسود فشكا إلى الدارمى
وقد تنسك وتعبد فعمل له بيتين وأمر أن يغنى بهما في المدينة :

قل للمليحة في الخمار الأسود ماذا فعلت بزاهد متعبد ؟ !
قد كان للصلاة ثيابه حتى وقفت له بباب المسجد !!

فشاع الخبر في المدينة أن الدارمى رجع عن زهده وتعشق صاحبة الخمار الأسود
فلم تبق في المدينة مليحة إلا اشترت لها خماراً أسود حتى نفذ ما عند التاجر .

مغنى وناحة !

تزوج مغنى بناحة فسمعها تقول : اللهم أوسع لنا فى الرزق فقال لها : يا هذه إنما الدنيا فرح وحزن وقد أخذنا بطرفى ذلك ، فان كان فرح دعونى وإن كان حزن دعوك !!

يا أم عمرو ؟

حكى الجاحظ ، قال إنه مر على رجل يعزیه الناس فقال له : أعظم الله أجرك لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة وهذا سبيل لا بد منه فعليك بالصبر ثم قلت أهذا الذى توفى ولدك قال لا قلت والدك قال لا قلت أخوك قال لا قلت فمن قال حبیبی قلت سبحان الله قال كأتى بك ظننت أنى رأيته .

قلت وكيف عشقت من لا رأيته ؟

قال كنت جالسا وإذا رجل عابر يغنى وهو يقول :

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة ردى على فؤادى أينما كنا

فقلت فى نفسى لولا أن أم عمرو هذه ليس فى الدنيا مثلها ما كان الشعراء يتغزلون فيها ، فلما كان بعد يومين عبر على ذلك الرجل وهو يغنى ويقول :

إذا ذهب الحمار بأم عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار !!

فعلمت أنها ماتت فحزنت عليها وقعدت فى العزاء منذ ثلاثة أيام .

أوسع المواضع !

يحكى أن الشيخ شمس الدين المعروف بالدجوى رحمه الله تعالى كان يتعشق مليحاً فرآه بعد مدة وهو يتوجع من دمل طلعت فى دبره فسأله فقال دمل فى ذلك المحل فضحك الشيخ ضحكا شديداً وقال ما رأيت أعجب من هذا الدمل فقال له الشاب :

ولم قال إن الدمامل تطلع في أضيق المواضع وهذا على غير القياس جاء في أوسع
المواضع !

خالصة جارية الرشيد

قال أبو النواس يهجو خالصة جارية الرشيد :

لقد ضاع شعري على بابكم كما ضاع در على خالصة
فلما بلغ الرشيد أنكر عليه وهدده فقال لم أقل إلا ضاء فاستحسن مواربته .

فقال أبو نواس لبعض من حضر :

هذا البيت قلعت عينه فأبصر .

ضيفاً على ضيف

نزل على أبي حفصة الشاعر رجل من الأعراب فأخلى له المنزل ثم هرب مخافة
أن يلزمه قراه في هذه الليلة فخرج الضيف واشترى ما احتاج إليه ثم رجع وكتب له :

يا أيها الخارج من بيته وهارباً من شدة الخوف
ضيفك قد جاء بزاد له فارجع وكن ضيفاً على الضيف

ما اسم أبيه ؟

أمر زياد بضرب عنق رجل فقال : يا أيها الأمير إن لي بك حرمة قال وما هي
قال يامولاي إن أبي جازك بالبصرة قال ومن أبوك ؟ قال يامولاي إنني نسيت اليوم
اسم نفسي فكيف لا أنسى اسم أبي فرد زياد كره على فمه وضحك وعفا عنه .

صدق !

دخل أحد الحمقى على الشعبي وهو جالس مع امرأته ، فقال : أيكم الشعبي ؟ فأشار

الشعبي إلى امرأته وقال : هذه . فقال الرجل : ماذا أقول أصلحك الله لرجل شتمني
وقال لي يا أحمق ، قال الشعبي : قل له صدقت !!

شمائل البخل

كان ثمامة بن أشرس من أبخل أهل زمانه ، فكان إذا أطعم أصحابه استلقى
على قفاه وأخذ يتلو قوله تعالى (إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً) .
ودخل عليه رجل يوماً وبين يديه طبق فراريج . فعطى الطبق بذيل ثوبه
وأدخل رأسه في جيبه وقال للرجل : أدخل في البيت الآخر حتى أفرغ من بخوري .

يوم القيامة

كان أبو الشمقمق أديباً ظريفاً ، وكان سيء الحال بادي الفاقة متبرماً بالناس ،
وقد لزم بيته في أطمار ممزقة خلقة ، فأقبل إليه يوماً أحد إخوانه ليلاطفه فدخل
عليه فلما رأى سوء حاله قال له : أبشر يا أبا الشمقمق فانتا رويننا في بعض الحديث
أن العارين في الدنيا هم الكاسون يوم القيامة . فقال : إن صح والله هذا الحديث
كنت في ذلك اليوم بزازاً .

غاية الطمع

كان أشعب من أشد خلق الله طمعاً حتى صار طمعه مضرب الأمثال . قيل إنه
اجتمع عليه الأطفال يوماً حتى ضايقوه ، فأراد أن يتخلص منهم فقال لهم : ويحكم
إن فلاناً يفرق تمرأ على الناس فاذهبوا إليه . فانطلق الأطفال مسرعين ، فلما
أبطأوا ولم يرجعوا قال في نفسه : يبدو لي أن الأمر حق وأنهم فازوا بالتمر دوني .
ثم جمع ثيابه في أسنانه ومضى يركض وراءهم .

جميع المسلمين

قال المأمون لثمامة بن أشرس : حدثني عن أعظم من رأيت حماقة . قال : نعم يا أمير المؤمنين ، لقيت يوماً وأنا قادم اليك رجلاً يقص على الناس أخبار المجاهدين والشهداء . فلما انتهى من قصصه رفع يديه إلى السماء وقال : اللهم أرزقني الشهادة أنا وجميع المسلمين .

خمس طالقات ..

قال أحد ندماء الرشيد يوماً : بلغني يا أمير المؤمنين أن رجلاً من العرب طلق في يوم واحد خمس نسوة ، قال : إنما يجوز ملك الرجل على أربعة نسوة فكيف طلق خمساً قال كان لرجل أربع نسوة فدخل عليهن يوماً فوجدهن متلاحيات متنازعات وكان شريراً ، فقال : إلى متى هذا التنازع ، ما أخال هذا الأمر إلا من قبلك — وأشار إلى إحداهن — إذ هي فأنت طالق ، فقالت له صاحبتها : عجلت عليها بالطلاق ، ولو أدبتا بغير ذلك لكان حقيقاً . فقال لها : وأنت أيضاً طالق . فقالت له الثالثة : قبحك الله ، فوالله لقد كاتنا إليك محسنتين وعليك متفضلتين . فقال : وأنت المعدة أيديهما طالق أيضاً . فقالت له الرابعة ، وكانت هلالية وفيها أناة شديدة ، ضاق صدرك عن أن تأدب نساءك إلا بالطلاق ، فقال لها : وأنت طالق أيضاً . وكان ذلك بمسمع من جارة له فأشرفت عليه ، وقد سمعت كلامه ، فقالت والله ما شهدت العرب عليك وعلى قومك بالضعف إلا لما بلوه منكم ووجدوه فيكم ، أبيت إلا طلاق نساءك في ساعة واحدة . قال : وأنت أيضاً طالق أيتها المؤنة المتكلفة إن أجاز زوجك .. فأجابه زوجها من داخل بيته : قد أجزت ، قد أجزت !!

شرب الخمر

مرت أعرابية عجوز على قوم وهم يشربون الخمر فدعوها إلى الشراب فأجابت

ظناً منها أنه شيء طيب ، فلما انتشت سألتهم : أشرب نساؤكم من هذا ، قالوا نعم ، قالت والله لا أحد منكم يعرف أباه .

من مال الغير

قيل لبشرة الأحول : كم تأكل كل يوم ؟ قال من مالى أو من مال غيرى ؟ قيل له من مالك . قال مكوك . قيل فمن مال غيرك . قال اخبزوا واطرحوا .

مواضع السجود فى الطعام

حضر أعرابى عند أحد الكرام وأزف وقت الطعام فسأل المضيف الأعرابى ماذا تريد من أصناف الطعام . أتريد كذا ؟ أتريد كذا ؟ وجعل يعدد له أصناف الطعام الشهى ، قال الاعرابى : أصلحك الله ، لو كانت هذه الأصناف ذكرت فى القرآن لكانت موضع سجود .

مجانة وفتنة

قال محمد بن يزيد اللبىدى ، حدثنى حبيب بن أوس ، قال كنت فى غرفة على شاطىء دجلة فى وقت الحرىف فاذا بغلام كنت أعرفه بجاله قد تجرد من ثيابه وألقى بنفسه فى دجلة يسبح فيها وقد احمر جلده من برد الماء وإذا ماني الموسوس يرمقه بصره فلما خرج من الماء قال :

خَشَّ الماء جلده الرطب حتى خلت له لابساً غلالة خمر
قلت له : لعنك الله يا ماني ، أبعد الجهاد والغزو تحسد غلاماً قد بات مؤجراً
فى الحانات ، فقال لى ليس مثلك يخاطب يا أحمق ، ورفع وجهه إلى السماء وقال :
يكفيك قلب القلوب وإننى نفي ترح مما ألقى فما ذنبى
خلقت وجوهاً كالمصاييح فتنة وقلت اهجروها عز ذلك من خطب
فإما أبحت الصب ما قد خلقته وإما زجرت القلب عن لوعة الحب

شاعر ركيك

لما توفيت أم سليمان ابن وهب الكاتب ، أخى الحسن بن وهب ، دخل عليه رجل
من نوحي الكتاب يسمى صالح بن شهریار بشعر يرثيها فيه فأنشده :
لأم سليمان علينا مصيبة مغلغلة مثل الحسام البواتر !!
و كنت سراج البيت يا أم سالم فأمسى سراج البيت وسط المقابر !!
فقال سليمان ما نزل بأحد مثل ما نزل بي ماتت أمي ورثيت بمثل هذا الشعر
ونقل إسمي من سليمان إلى سالم !!

الحب والأكل

اصطحب شيخ وحدث من الأعراب ، فكان لهما قرص كل يوم ، وكان الشيخ
منخلع الأضراس بطيء الأكل فكان الحدث يبطش بالقرص ثم يقعد يشتكي العشق
ويتصور الشيخ جوعا ، وكان اسم الحدث جعفرأ فقال الشيخ فيه :
لقد رابني من جعفر أن جعفرأ يطيش بقرصى ثم يسكي على حمل
فقلت له لو مسك الحب لم تبت سميناً ، وأنساك الهوى شدة الأكل

يا أكل التحيات

دخل طفيلي من أهل المدينة على الفضل بن يحيى ويده تفاحة فألقاها إليه وقال
حياك الله يا مدني فلزمها وأكلها فقال له شؤم عليك يا مدني ، أتاأكل التحيات ؟ قال
أى والله والزواكيات الطيبات كنت آكلها .

شارب اللبن

قال الأصمعي : كنت عند رجل من الأم الناس وأبخلهم وكان عنده لبن كثير
فسمع به رجل ظريف فقال : أموت أو أشرب من لبنه فأقبل مع صاحب له حتى

إذا كان بباب صاحب اللبن تعاشى ، وتماوت ففقد صاحبه عند رأسه يسترجع فخرج
صاحب اللبن فقال له : ما باله يا سيدي قال هذا سيد بنى تميم أناه أمر الله ههنا وكان
قال لى اسقنى لبناً قال صاحب البيت هذا هين موجود إئتني يا غلام بآناء اللبن فأناه به
فأسنده صاحبه إلى صدره وسقاه حتى آتى عليها ثم تحشأ فقال صاحبه لصاحب اللبن
أترى هذه الجشأة راحة الموت ففطن وقال أمتك الله وإياه !!

من هو ابن الزانية ؟

قال دعبل الشاعر ، دخلت على عبد الله بن يحيى بن خالد وقوم يأكلون عنده
فمد يده إلى رغيف من الخوان فرفعه وجعل يزنه بيده ويقول : يزعمون أن
خبزي صغير . فمن هذا الزانى ابن الزانية الذى يستطيع أن يأكل نصف
رغيف منه ؟

لا تنقط شيئاً !

قال الأصمعى ، أنشدنى أحد المعتوهين من الشعراء غزلاً فى محبوبته :

ما أوجع البين من غريب فكيف إن كان من غريب !!
يكاد من شوقه فؤادى إذا تذكرته يموت !!

فقلت له ان هذا باء وهذا تاء قال لا تنقط أنت شيئاً فقلت يا هذا إن البيت الأول
مخفض والثانى مرفوع ، قال أنا أقول لك لا تنقط وأنت تشكل !!

من قاله فقد أحسن !

خطب على بن زياد الأيادى فقال فى خطبته أقول لكم ما قال العبد الصالح لقومه .
ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد . فقالوا له إن هذا ليس من قول
العبد الصالح إنه قول فرعون فقال من قاله فقد أحسن !!

خطاب وكيع بن الأسود

خطب وكيع ابن أبي الأسود وهو والى خراسان فقال في خطبته إن الله خلق السماوات والأرض في ستة أشهر ، فقالوا له بل في ستة أيام ، فقال والله لقد قلتها وأنا أستقلها .

شجاعة مفلوك

كان بالبصرة مجنون يأوى إلى دكان خياط وقد جعل في يده قصبة في رأسها أكرة ولف عليها خرقة لئلا يؤذى بها الناس فكان إذا أحرد الصبيان التفت إلى الخياط وقال له قد حمى الوطيس وطاب اللقاء فماترى فيقول شأنك بهم فيشد عليهم ويقول :

أشد على الكتيبة لا أبالى أحتقن كان فيها أم سواها

فإذا أدرك منهم صبياً رمى بنفسه على الأرض وأبدى له عورته فيتركه وينصرف ويقول عورة المؤمنين حمى ولولا ذلك لتلفت نفس عمرو بن العاص يوم صفين ثم يقول وينادى :

أنا الرجل الضرب الذى يعرفوننى خشاش كراش الحية المتوقد

ثم يرجع إلى دكان الخياط ويلقى العصا من يده ويقول :

فألت عصاها واستقر بها النوى كما قر عيناً بالإياب المسافر

العاشقات الثلاث

قال الأصمعى : جلس أخوات ثلاث يبجن لبعضهن بما تكنه صدورهن من شعور وإحساس ، واتفقن على أن تقول كل واحدة منهن بيتاً من الشعر فقالت الكبرى :

عجبت له إن زار فى النوم مضجعى ولو زارنى مستيقظاً كان أعجبا

وقالت الوسطى :

وما زارنى فى النوم إلا خياله فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا

وقالت الصغرى :

بنفسى وأهلى من أرى كل ليلة ضجعى ورياه من المسك أطيبا

ثم حكمنى بينهن فأنشدت قائلا :

أحدث عن حور تحدثن مرة
ثلاث كبكرات الهجان عطايل
خلون وقد غابت عيون كثيرة
فبحن بما ينفين من لالعج الهوى
(عجبت له أن زار فى النوم مضجعى
وإذ أخبرت ما أخبرت وتضاحكت
(وما زارنى فى النوم إلا خياله
وشوقت الصغرى وقالت محببة
(بنفسى وأهلى من أرى كل ليلة
فلما تبينت الذى قلن وانبرى
حكمت لصغراهن بالظرف إننى
حديث امرىء ساس الأمور وجربا
نواعم يغلبن اللبيب المشيبا
من اللأئى قد يهوين أن تنغيا
وحتى تخذن الشعر ملهى وملعبا
ولو زارنى مستيقظاً كان أعجبا)
تنفست الأخرى وقالت تطربا
فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا)
لهن بقول كان أشهى وأعذبا
ضجعى ورياه من المسك أطيبا)
لى الحكم لم أترك لذى القول معتبا
رأيت لذى قالت إلى القلب أطربا

الفقير والكلاب

اجتمع ذات يوم جماعة من الناس حول رجل فقير كان يأكل فى الطريق
وصاروا ينادونه باسم الكلب فقال لهم : اننى أأكل وأتم تلتفون حولى فمن يكون
الكلب؟!

مشى الرشيد مع جاريته (عنان) في حديقة ورأى وردة فاقتطفها وشمها وأنشد :
 الورد أحسن منظرا فتمتعوا باللحظ منه
 فقالت عنان فوراً :

وإذا انقضت أيامه ورد الحدود ينوب عنه

الشاعر اللص

سمع كسرى الأعشى يتغنى بهذا البيت :

أرقت وما هذا السهاد المورق وما بي من سقم ولا بي تعشق
 فقال كسرى : ما يقول العربي ؟ فقالوا : إنه يقول بالعربية كلاماً معناه أنه سهر
 من غير مرض ولا عشق . فأجاب كسرى : « فهو إذن لص » .

الجارية الشاعرة

عرضت على المتوكل جارية شاعرة فدعا أبو العيناء الشاعر ليختبرها له . فقال
 أبو العيناء للجارية : أتقولين الشعر ؟ قالت نعم فقال إني مختبرك في شطر واحد عليك
 تكلمته فقالت هات ما عندك فوراً فقال : « الحمد لله كثيراً » .
 فأجابت الجارية فوراً :

(حيث أنشاك ضريراً) وكان ضريراً .

فقال أبو العيناء :

لقد أحسنت والله وإن أساءت نخذها يا أمير المؤمنين .

أنت الفداء له

خلا شامة بن أشرس بجارية له ، فعجز عن إتيانها ، فقال : ويحك ما أوسع حرك ، فقالت :

أنت الفداء لمن قد كان يملأه ويشتكى الضيق منه حين يلقاه

على قضاء عمر

روى زياد بن مالك أن جدته عاتبت جده في قلة إتيانها فقال لها ما أنا وأنت إلا على قضاء عمر بن الخطاب ، فقالت وما قضاء عمر ؟ قال قضى عمر أن الرجل إذا أتى امرأته عند كل طهر فقد قضى حقها ، قالت لقد ترك الناس كلهم قضاء عمر وأقمت أنت وأنا عليه ، انظر لنا في قضاء آخر !

قاطع الصلاة

اشتهر « دلال الخصى » أحد المخنثين بالمدينة ، بالمجون والدعابة ، ومن نوادره أنه صلى يوماً خلف الإمام بالمسجد ، فقرأ الإمام : « وما لى لا أعبد الذى فطرني وإليه ترجعون » فقال المخنث : لا أدري والله ! ؟ فضحك الناس وقطعوا الصلاة ، فلما قضى الوالى صلاته دعا به وقال له : ويلك ألا تدع هذا المجون حتى فى الصلاة ؟ فقال له : قد كنت أحسبك تعبد الله ، فلما سمعتك تستفهم ظننتك تشككت فى عبادته فبادرت بالجواب عليك ، فقال له الوالى : اذهب إلى لعنة الله وإن عدت بالغنا فى عقابك !

إلى من نحتكم ؟؟

اختلف اسحق النديم المغنى ، وابراهيم الموصلى ، فى صوت من الغناء ، فقال اسحق : إلى من نحتكم ، والناس ما عدانا بهائم !!

شجاعة أبي دلامة

جىء بأبي دلامة سكراناً إلى الخليفة المنصور ، خلف ليخرجنه في غزو مع روح بن عدس بن حاتم المهلبى عقاباً له ، وأخرج معه فلما التحمت صفوف القتال ، قال له روح أخرج إلى المبارزة فقال : لو أن فرسك تحق ، وسلاحك في يدي لرأيت منى أعظم الأثر في القتال ، فنزل له عن سلاحه وفرسه ، فلما أخرج أبو دلامة استنجد بقريخته فأسعفته بالأبيات التالية وأنشدها لروح بن عدس عساه أن يعفيه من المبارزة وهي :

إني استجرتك أن أقدم في الوغى	لتطاحن وتنازل وضراب
فهب السيوف رأيتها مشهورة	فتركتها ، ومضيت في التهرب
ماذا تقول لمن يجيء ولا يرى	إني درأت الموت بالنشاب

فقال له روح : دع عنك هذا ولا بد من المبارزة . فلما جاء دوره في البراز أمره بالخروج فقال :

إني أعوذ بروح أن يقدمني	إلى القتال فتخزي بي بنو أسد
إن البراز إلى الأقران أعلمه	مما يفرق بين الروح والجسد
قد حالفك المنايا إذ صمدت لها	وأصبحت لجميع الخلق بالرصد
إن المهلب حب الموت أورثكم	وما ورثت اختيار الموت عن أحد
لو أن لى مهجة أخرى لجدت بها	لكنها خلقت فرداً ، فلم أجد
فضحك منه وأعفاه من القتال .	

بكاء الحسين بن أحمد

أمر وزير عز الدولة بن بختيار ، الحسين بن أحمد بالخروج إلى القتال في صحبته فأراد أن يستعفيه فما أعفاه ، فقال :

ياسائلى عن بكاي حين رأى
ساعة قيل الوزير منحدر
وقلت يا نفس تصبرين وهل
شاورته والهوى يفتنه
أهوى انحدارى والحزم يكرهه
لأننى عاقل ويعجبني
الحيش نصف النهار تعجبني
والشرب فى روشنى أقيل به
ولا أقود الخيل العتاق بلى
من كل جاموسة لعنبلها
قد نفخ الشحم جوفها فعدا
تركض مثل الحصان نافرة
أحسن فى الحرب من صفوفكموا
هيهات أن أحضر القتال وأن
بل الذى لا يزال يعجبني الد
الدف عند الصباح دبذبني
هذا اعتقادى وهكذا أبداً

دموع عيني تسابق المطرا
أسرع دمعى وفاض منحدر
يعيش بعد الفراق من صبرا
والرأى رأى الصواب قد حضرا
وتارك الحزم يركب الضررا
لزوم بيتى وأكره السفرا
والماء بالثلج بارداً خصرا
كما أرى الماء منه والقمر
أسوق بين الأزقة البقرا
رأس بقريه يفلق الحجر
كأنه بطن ناقة عُشرا
ومن يرد الحصان إن نقرا
غدا قعودى أصف الطورا
ترى بعينيك فيه لى أثرا
يبب بالليل خائفاً حذرا
وبوقى الناس كلما زمرا
أرى لنفسى، وأنت كيف ترى؟

عادل جداً

شكا أهل بعض الأقطار إلى المأمون والياً عليهم فقال لهم : كذبتُم فقد صح
عندى عدله وإحسانه اليكم ، فاستحووا أن يردوا عليه قوله ، فقال له شيخ منهم :
يا أمير المؤمنين قد عدل فينا خمسة أعوام ، فاجعله فى قطر غيره حتى يسع عدله
جميع رعيتك وتربح الدعاء الحسن .. فضحك المأمون واستحى منهم
وصرفه عنهم .

فاجعل حمارى فى ضيافة مهركا . .

مضى فتى فى طريق على حمار له حتى أُمسى فنزل فى منزل بالطريق ، وإذا برجل
قد أقبل على مهر فاستقبله الفتى وحيّاه وجلسا يتحدثان فاستلطفه الرجل ، ثم دعا
بطعام فحضر ودعا بعلف لمهره فقدم اليه وجلس يأكل والفتى لم يكن معه نفقة
لعلف حماره فنظر إلى الرجل وقال :

ياسيدى نظمى يعاب بنثركا فلذلك شعرى لا يقاس بشعركا
أولينى فضلا وإنى عاجز ما طال عمرى أن أقوم بشكركا
أنا فى ضيافتك العشيّة كلها فاجعل حمارى فى ضيافة مهركا
فضحك الرجل وقال ماهى إلا غفلة منى ، ودعا بعلف للحمار كعلف المهر فقدم اليه .

اللجام لى !

قال أبو عبيدة : أجريت الخيل فى الحلبة فجاء فرس من الخيل سابقاً ، فجعل
رجل من النظارة يكثر من الفرح ويكبر ويصفق . فقال له رجل إلى جانبه : يا فتى
الفرس لك ؟ قال : لا ! ولكن اللجام لى .

الطعام أفضل

كان أبو الحارث حسين يظهر لجاريته من المحبة أمراً عظيماً فدعته وأخرت
الطعام إلى أن ضاق ، فقال : ياسيدتى مالى لا أسمع للغداء ذكراً ؟ فقالت :
ياسبحان الله ! أما يكفيك النظر إلىّ ، وما ترغبه فيّ من أن تقول هذا ؟ فقال :
ياسيدتى لو جلس جميل وبثينة من بكرة إلى هذا الوقت لا يأكلان طعاماً لبصق كل
منهما فى وجه الآخر !

طفيلي يحتال !

أراد طفيلي دخول عرس فلم يقدر ، فأخذ قرطاساً وأدرجه ولم يكتب فيه شيئاً ،

وسأل عن العروس هل له قريب غائب ؟ ف قيل له أخوه فلان . فكتب عنوان الكتاب من فلان ابن فلان إلى أخيه ، وجاء فدق الباب ، وقال : معى كتاب من أخى العروس فخرج العروس مبادراً فأدخله وأحضر له الطعام ، فلما قرأ العنوان قال : سبحان الله ! تراه نسى اسمى إذ لم يكتبه على الكتاب قال الطفيلى : وأعجب من ذلك أنه لم يكتب داخله شيئاً من العجلة .

ما بنيت المنازل إلا لتدخل !

عوتب طفيلى على التطفيل . فقال : والله ما بنيت المنازل إلا لتدخل ، ولا نصبت الموائد إلا لتؤكل ، وإنى لأجمع فى التطفيل خللاً ، أدخل مجالساً ، وأقعد مؤانساً ، وأنبسط وإن كان رب عابساً ، ولا أتكلف غرمأً ، ولا أنفق درهمأً !

زوجة تشتكى

بكت امرأة بين يدى الشعبي وقالت : إن زوجى يضاررنى . فقال الشعبي لزوجها : ألم تر إلى زوجك وهى تبكى بكاء مرأً وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما . قال الزوج : لقد سمعت قول زوجتى وهى تشتكى إلى الله ثم إليك وتبكى بين يديك بدموع حارة ، ولكن أعلم إنها دموع التماسيح وبكاء أخوة يوسف إذ جاءوا عشاء ييكون وهم ظالمون .

من اللغة

كان يجالس أبا عبيدة معمر بن المثنى رجل ثقيل اسمه «زنباع» ، فكان كالشجى المعترض فى حلقه يتناكذه ويسىء خلقه ، فلا يتكلم أبو عبيدة بكلمة إلا عارضه بكثرة جهله ، وقلة عقله ، فقال رجل لأبى عبيدة : مم اشتقت الزنبقة فى كلام العرب ؟ فقال من الثاقل والتباغض ومنه سمي جليسننا هذا زنباعا !

٣ بليّة حواء !

ضاق أبو عبد الرحمن العتيّ برجل جهول فرض نفسه جليساً عليه ، فلما طال عليه أنشده :

أما والذي نادى من الطور عبده وأنزل فرقاناً وأوحى إلى النحل
لقد ولدت حواء منك بليّة على أقاسيها ، وثقلا على الثقل

علوتهما صياحا !

ترك بعض الظرفاء البيذ فتحمامه معاشره خوفاً أن يكون ما أحدث من الترك دعاه إلى زيادة النسك ، وأوجب له الانقباض والإعراض عما كانوا معه فيه يفيضون ويغوضون فقال :

تحاموني لتركى شرب راح وقالوا يشرب الماء القراحا
وما انفردوا بما دونى لفضل إذا ما كنت أكثرهم مزاحا
وأرقصهم على وتر وصنج وأظرفهم وألطفهم مراحا
إذا شقوا الجيوب شقت جبي وإن صاحوا علوتهما صياحا

لا أبيعها بمال !

حدثني رجل من قریش قال : قال لي محمد بن خالد القرشي ذكرت لي جارية مغنية عند أبي فلان القاضي فأمض بنا إليه ، واستأذنا فإذا هو يصلي ، فلما فرغ من صلاته قال : لأمر ما جئتم ؟ قلت : فلانة ، قال لغلامه : يا غلام عليّ بفلانة لتخرج ، فخرجت علينا جارية كأنها مها تتثنى في مشيتها . فلما قعدت وضع عود في حجرها ، فحسته واندفعت تغني :

عوجى علىّ وسلمى جبر كيف الوقوف وأتم سفر
ما نلتقى إلا ثلاث منى حتى يفرق بيننا نفر

فقام القاضى على أربعة وقال : انحرونى فىنى بدنة ، اهدونى فىنى بدنة ، والله
لا أبيعها بمال يكال ، ولا بمال يوزن ، ولا بالخلافة ولا بالدنيا ، انصرفوا ...

احرقوا القرطاس !

كتب أبو نواس إلى إخوان له يدعوهم إلى مجلس شراب فلم يجد قرطاساً يكتب
فيه فكتب فى رأس غلام له أصلع ما أراد ، ثم قال فى ختامه : فإذا قرأتم كتابى
فاحرقوا القرطاس . فضحكوا وتركوا للغلام جلدة رأسه !

يخاف من التوبة !

لما مرض أبو نواس دخل عليه الجمار يعوده ، فقال له : اتق الله فكم من محصنة
قذفت ، ومن سيئة قد اقترفت ، وأنت على هذه الحال ، فتب قبل الموت . فقال :
صدقت ولكن لا أفعل ! قال : ولم ؟ قال : مخافة أن تكون توبتى على يد واحد
مثلك !!

مائة مقرعة !

قصد رجل الخصيب بن عبد الحميد وهو أمير على مصر ، مستميجاً ، فلم يعطه
شيئاً فانصرف ، فأخذه أبو الندى اللص وكان يقطع الطريق . قال : هات ما أعطاك
الخصيب . قال : لم يعطنى شيئاً ، فضربه مائة مقرعة يقرره على ما ظن أنه ستره عنه .
ثم قدم على الخصيب بعد ذلك زائر فلم يعطه شيئاً . فقال : جعلت فداك تكتب إلى
أبى الندى أنك لم تعطنى شيئاً . لئلا يضربنى ، فضحك ووصله .

مت من البرد !

ذهبت ثياب رجل في الحمام ، فجعل يقول : أنا أعلم واللص يسمعه ، ففزع وظن أنه قد فطن إليه فردها ، وقال له : إني سمعتك تقول أنا أعلم فما الذي تعلم ؟ قال : أعلم أنه إن عدمت ثيابي مت من البرد !!

أبو العبر !

كان أبو العبر من أدباء عصره ، وفصحاء دهره ، ولكنه أغرم بقلب الأشياء . قال : كنا نختلف ونحن أحداث إلى رجل يعلمنا الهزل فكان يقول : أول ما تريدون أن تتعلموه ، هو قلب الأشياء ، فكنا نقول إذا أصبح كيف أمسيت ؟ وإذا أمسى كيف أصبحت ؟ وإذا قال تعال تأخرنا إلى خلف ، وكانت له أرزاق تعمل كتابتها في كل سنة فعمل مرة وأنا معه الكتاب ، فلما فرغ من التوقيع وبقي الختم ، قال أتربه وجئني به ، فمضيت فصببت عليه الماء ، فبطل ، فقال : ويحك ما صنعت ؟ قلت : ما نحن فيه طول النهار من قلب الأشياء !! قال : والله لا تصحبنى بعد اليوم ، فأنت أستاذ من قدمت لتطلب عندهم العلم !!

رسالة !

كتب أبو العبر لبعض أصحابه ، وكان مغرمًا بالمجون والعبث ، « أما قبل » فأحكم بنيانك على الرمل ، وأحبس الماء في الهواء حتى يغرق الناس من العطش ، فإنك إذا فعلت ذلك أمرت لك كل يوم بسبعة آلاف درهم ينقص كل درهم سبعة دوايق . وكتب يوم إلا تسعاً خمس وأربعين ليلة خلت من شهر ربيع الأوسط !! سنة عشرين إلا مائتين .

أبو العبر والمتوكل

تعرض أبو العبر للمتوكل وهو مشرف على مظهر في قصره الجعفرى ، وقد جعل

في رجله قلنسوتين ، وعلى رأسه خفين ، وقد جعل سراويله قميصاً ، وقميصه سراويل
فقال المتوكل علىَّ بهذا المثلة ، فدخل عليه ، فقال أنت شارب ؟ فقال ما أنا إلا عنقه !
قال إني أضع الأدهم في رجلك ، وأنفيك في « فارس » ، قال ضع في رجلي
الأشهب ، وأنفي إلى « راجل » قال أتراني في قتلك « مأثوم » ؟ قال بل
« ماء بصل » يا أمير المؤمنين !!

على بن الجصاص

كان على بن الجصاص صاحب نوادر وطرف تروى عنه . وكان المعتضد إذا رآه
يقول : هذا هو الأحق المزوق . وكان أوسع الناس دنيا ، له من المال ما لا يتهى
إلى عده ، ولا يوقف على حده . ومما يروى من نوادره : أن يده خرجت من الفرش
في ليلة باردة فأعادها إلى جسده بثقل النوم فأيقظته ، فقبض عليها بيده الأخرى
وصاح : اللصوص اللصوص ، هذا اللص جاء ينازعني وقد قبضت عليه أدركوني لئلا
يكون معه حديدة يضربني بها ! وجاءوا بالسراج فوجدوه قد قبض بيده على يده .

ودخل مرة على ابن له وقد احتضر فبكى عند رأسه وقال : كفالك الله يا إبنى ، إليك
مؤنة هاروت وماروت . فقبل له وما هاروت وماروت ؟ ! قال : لعن الله النسيان
إنما أردت يأجوج ومأجوج . قالوا : وما يأجوج ومأجوج ؟ قال : فطالوت وجالوت
قالوا : لعلك أردت منكراً ونكيراً . قال : والله ما أردت إلا غيرها — يريد
ما أردت غيرها .

وغفل عنه أهله يوماً فسمعوا صياحه ، فأتوه فوجدوه كالميت . فقالوا : ما بالكَ ؟
فقال : فكرت في كثرة مالى ، وشدة مصادرة السلطان للتجار في هذا الوقت وتعذيبه
لهم بالتعليق . فعلقت نفسي ونظرت كيف صبرى فتأملت أشد الألم ولم أتخلص حتى
كدت أموت !!

لكل جديد لذة !

وقف أبو العيلاء على باب صاعد بن مخلد فقيل له : إنه يصلى . فقال : لكل جديد لذة — وكان صاعد نصرانياً ثم أسلم .

عليه الطلاق !

كان محمد بن يحيى البرمكى يبخل ، ولم يكن بخيلاً إلا بالإضافة إلى أخويه الفضل وجعفر ، وكان أبو الحارس حمير يكثر وصفه بذلك ، فقيل يوماً ، كيف مائدة محمد ؟ قال : أما خوانه فعدسة ، وأما صحافه فمتقورة من خشب الحشخاش ، وبين الرغبة والرغيف فترة ، قيل : فمن يحضرها ؟ قال أكرم الخلق والأمة — يريد الملائكة والنداب — فقيل له : كيف كنت عنده ، فقال : عليه الطلاق إن لم يكن أقام ثلاثة أيام وبطنه يظن أن رأسه قد قطع لأنه لم يدخل إليه آثار طعام ولا شراب ! !

ما صناعتك ؟

دخل رجل على المتوكل فقال له : ما اسمك ؟ قال قطان ! ! قال : وما صناعتك ؟ قال حمدان ! ! قال : لعل اسمك حمدان ، وصناعتك قطان ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ولكنى دهشت لهيبتك .

هذه بتلك !

قال ابن قادم : كنا نماشى ابن المعتاب القاضى ، فمررنا بمقبرة ، فإذا مكتوب عليها « بركة من الله صاحبها » وكنا فى أملاك فإذا على منارة مكتوب : « كل نفس ذائقة الموت » فقلت : هذه بتلك !

دليل العناية !

قال الجاحظ ، سألتى بعضهم كتاباً بالتوصية إلى بعض أصحابى ، فكتبت له رقعة وختمتها ، فلما خرج الرجل من عندى فضها فإذا فيها « كتابى إليك مع من

لا أعرفه ولا أوجب حقه ، فإذا قضيت حاجته لم أحمدك ، وإن رددته لم أذمك ! »
 فرجع الرجل إلى ، فقلت له كأنك فضضت الورقة ! ؟ فقال نعم ! فقلت له لا يضيرك
 ما فيها ، فإنه علامة لى إذا أردت العناية بشخص ، فقال : قطع الله يديك ورجليك
 ولعنك ! فقلت له ما هذه ، قال هذه علامة لى إذا أردت أن أشكر شخصاً ! ! !

مثلى ومثل أيبك !

استقدم الوزير على بن عيسى ، عبد الله بن الجصاص فى البكور ، فأتاه نصف
 النهار . فقال : ما أخرك يا أبا عبد الله ؟ قال : بمحلى أعز الله الوزير كلاب تنبح
 طول الليل أجمع ، فأسهرتنى البارحة فلما كان وجه السحرو سكن نباحها نمت فغلبتنى
 عيني إلى الآن . فقال له : ومالك يا أبا عبد الله لا تتقدم فى قتلها ، قال : ومن
 يستطيعها أيها الوزير وكل واحد منها مثلى ومثل أيبك رحمه الله ! !

أبو دلامة والمنصور

دخل أبو دلامة على أبى جعفر المنصور ، فأنشده وذكر زوجته :

فاستخرطت ثم قالت وهى مغضبة أأنت تتلو كتاب الله يا لكع ؟ !
 قم كى تبيع لنا نخلا ومزدرعا كما لجارتنا نخل ومزدرع
 خادع خليفتنا عنها بمسألة إن الخليفة بالتسأل يخذع !

قال المنصور قد أمرنا لك بمائتى جريب عامر ، ومائتى جريب غامر ، فقال
 وما الغامر يا أمير المؤمنين ، قال الندى لا ينبت . قال فأنى أقطعك عشرة آلاف جريب
 من فيافى بنى أسد ، فضحك وأمر له بالجميع عامراً . فقال : أذن لى فى تقبيل يدك
 يا أمير المؤمنين فقال : أما هذه فدعها ، فقال : متى منعت عيالى شيئاً أسهل عليهم
 من هذه !

خياره — ودبابة

دخل أبو دلامة على المنصور يوماً ، وأنشده :

إني رأيتك في المنا م وأنت تعطيني خياره
مملوءة بدراهم عليك تأويل العبارة !

فقال له المنصور : امض فأنت بخياره أملؤها لك دراهم ، فمضى فأتى بأعظم دباة
توجد ، فقال : ما هذا ؟ قال : يلزمني الطلاق إن رأيت إلادباة ، ولكنني نسيت ،
فلما رأيت الدباة في السوق تذكرتها .

عشرة آلاف درهم في خلقة

كان الخليفة المنصور معروفاً بالبخل ، دخل عليه أبو دلامة وبين أصبعيه خرقة
صغيرة فقال له المنصور : ما هذا يا أبا دلامة ؟ ! فقال : ولدت لى البارحة طفلة وقد
قلت فيها :

فما ولدتك مريم أم عيسى ولم يكفلك نعمان الحكيم
ولكن قد ولدت لأم سوء يقوم بأمرها بعن لئيم

فضحك المنصور وقال ما تريد ؟ قال ملء هذه الخرقة أستعين بها على تربيتها ،
فقال المنصور : أملؤها بدراهم — لا دنائير — ففتحوها فإذاها « كيس دقيق
كبير » ، فملأوها فإذا هي تتسع لعشرة آلاف درهم ! ! فتغيظ المنصور حرداً .

لم أخذت قميصي ؟

لقى إعرابي سروالاً في فلاة ، فأخذه وظنه قميصاً ، ولما حاول أن يلبسه لم يعرف
كيف ذلك ، فمرَّ يعدو ورماء خلفه ، فلقى رجل فقال : مالك يا إعرابي ؟ قال :
أصبت قميصاً للشيطان وخفت أن يلحقني فيقول لم أخذت قميصي ؟ !

معن بن زائدة والبنات الثلاثة

خرج معن بن زائدة يوماً للصيد فلما أمعن في البرية أدركه العطش فرأى ثلاث

جوار يحملن ثلاث جرار . فاستسقاهن فسقينه فاستحيا معن أن لا يصلهن فطلب إلى غلامه شيئاً من الدراهم فلم يجد ، فدفع لكل جارية عشرة أسهم نصالها من ذهب فقالت إحداهن ويلكن ! لم تكن هذه الصفات إلا لمعن بن زائدة فلتقل كل واحدة منكن شعراً فقالت الأولى :

ومحارب من طرف جود بنانه
صيغت نصال سهامه من عسجد
وعمت مكارمه الأقارب والعدا
كي لا يعوقه القتال عن النداء
وقالت الثانية :

يركب في السهام نصال تبر
فللمرضى علاج من جراح
ويرمى للعدا كرمًا وجودا
وأكفان لمن سكن اللحودا
وقالت الثالثة :

ومن جوده يرمى العداة بأسهم
لينفقها المجروح عند انقطاعه
من الذهب الابريز صيغت نصالها
ويشترى الأكفان منها قتيلاها

بين زوجته وجاريته

إبتاع عبد الله بن رواحة جارية وكتب ذلك عن امرأته ، فبلغها فالتمت كونه عندها فأخبرت بذلك ، فلما جاءها قالت : بلغني أنك اشتريت جارية وأنت الساعة خرجت من عندها وما أحسبك إلا جنباً ؟ قال : ما فعلت ، قالت : فاقرأ آيات من القرآن فقال :

شهدت بأن وعد الله حق ^و وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة شداد ملائكة الإله مقربيننا

قالت : أما وقد قرأت القرآن فقد علمت أنك مكذوب عليك ! وافتقدته ليلة

أخرى فلم تجده في فراشها ، فلم تزل تطلبه حتى عثرت عليه في ناحية من الدار ،
 فقالت : الآن صدقت ما بلغني . فجحدتها ، فقالت : إقرأ آيات من القرآن ، فقال :
 وفينا رسول الله يتلو كتابه كما انشق معروف من الفجر ساطع
 أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قال واقع
 يبيت يحافى جنبه عن فراشه إذا أثقلت بالمشركين المضاجع
 وأعلم علماً ليس بالظن أنني إلى الله محشور هناك فراجع
 فقالت : آمنت بالله وكذبت ظني ، فأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم .
 فضحك وقال : « هذا لعمرى من معاريف الكلام ، يغفر الله لك يا ابن رواحة ،
 خياركم خيركم للنساءه . »

الشعر لا ينقض الوضوء

قيل لابن سيرين : إن قوماً يرون أن إنشاد الشعر ينقض الوضوء فقال :
 نبئت أن فتاة كنت أخطبها عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول
 ثم قال : الله أكبر ودخل في الصلاة . . .

أعزب لعنك الله

كان بديع أحلى الناس وأذكاهم . قال له الوليد بن يزيد ! يا بديع خذ بنا في الأمانى
 فإني أغلبك فيها ، فقال يا أمير المؤمنين أنا أغلبك لأنى فقير وأنت خليفة ، إنما يتمنى
 المرء ما عسى أن يبلغ إليه وأنت قد بلغت الآمال ، قال : لا تتمنى شيئاً إلا تمنيت
 ما هو أكثر منه ، قال بديع ! أتمنى كفلين من العذاب وأن يلعنني الله لعناً ويلاً ،
 فقال : أعزب لعنك الله دون خلقه . . .

رقية من الشعر

دخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان وقد اشتكى مرض عرق النساء

فقال له : يا أمير المؤمنين إن مولاي بديحاً أحذق الناس برقية ، قال : جئني به .
فجاء به فرقاه فبات تلك الليلة مستريحاً هادئاً ، فلما أصبح سأله عبد الله بن جعفر
عن حاله فأخبره بما وجد من العافية ، ثم قال لبديح أكتب لنا هذه الرقية ، قال :
أقسمت عليك لتفعلن ، قال أكتب :

ألا إن أيامي وأيامك التي مضين لنا لم أدر ما ألم الهجر
مضين وما شيء مضى لك عائد فهل لك فيها أن تولين من عذر
دعى ماضى واستقبل العيش إنى رأيت لذيذ العيش مستقبل العمر
فما نازع الدهر امرأ فى انقلابه فاعتبه إلا بقاصمة الظهر

قال عبد الملك : فأى شيء هذا ؟ قال : امرأتى طالق إن كنت رقيتك إلا بهذه !
قال : ويحك استر علينا ، قال : كيف أستر ما سارت به الركبان ؟! ..

أشعب الراوية

قيل لأشعب : لقد لقيت التابعين وكثيراً من الصحابة فهل رويت مع علو سنك
حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : نعم ! حدثني عكرمة عن بنى عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خلتان لا تجتمعان فى مؤمن » قيل : وما هما ؟
قال : نسيت واحدة ونسى عكرمة الأخرى !!

وقيل له : كم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ؟ قال : ثلاثمائة
وثلاثة عشر رطلا ؟ ..

قبل الاسلام

أهدى رجل من ولد عامر بن لؤى إلى اسماعيل الأعرج فالوزجة وأشعب حاضر
فقال : كل يا أشعب ، فأكل منها فقال له : كيف تراها ؟ قال : الطلاق يلزمه إن لم
تكن عملت قبل أن يوحى ربك إلى النحل - أى ليس فيه حلاوة !

أطمع منك

قيل لأشعب : أريت أطمع منك ؟ قال : نعم كلبة لآل أبي فلان رأت شخصاً
يمضغ عليكاً فتبعته فرسخاً تظن أنه يرمى لها بشيء من الخبز الذي يأكله ..!

من وراء الحائط

خرج سالم بن عبد الله متنزهاً ومعه أهله وبناته وفي بستان له جلسوا يأكلون
فبلغ أشعب الخبر فوافاهم يريد التطفيل فوجد الباب مغلقاً فأتى بسلم وتسور الحائط
عليهم . وراه سالم فصاح : بناتي بناتي ! فقال أشعب : « لقد علمت ما لنا في بناتك
من حق وإنك لتعلم ما تريد » فضحك منه وقدم له طعاماً يحمله معه إلى داره ..!

لا يأكل ولا يشرب

قال صاحب لأشعب لو صرت معي إلى داري لأكلنا وتحدثنا قال : أخاف أن
يجيء ثقیل فيسكر بنا ؟ قال : لا تخف فلن يكون لنا ثالث فمضى معه قال : فلما صلينا
الظهر ودعونا بالطعام إذا بشخص يدق الباب ، فقال أشعب : ترى أننا قد صرنا
إلى ما نكره ؟ فقال : إنه صديق وفيه عشر خصال إن كرهت واحدة منها لم أذن له ،
قال : هات . قلت : الأولى إنه لا يأكل ولا يشرب ، قال : التسع لك . .
إذن له ؟؟ . .

أشعب بين زوجين

غاضبت مصعب بن الزبير زوجته عائشة بنت طلحة فاشتد ذلك عليه وشكى أمره
إلى خاصته ، فقال له أشعب : فما لي إذا جعلتها تكلمك ؟ قال : عشرة آلاف درهم ،
فذهب إليها أشعب وقال لها : يا ابنة عم رسول الله تفضلي بكلام الأمير فقد استشفع
بي عندك وأجزل لي العطية إن أنت كلمتيه ، قالت لا سبيل إلى ذلك يا أشعب وانتهرت

فقال : جعلت فداك كليه حتى أقبض عشرة آلاف درهم ثم إرجعي إلى ما عودك الله من سوء . فضحكت ثم قامت إلى زوجها فصالحته !...

تههدنا بالعافية

قدم محمد بن مكرم من الجبل . فقال له أبو العيناء : مالك لم تهد إلينا شيئاً ؟ فقال : والله ما قدمت إلا في خف . قال : كذبت ، ولو قدمت في خف لحقت روحك ! . وأكثر عليه أبو العيناء من المهاترة فقال له : إن زدت على قمت . قال : أراك تههدنا بالعافية !...

الولد للفراش

ولد لأبي العيناء مولود فأتاه ابن مكرم مهتأ . ثم ترك بين يديه حجراً وانصرف . فحسه أبو العيناء فوجده حجراً فقال : من وضع هذا ؟ فقالوا تركه ابن مكرم لما قدم ، قال : لعنه الله إنما عرض بقول النبي صلى الله عليه وسلم « الولد للفراش وللعاشر الحجر » ...

خلعة يستحقها !

أتى محمد بن مكرم شاعر فقال له : لقد هجوتك بشعر . فقال : قل فوالله لأني أحسنت لأخلعن عليك خلعة ، فأنشده :

يا فتى مكرم تنح عن الفخر فما مكرم وما دينار

لا تفاخر إذا افتخرت بهذين فذا كودن وذا حمار

فقال : أحسنت وسأكسوك من ثيابنا .. يا غلام إرم على ظهره ركاباً وبرذعة وضع في فمه لجاما ! !

الناس في غفلاتهم !

دخل بعض أبناء الملوك على المبرد وعنده سلة حلوى قد أعدها لبعض إخوانه فوجد ابنه الفرصة في اشتغال أبيه فأقبل يأكل منها فنظر إليه المبرد فأنشد :

الناس في غفلاتهم ورحى المنية تطحن

ماء لا بازنجان فيه !

كان أبو الحارث يكره البازنجان كراهية شديدة . وأصلح محمد بن يحيى بن خالد دعوة ، وأمر الطباخ أن يجعل البازنجان في جميع ألوان الطعام ، وحضر أبو الحارث فكلما قدم لون وهم بالأكل منعه ما يراه فيه من بازنجان إلى أن ضاق ، فأقبل يأكل بالملح فعطش فقال : إسقوني ماء لا بازنجان فيه !

إقامة الحد على البهائم !

كان نصر بن مقبل بن الوزير على الرقة ، عاملاً لهارون الرشيد . فأخذ بعض أصحابه رجلاً وجدوه ينكح شاة ، وأجمعوا الذهاب به إلى نصر . وكان الرجل ماجناً ظريفاً فقال : يا قوم إنها والله ملك يميني ، فضحكوا منه وخلوا سبيله ، وذهبوا بالشاة إلى نصر ، فأمر أن تضرب الحد فإن ماتت تصلب . قالوا إنها بهيمة . قال : وإن كانت بهيمة فإن الحدود لا تعطل وإن عطلتها فبئس الوالى أنا . فأنهى حديثه إلى الرشيد ولم يكن رآه ، وكان نصر ممشوق القدر حسن المنظر جليل القدر ، فدعا به فوقف بين يديه ، قال : من أنت ؟ قال : مولى لبنى كلاب يا أمير المؤمنين ، فضحك وقال : كيف بصرك في الحكم ؟ قال : البهائم يا أمير المؤمنين والناس عندي سواء ، ولو وجب الحكم على بهيمة وكانت أمى أو أختى لحدتها ولم تأخذنى في الله لومة لأم ، فأمر هارون أن لا يستعمل فلم يزل معطلا حتى ولى المأمون فرفع يسأله الاستعانة به فولاه طبرناباذ وأمره أن يكون على العصير بها فلم يزل حتى مات !

أبو العيناء والمتوكل

بعث المتوكل من يقول لأبي العيناء : لولا أنك ضرير لنادمناك .

فقال أبو العيناء : قولوا له : إن إعفائي من رؤية الأهلة وفك رموز الفصوص أصلح للمنادمة .

الفرزدق يتهمكم

جلس أبو بردة يوماً يفتخر بأبيه ويشيد بفضله وصحبته لرسول الله عليه وسلم وكان في مجلس عام فيه الفرزدق الشاعر المطبوع . فلما أطال أبو بردة القول والإشادة قال له الفرزدق : والله لو لم يكن لأبي بردة بن أبي موسى بن قيس الأشعري منقبة إلا أن أباه حجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لكفاه غزراً . فامتعض أبو بردة من هذا التعريض بأبيه وقال : ولكنه والله ما حجهم أحد قبله ولا بعده .

فقال الفرزدق على البديهة : كان أبو موسى والله أفضل من أن يجرب الحجامنة في رسول الله صلى الله عليه وسلم وسكت أبو بردة على غيظ .

بعض الشر أهون !

جاء رجل لسهل بن عبد الله وقال له : قد دخل اللص داري وسرق متاعى فماذا أصنع ؟ فقال له سهل : قل الحمد لله ، وإلا فلو دخل اللص قلبك وهو الشيطان وسرق منه التوحيد ماذا كنت تصنع ؟

من بيت النبوة !

ادعى رجل قرض الشعر فأنكر ذلك قومه عليه : فقال الرجل : إنما هو حسد من عند أنفسكم فلنحتكم إذا أردتم .

قال قومه : ها هو العقيلي شاعر مسموع ونظام مطبوع فلنلجأ إليه في الحكومة
فقال العقيلي للرجل : أسمعنا شيئاً أو أشياء إن شئت مما عندك ، ولما أنشد قال له
العقيلي : كفي وإني لأظنك يا هذا من أهل بيت النبوة فقال الرجل المتشاعر وقد
أخذته النشوة وكيف ذلك ؟ قال العقيلي : لأن الله تعالى يقول في كتابه الكريم « وما
علمناه الشعر وما ينبغي له » .

لحن الأمير فلحنت !

قال الحجاج للشعبي وقد دخل عليه : كم عطاءك يا شعبي ؟ فقال الشعبي : ألفين
يا أمير المؤمنين . قال الحجاج : ويحك كم عطاؤك ؟ فقال الشعبي : ألفان يا أمير المؤمنين .
قال الحجاج : فلم لحنت لأول مرة فيما لا يلحن فيه مثلك ؟ فقلت : « ألفين » .
فقال الشعبي : لحن الأمير فلحنت وأعرب فأعربت ولم أكن ليلحن الأمير فأعرب
فأكون كالمقرع له بلحنه ، والمستطيل عليه بفضل القول قبله .

علامة الزندقة

قال المهدي لشريك القاضي :
بلغني أنك فاطمي يا شريك ؟ فقال شريك :
وإني أعيذك يا أمير المؤمنين أن تكون غير فاطمي إلا إذا عنيت فاطمة بنت
كسرى .

قال المهدي : دعنا من هذا الحوار فإني رأيتك في نومي وكأن وجهك مصروف
عني وقفاك إلى كما رأيت كأني أقتل زنديقاً .
فقال شريك القاضي : والله إن رؤياك يا أمير المؤمنين ليست رؤيا يوسف الصديق
عليه السلام .

وإن الدماء لا تستحل بالأحلام وإن علامة الزندقة بينة . قال المهدي : وما هي
علامة الزندقة ؟ قال شريك القاضي :

علاماتها يا أمير المؤمنين : شرب الخمر والرشا في الحكم ومهر البغى .
فسكت المهدي وقال : صدقت وأقنعت .

لا سلام على طعام !!

أقبل أحد الأعراب على أبي الأسود الدؤلي وهو يأكل فسلم عليه فرد التحية
ولم يدعه للطعام معه ، فحاول الأعرابي أن يجتذب عطفه إليه فقال له :
أما إني قد مررت بأهلك . فقال له أبو الأسود الدؤلي : كذلك كان طريقك .
فقال الأعرابي : امرأتك حبلى . قال أبو الأسود : كذلك كان عهدي بها .
فقال الأعرابي : وولدت غلامين توأمين . قال أبو الأسود :
كذلك كانت أمها . فقال الأعرابي : ومات أحدهما .
قال أبو الأسود :

وما كانت لتقوى على إرضاع أمتين . فقال الأعرابي : ثم مات الثاني . قال
أبو الأسود :
وما كان ليبقى بعد موت أخيه . فقال الأعرابي : ثم ماتت الأم . قال أبو الأسود :
حزناً على ولديها .

فقال الأعرابي :
ما أطيب طعامك الذي أراه بعيني ولم أذوقه بفمي .
قال أبو الأسود :
لأجل ذلك أكلته وحدي .

لا جادلت أعرابياً !

قال عتبة الخزومي لأعرابي : ممن أنت يا أعرابي ؟ فأجاب الأعرابي : أنا من
قبيلة مذحج ياعتبة . فقال عتبة : أمن زيدها الأكرمين ، أو من مرادها الأطييين ؟

قال الأعرابي : لست من زيديها ولا من مرادها ، ولكن من حماة أعراضها
وزهرة رياضها .

فقال عتبة : أنا رجل من قريش . قال الأعرابي :
فمن بيت نبوتها أو من بيت مملكتها ؟
فقال عتبة :

إني من بيت ريحاتها بني مخزوم .

قال الأعرابي : والله لو علمت السر في نعت بني مخزوم بريحانة قريش ما فخرت
ولا فاخرت بها أبداً ، فإن خور رجالها ، ولين نسائها ، هو السر في هذه التسمية .
قال عتبة :

والله يا أعرابي لا جادلت أعرابياً بعدك أبداً .

بلى ! أعرفك

مشى يزيد بن المهلب في حلة جديدة متبخرّاً . فقال له مطرف : ما هذه المشية
التي يبغضها الله ورسوله . قال يزيد :

أما تعرف يزيد بن المهلب يا مطرف ؟ فقال مطرف : بلى أعرفك وأعرفك .
فأولك نطفة قدرة ، وآخرك جيفة قدرة ، وأنت بينهما تحمل العذرة .

سقط عنك الحج

دخل أعرابي على المأمون وقال له : يا أمير المؤمنين أنا رجل من الأعراب .
قال المأمون : لست بعجيب أن تكون واحداً منهم ؟ فقال الأعرابي : إني أريد الحج .

قال المأمون : الطريق وراءك واسعة . فقال الأعرابي : ولكن ليس معي نفقة
وليس معي زاد . قال المأمون : سقط عنك الحج .

أيهما أنت؟

كان مقاتل بن جساس على قضاء البصرة ، فسأله رجل عن مسألة . فقال : لا أعرف الجواب . فقال : أنت قاضى ولا تحسن المسألة ؟ قال : نعم ! لأن الثور أعظم من الحمار ولا يحسن أن يركض ركض الحمار ، قال : أيها القاضى فهذا مثلك ؟ قال : بل هذا مثلك ومثلى . قال : فأيهما أنت ؟ قال : أنبلهما وأعظمهما — يعنى الثور !

كيف حالك؟

كان المنصور قد أمر الناس بلبس قلانس طوال . وأن يكتبوا على ظهورهم « سيكفيكم الله وهو السميع العليم » وأن يطيلوا حمائل سيوفهم . فدخل أبو دلامة عليه فى ذلك الزى فقال له : كيف حالك يا أبا دلامة ؟ فقال : ما حال من صار وجهه فى وسطه ، وسيفه فى إسته وقد نبذ كتاب الله وراء ظهره ! ! فأمر المنصور بتغيير ذلك الزى ..

ليس لى منه ولد !

ودخل أبو دلامة على أم سلمة بنت يعقوب بن مسلمة الخزومية زوجة أبى العباس السفاح يعزيها فى فقدته .. فقالت : يا زند ما أصيب أحد بأمر المؤمنين غيرى وغيرك . قال : ولا سوى ، أنت لك ولد منه تتسلين به ، وأنا لا ولد لى منه ! فضحكت أم سلمة . ولم تكن ضحكت منذ مات أبو العباس .. وقالت : يا زند ما تدع أحداً إلا أضحكته ؟ !

ياكل زاده

خرج أبو دلامة مع المهدي وعلى بن سليمان إلى الصيد ، فعن لهم ظي فرماه

المهدى ورمى على بن سليمان فأصاب كلباً من كلاب الصيد ! فضحك المهدى وقال
لأبى دلامة قل فى هذا شيئاً فأبشده :

قد رمى المهدى ظيماً شك بالسهم فؤاده
وعلى بن سليمان رمى كلباً فصاده
فهنيئاً لهما كل امرئ يأكل زاده

ما أفلح قط

كان أبو العباس السفاح مولعاً بأبى دلامة لا يحب مفارقتة ليلاً ولا نهراً لكثرة
نوادره ، وجودة شعره ، ومعرفته بأيام الناس وأخبارهم ، وكان أبو دلامة يهرب
منه جهده ، ويغشى حانات الخمارين فيشرب مع إخوانه من الشعراء ، وكان يحب
مجالستهم لما فيها من الراحة له وطرح الكلفة . فقال له السفاح : مالك تحيد عن
مجالستنا وتهرب من مؤانستنا فقال : والله يا أمير المؤمنين إن الفضل والشرف والعز
والخير كله فى الوقوف ببابك ولزوم خدمتك ولكننا نكره أن تملونا ، فتنقص أنفسنا
من أجل ذلك ، فقال أبو العباس : لا والله ما ذلك كما ذكرت ، ولا مللتك قط .
وإنك لتعلم ذلك ، ولكنك قد اعتدت حانات الخمارين ومجالسة أهل المجون ،
ثم أمره بلزوم قصره لا يبرحه ووكّل به من يمنعه من الخروج ، وأمره بملازمة
المسجد الذى يصلى فيه حتى أضرب به ذلك فقال :

ألم تعلموا أن الخليفة لزنى بمسجده والقصر ، مالى وللقصر
أصلى به الأولى مع العصر آيساً فويلى من الأولى وويلى من العصر
ويحبسنى عن مجلس أستلذه أعلل فيه بالسماع وبالخمر
ووالله مالى نية فى صلاته ولا البر والاحسان والخير من أمرى
وحاضره والله يصلح أمره لو ان ذنوب العاملين على ظهري !
فلما بلغت الأبيات السفاح ، قال : دعوه وشأنه فوالله ما أفلح قط . . .

في قفص الدجاج !

شرب أبو دلامة مع حماد عجرد خمرًا ، فأتى المهدي بأبي دلامة وقال :
استنكهوه . ففعلوا ووجدوا بفيه رائحة الخمر ، فأحب أن يعذب به ، فأمر الربيع أن
يحبسه في بيت الدجاج ويطين عليه الباب ففعل ثم أمر به بعد يومين فأخرج ملبياً
بطيلسانه ، فأقيم بين يديه ، فقال له : يا عدو الله أتشرب الخمر ؟ سأقيم عليك الحد
ولا تأخذني فيك لومة لائم . فأنشد أبو دلامة :

أمير المؤمنين فدتك نفسى	علام حبستنى وخرقت ساجى
أقاد إلى السجون بغير ذنب	كأنى بعض عمال الخراج
ولو معهم حبست لكان خيراً	ولكنى حبست مع الدجاج
.....	

فأمر به فأقيم عليه الحد ثم أمر له بأربعة آلاف درهم ! .

يؤتى بها الساعة !

ماتت حمادة بنت علي بن عبد الله بن عباس ، فذهب المنصور إلى شفير قبرها
ينتظر الجنائزة ، وكان أبو دلامة حاضراً ، فقال : ما أعددت لهذه الحفرة يا أبا دلامة ؟
فقال : عمة أمير المؤمنين يؤتى بها الساعة ! ...

أملك معنا !

أخذت امرأة في زنا ، وطيف بها على جمل فمرت ببعض الحبان فقال لها : كيف
خلفت الحاج ؟ قالت بخير .. وقد كانت أملك معنا ولكنها خرجت في النفر الأول !

كذبت يا هذا !

قال رجل للجهاز : أنا وجع من دمل في . فقال له : وأين هي ؟ قال في أخس

موضع منى .. قال : كذبت يا هذا . لأننى لا أرى فى وجهك شيئاً ! ؟

لا تفلح أبداً !

قال رجل للجهاز : أنا رجل جامد العين لو مات أبى ما بكيت ، ولكنى إذا سمعت الصوت الفريخ من الوجه المليح بكيت حتى أغمى . فعلام يدل هذا ؟ قال : على أنك لا تفلح أبداً !

مات فرحاً !

قال بعض جلساء المتوكل : كنا نكثر عنده ذكر الجمار حتى اشتاقه ، فكتب فى حملة من البصرة فلما دخل عليه أخم . فقال له المتوكل : تكلم فإنى أحب أن أستبرئك ، فقال بحیضة أم بحیضتين يا أمير المؤمنين ؟ فضحك المتوكل ، ثم قال له الفتح : قد ولاك أمير المؤمنين على القردة والكلاب ! قال : فاسمع لى وأطع فأنت من رعى ! فقال له : إذا وهب لك أمير المؤمنين جارية ، فما تصنع بها ؟ قال : أنا أعرف من نفسى ، ما تحتاج والله جارية إلا أن أقود عليها ، فضحك المتوكل وأمر له بعشرة آلاف درهم . فمات فرحاً ولم يصل إلى البصرة !

دعوت أناساً

كان الجمار لا يدخل بيته أكثر من ثلاثة لضيقه . فدعى ثلاثة من إخوانه . فأتاه ستة منهم ووقف كل واحد على رجل واحدة وقرعوا الباب . فنظر من كوة فى أسفل الباب — وكذلك كان يفعل دائماً — فعد ستة أرجل . فلما فتح الباب ودخلوا . قال لهم : أغربوا عنى فإنى دعوت أناساً ولم أَدع كراكى ! ؟

انصرف فى غير حفظ الله

كتب ابن الكلبي صاحب الخبر إلى المتوكل : أن المعروف بابن المغربي القائد قد

اجتاز البارجة بالجسر وهو سكران ، فشخر ونخر ، وبربر وزجر وجرجر ، وبأبأ بفيه ، وخرق الشريحة ومر منصلاً ، وقال : أنا الكر كدن فاعرفوني ! فضحك المتوكل حتى استلقى ، وقال : قد عرفنا ما كتب به البغيض إلا حرفاً واحداً فعلى به ، فلما جاء قال له : مامعنى بأبأ بفيه ؟ قال : يا مولاي لما توسط الجسر قال بفيه . بب . بب . فقال له المتوكل : إنصرف في غير حفظ الله !

تترى إن شاء الله

ركب المأمون ليلاً فإذا بثامة بن أشرس سكراناً ، فلم علم بالمأمون تواري عنه ، فقصده المأمون حتى وقف عليه فقال : ثامة ؟ قال : أى والله . قال : أسكران ؟ قال : لا والله ! قال : عليك لعنة الله ! قال : تترى إن شاء الله ! فضحك وتركه ..

قارورة زئبق !

قال أبو العيناء : إستودع رجل عند إمام محلة قارورة زئبق فحجده إياها ، وقام يصلى بهم شهر رمضان وقرأ « قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون » وكررها فقال الرجل : قارورة زئبق !

أنا أمير المؤمنين

إنفرد المهدي عن عسكره فاجتاز برجل على ماء ، فقال له : أعندك طعام ؟ قال : نعم وقدم إليه سفرة كانت معه ، فأكل المهدي ثم غسل يديه . فقال له الرجل : لك الله معى شراب فهل لك فيه ؟ قال : نعم ، فشرب فلما انتشى قال : أتعرفني ؟ قال : لا . قال : أنا صديق لوزير أمير المؤمنين ، وسأسأله في أن يسبب لك أسباباً تنفع بها ، ثم شرب قدحاً ثانياً وقال : أتعرفني من أنا ؟ قال : لقد قلت إنك صديق لوزير أمير المؤمنين ، ثم شرب ثالثاً . وقال : أتعرفني من أنا ؟ قال : قل لكي أرى . قال : أنا أمير المؤمنين . فسد الرجل ركوته ونحاهها بعيداً ، فقال له المهدي :

لم عجلت برفعها ؟ قال : لقد شربت ثلاثة أقذاح فادعيت بالخلافة فخشيت أن تشرب الرابعة فتدعى النبوة فليس بيني وبينك عمل ! فضحك المهدي وأدركته الخيل فجعلوا يترجلون ويسلمون عليه بالخلافة ، ثم ركب المهدي وأمرهم بالتحفظ على الرجل ، فلما تيقن الرجل من الأمر طلب أن يقربوه من أمير المؤمنين فقربوه منه . فقال يا أمير المؤمنين نصيحة ، فأدناه منه . فقال : ما رأيت أصدق منك في دعواك !! . وإن ادعيت الرابعة فأنا أول المؤمنين بك ! . . . فضحك المهدي منه وأمر له بصلة وضمه إلى ندمائه . . .

أما أنا فقطيفتي رهن

قال الصولي كان بالبصرة رجل مهلي ظريف مملق . وكان له إخوان فقالوا له : ألا تدعونا ؟ فقال لهم : دعوني فأنتم تعلمون حالي . . فألحوا عليه فارتهن قطيفة له على دراهم واشترى لهم طعاماً وشرباً ودعا مغنية . فاقترحوا عليها أن تغنيهم : ليت الدين تحملوا أخفوا أما أنا فأضر بي الحزن وقالوا له : ما رأيك ؟ فقال لهم : هذا الذي تقولونه ما أدري ما هو ؟ « أما أنا فقطيفتي رهن » فضحكوا ودفعوا له ما أنفق !

قيام الليل

دعا رجل قوماً ، فلما كان مع المغرب أراد انصرافهم وأرادوا المقام عنده ، فاقتضوه في السراج . فقال لهم : أما سمعتم قول الله تعالى « وإذا أظلم عليهم قاموا » .

يكره في شوال

سأل رجل فقيهاً عن القبلة للصائم في رمضان ؟ فقال : تكره للشاب ويرخص فيها للشيخ . قال : إنها في معشوقة ؟ قال : يا ابن أخي هذا يكره حتى في شوال ؟ . .

ذكرت ذنوبي برؤياك

مر عثمان بن حفص الثقفي بأبي نواس وقد خرج من علة وهو مصفر الوجه . وكان عثمان أقبح الناس وجهاً . فقال له عثمان : مالي أراك مصفراً ؟ فقال أبو نواس : رأيتك فذكرت ذنوبي . قال : وما ذكرك ذنوبك عند رؤيتي ؟ قال خفت أن يعاقبني الله فيمسخني قرداً مثلك ! ...

ينام خلف الناس

عندما حبس الأمين أبا نواس دخل عليه خاله الفضل بن الربيع وكان يتعهد المحبوسين ويسأل عنهم . وكانت فيه بعض غفلة فيها طرافة .. فأتى أبا نواس وقال له : ما جرمك حتى حبست في حبس الزنادقة أزنديق أنت ؟ قال : معاذ الله . قال : أتعبد الكباش ؟ قال : لا .. ولكني آكله بصوفه ! قال : أتعبد الشمس ؟ قال : والله لا أجلس فيها من بغضها فكيف أعبدها ! قال : أفتعبد الديك ؟ قال : لا والله بل آكله ، ولقد ذبحت ألف ديك لأن ديكاً قرنى مرة خلقت أن لا أجد ديكاً إلا ذبحته .. قال : فلائى شئ حبست ؟ قال : لأنى أشرب شراب أهل الجنة ، وأنام خلف الناس . قال : وأنا أفعل ذلك !! ثم خرج إلى الفضل فقال له ما تحسنون جوار الله تحبسون من لا ذنب له ؟ سألت رجلاً في الحبس عن خبره فقال كذا وكذا وعرفه بكل ما جرى من حديث بينه وبين أبي نواس فضحك ودخل على الأمين فأخبره الخبر فأمر بتخلية سبيله في الحال !

لغة التفاهم

حصلت لأبي علقمة النحوى علة ، فدخل عليه أعين الطبيب يعودده . فقال : ما تجدد ؟ قال : أكلت من لحوم هذه الجوازي فطسست طسة فأصابني وجع ما بين الوابلة إلى دابة العنق فما زال يزيد وينمو حتى خالط الخلسب والشراسيف فماذا

ترى ؟ قال : خذ خرفقاً وشرقفاً وشلبقة فزهزقه وزقزقه واغسله بماء روث واشربه .
فقال : ما تقول ؟ فقال : وصفت لى من الداء مالا أعرف ، فوصفت لك من الدواء
مالا تعرف ! قال : ويحك فما أفهمتنى . قال : لعن الله أقلنا إلهاماً لصاحبه !!

لا ينصرف !

قال الصولى سكر هارون النديم عند المعتضد سكرأ شديداً ونهض الجلساء كلهم
سواه . فقال له الخادم الموكل بالندماء إنصرف . فقال : أمير المؤمنين أمرنى بالمبيت
هاهنا واسأله . فقال يا أمير المؤمنين : هارون ينصرف ؟ قال : لا ينصرف . فلما
أصبح رآه المعتضد فقال من هذا ؟ قيل هذا هارون بن على . فقال للخادم الموكل
بالندماء متى تقدم للجلساء المبيت هنا ؟ فقال : أنت أعزك الله قلت هارون لا ينصرف
قال : أنا ؟ والله ما أردت إلا النحو !!

أعرف منك بالنحو

قال أبو العبر : قال لى أبو العباس يحيى بن أحمد بن يحيى بن ثعلب : « الظبي »
معرفة أو نكرة ؟ فقلت : إن كان مشوياً على المائدة فمعرفة ، وإن كان فى الصحراء
فهو نكرة . . فقال : ما فى الدنيا أعرف منك بالنحو . . !!

قصة دابة !

باع مزيد المدنى دابة فلما كان من الغد أتاه النخاسون طمعاً فلما نظر إليهم وقد
أقبلوا نحوه ، قام يصلى فأطال الصلاة . فقالوا له وهم لا يعرفونه : يا عبد الله لقد
ذهب يومنا . فأطعمهم طول قيامه . وكان أحسن الناس سمتاً وأظهرهم هدياً فانقتل
من صلاته وقال : ما عدالتكم قد قطعتم على صلاتى ؟ فقالوا له قد ظهر بالدابة عيب .
قال : وما عيبه ؟ قالوا : يخلع الرسن . قال : لا أعرفه بهذه الصفة فماذا تريدون ؟
قالوا : خصلة من ثلاث . إما الحطيطة وإما رد ثمن الدابة وإما اليمين بالله أنك ما تعرف
هذا فيه . فقال : أما الثمن فقد فرقناه . وأما الحطيطة فما تمكنا . وأما اليمين فإنى
ما حلفت قط على حق ولا على باطل فاعفونى منها فإنها أصعب الخطط عندى . قالوا

ما من ذلك بد فانطلق بنا إلى الوالى . فقام معهم فلما بصر به الوالى ضحك . وقال :
 ماجاء بك أبا اسحاق فقص عليه . فقال : قد أنصفك القوم . فقال : أعز الله الأمير
 أحلف وأنا فى هذه السن وضرب يده على حيته وبكى ، وقال : ما حلفت على حق
 ولا على باطل والتوى . قال : لا بد . فالتوى ساعة ثم قال : أصلح الله الأمير فإن
 حملت نفسى على اليمين وحلفت وأعنتونى بعد . قال : أوجعهم ضرباً وأحبسهم .
 فلما سمع ذلك استقبل القبلة وقال : بلغت السماء وكورت الشمس وثمرت الكواكب
 وشربت البحر ولطعت ما فى المصحف من الذكر الحكيم وتوليت عاقر الناقة وسرقت
 عصا موسى عليه السلام ولقيت الله بذنب فرعون يوم أن قال أنا ربكم الأعلى وغير
 ذلك من محرج الإيمان . لقد كان عندى دواب كلها تلخع ألسانها فكان هذا الحمار
 يقوم فيعيدها عليها ويصلحها بفمه قليلا قليلا !! فضحك الوالى حتى خفس برجليه
 وبهت النخاسون وعجبوا منه وانصرفوا ! . . .

وإن جعت يوماً لم تكونى على ذكرى !

تعشق أبو القاسم السقاء ، قينة ، فبعث إليها : حضر عندى إخوان فابعثى إلى بحام
 لوزينج آكله على ذكرك فبعثت إليه به . فلما بعث إليها : أن ارسلى لى بطبق
 مازاورد آكله على ذكرك . فقالت : جعلت فداك ذكروا أن منبع الحب من القلب
 فإذا تناهى بلغ إلى السكبد . وأنا أرى حبك لا يتجاوز معدتك . فقال : إنما فعلت
 هذا لأقوى على محبتك ألم تسمعى قول الشاعر :

إذا كان فى قلبى طعام ذكرتها وإن جعت لم تخطر ببالى ولا فكرى
 وإن كان هذا العام قد قل بقله فيقبح من يهواك يا ربة الخدر
 ويزداد حبي إن شبت تجدداً وإن جعت يوماً لم تكونى على ذكرى

نبي لم يبعث !

إدعى رجل النبوة فى زمن المهدي فخبسوه ثم أدخلوه مساء على المهدي فقال له :

أنت نبى ؟ قال : نعم . قال : إلى من بعثت ؟ قال : أوتركتمونى أن أبعث إلى أحد بعثت بالعادة وحبست بالعشى ؟ فقال : صدقت أعجلناك . وضحك منه ووصله وأطلقه ..

طمع أشعب !

قيل لأشعب : ما بلغ من طمعك ؟ قال : ما رأيت عروساً تزف إلا وظننتها لى . ولا رأيت جنازة إلا وظننت أن صاحبها أوصى لى بشىء . . . ولقد أحاط بى الصبيان مرة وهم ينادون يا أشعب : يا أشعب . . . فأضجرونى ، فدفعتم عنى بأن قلت لهم إن دار فلان تهب طعاماً لمن يذهب إليها فانطلقوا مسرعين . فلما ولوا ظننت أنى صادق فتبعتم ؟ ..!

بعث جارى !

كان أبو الأسود الدؤلى مجاوراً لبني قشير — وهم عثمانية — فكانوا يرجونه . فإذا أصبح شكاهم . فيقولون ما نحن رجمناك . الله تعالى رجمك ! فيقول : كذبتهم يا فعلاء أتم ترجمون فتحطئون . ولو كان الله رمانى ما أخطأنى .. ثم باع داره وانتقل عنهم فقيل له : هل بعث دارك ؟ قال : بل بعث جارى ؟ . . .

رجل بين حمار ونخاس

أتى رجل نخاساً فقال له : إشتري حماراً ليس بالصغير المحقر ، ولا الكبير المشتهر ، إن أشبعته شكر ، وإن أجعبته صبر ، إن خلا الطريق تدفق ، وإن كثر الزحام ترفق ، لا يصدم بى السوارى ، ولا يدخل بى تحت البوارى ، إن ركبته هام ، وإن ركبه غيرى نام . فقال له النخاس : انظرنى قليلا . . فان مسح الله ابن أبى ليلى القاضى حماراً اشتريته لك ! . . .

خطبة نكاح

قال أبو سودة لابنه : يا بني تعلم خطبة النكاح فإني أريد أن أنكح أخاك ،
قال : نعم ! قال : هات . قال : الحمد لله أحمدته وأستعينه ، وأومن به وأتوكل عليه ،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله . ^س حتى على
الصلاة . ^س حتى على الفلاح . فقال أبوه : يا بني لا تقم الصلاة حتى أذهب وأجىء فإني
على غير وضوء ! . . .

رأس الكبش ورأس النعجة

أتى رجل إلى أبي محمد النوبهاري فقال له : وضعت رأسي في حجر امرأتى
فقلت : ما أثقل رأسك ؟ فقلت : أنت طالق إذا كان رأسي أثقل من رأسك .
فقال : تطلق منك . قال الرجل : ولم ؟ قال : لأن القضاة يجمعوا على أن رأس
الكبش أثقل من رأس النعجة ! !

قل للحمار

رحم أبو العيلاء رجل على حمار وهو فوق جسر ف ضرب بيده على آذان الحمار
وقال : يا إنسان قل للحمار الذي فوقك . يقول الطريق ! ! . . .

بعض الصفات

سئل أبو العيلاء عن مالك بن طوق ؟ فقال : لو كان في بني إسرائيل ونزلت آية
البقرة ما ذبحوا غيره . قيل : فأخوه عمر ؟ قال : كسر اب يحسبه الظمان ماء حتى
إذا جاءه لم يجده شيئاً ! قيل : فما تقول في محمد بن مكرم والعباس بن رستم ؟
قال : هما الحمر والميسر إثمهما أكبر من نفعهما .

جاء رجل إلى أبي ضمضم يستعديه على رجل في دابة اشتراها منه وظهر بها عيب . فقال له أبو ضمضم : وما عيبها ؟ قال : في أصل ذنبها مثل الرمانة ، وفي ظهرها مثل التفاحة ، وفي عجيزتها مثل الجوزة ، وفي بطنها مثل الموزة ، وفي حلقها مثل الأترنجة . فقال له أبو ضمضم : أعزب عنا يا بارد . هذه صفة بستان وليست بصفة دابة ! . . .

ولاية الشيز عزل !

كان ابن حمدون أخف الناس روحاً وأحلام دعابة ، وكان المتوكل يستملحه . فقال يوماً : الزئبق من أين يجاء به ؟ فقال ابن حمدون من الشيز وأنا أعرف الناس بها . قال : قد وليتك إياها فاخرج إليها ، فضاقت به الدنيا وأنشده :

ولاية الشيز عزل والعزل عنها ولاية

فولني العزل عنها إن كنت بي ذا عناية !

فضحك المتوكل وأعفاه ! . . .

تنصرف وأنت مأجور !

قعد رجل على باب داره فأتاه سائل يسأله . فقال له : اجلس ، ثم صاح بجارية عنده فقال لها : إدفعي إلى هذا مكوكاً من حنطة . قالت : ما بقي عندنا حنطة . قال : فأعطيه درهماً . قالت : ما بقي عندنا دراهم . قال : فأطعميه رغيفاً . قالت : وما عندنا رغيف . فالتفت إليه وقال : إنصرف يا ابن الفاعلة ! فقال السائل : سبحان الله تحرمني وتشتمني ؟ قال : أحببت أن تنصرف وأنت مأجور ! . . .

معرفة الحزم

قال بعض البخلاء لعلامه : هات الطعام واغلق الباب . فقال : يا مولاي هذا خطأ ، إنما يقال : إغلق الباب وهات الطعام . فقال له : أنت حر لوجه الله لمعرفتك بالحزم ! ...

أنظم اللؤلؤ

دخل بشار على المهدي ينشد شعراً . وعنده خاله يزيد بن منصور الحميري وكان مغفلاً . فقال : ما صناعتك أيها الشيخ ؟ قال : أنظم اللؤلؤ . فقال المهدي : أتتهزأ بخالي ؟ قال : وما أقول لمن يرى شيخاً أعمى ينشد شعراً فيسأله عن صناعته ! .

استرحنا من كرى البيت

مزيد المدني ، قالت له امرأته يوماً ليس شيء أربح من عمل النبيذ فعملته ، فأتاها برجل معه درهم واحد ، فقالت : لا أبيعُهُ إلا جملة ، فأتى صاحب الشرطة وقال له : امرأتي تبيع النبيذ ، فوجه به مع الحراس وقال : كونوا معه فإن كان في بيته نبيذ فاطرحوه وامرأته في الحبس ، وإن لم يكن فيه شيء فردوه إلى خجاءوا إلى منزله فوجدوا النبيذ ، فقال لامرأته : قد جئتُك بمن يأخذ جملة ، فكسروا جرار النبيذ وجلدوها ومضوا بهما إلى الحبس ، فلما حصلوا فيه قال لامرأته : وأزيدك فائدة عما نحن فيه لم تخطر ببالك ! قالت : وما هي يا مشؤوم ؟ ! قال : استرحنا من كرى البيت !!

سفلها يعلو

دخل مزيد على بعض الموالي ، وكان المولى ذا مال كثير وهو على سرير ممتد ، وبين يديه رجل من ولد أبي بكر الصديق وآخر من ولد عمر بن الخطاب ، وهما على

الأرض ، فتجهمه ، وقال : قبحك الله يا مزيد ! فما أكثر إلحافك ، وأشد إجحافك
كل يوم تأتيني سائلا ، قال لم آتكَ في مسألة وإنما أتيت أسألك عن معنى قول الحارث
ابن خالد المخزومي :

إني وما نحرروا غداة مني عند الجمار تؤودها العقل
لو بدلت أعلا منازلها سفلا وأصبح سفليها يعلو
فلما رأيته فوق ، ورأيت هذين تحتك عرفت معنى البيتين ، فقال أغرب عليك
لعنة الله وارفع المجلس ضحكا .

من ملح النحويين :

كتب أبو الحسن عليّ بن سليمان إلى بعض إخوانه يستعيره دابة وكلمة « دابة »
لا تجيء بوزن الشعر لأنه جمع بين ساكنين :

أردت الركوب إلى حاجة فجد لي بفاعلة من دبيت
فأجابه الفتي وكان ظريفاً :

زيد بها وجع غامر فكن أنت لي فاعل من عذرت
وقال بعض النحويين :

أفي الحق أن يعطى ثلاثون شاعراً ويحرم مادون الرضى ، شاعر مثلي !!
كما سامحوا عمراً بواو فريدة وضويق باسم الله في ألف الوصل
وقال أبو الفتح البستي .

حذفت ، وغيرى مثبت في مكانه كأتى فوق الجمع حين يضاف !!

تنام ورجلك في الخف ؟ !

كان المتوكل قد أذن لعبادة الخنث في الدخول عليه في كل حال ، فدخل عليه
وهو نائم مع سوداء كان يحبها ، فلما رآه أمرها المتوكل أن تغطي وجهها ، فقال

يا أمير المؤمنين ومن معك ؟! قال : ويلك ، أبلغ فضولك إلى هذا الحد ؟ ! ومدت
الجارية رجلها فبانت سوداء فقال يا أمير المؤمنين ، تنام ورجلك في الخف ؟ ! فقال
المتوكل قم عليك لعنة الله ، وضحك كثيراً .

رائحة الأمانى !

قال ابن أبي عتيق لامرأته تمنيت أن يهدى إلينامساوخ ، فنتخذ من الطعام لون
كذا ، ولون كذا فسمعتة جارة لها فظنت أنه أمر بصنع ما سمعتة فانتظرت إلى وقت
الطعام ثم جاءت فقرعت الباب ، وقالت شممت رائحة قدوركم فجئت لتطعموني منها ،
فقال ابن أبي عتيق لامرأته أنت طالق إن أقمنا في هذه الدار التي جيرانها يتشممون
الأمانى !!

ليتني مثل هذا

قال الأصمعي ، طلب الحجاج رجلاً ، فهرب منه ، فمر ببساط فيه كلب نائم
في ظله ، فقال يا ليتني مثل هذا الكلب ، فما أتت ساعة حتى مرّ به الكلب وفي عنقه
حبل فسأل عنه ، فقالوا جاء كتاب من الحجاج وبه يأمر بقتل الكلاب !!

كسر الجرة عمداً !

ذكر أن ناسكاً كان له سمن وعسل في جرة ، ففكر يوماً ، فقال أبيع الجرة
بعشرة دراهم فأشترى خمسة أعنز فأولدهن في كل سنة مرتين ، فيبلغ النتاج في سنتين ،
مائتين وأبتاع بكل أربع بقرة ، وأزرع ، وينمي المال في يدي ، فأخذ المساكن
والعييد ، ويولد لي ولد فأسميه كذا وأخذه بالأدب ، فإن هو عصاني ضربت بعصاي
رأسه وكانت في يده عصا فرفعها كالضارب فأصاب الجرة فانكسرت وتبدد
السمن والعسل !

غفلة جامع بن وهب

كان جامع بن وهب الصيدلاني من أكبر الناس دنيا ، وأعظمهم غفلة ، اشترى مرة ثلجاً كثيراً . ف قيل له : إنه كثير . فقال : أريد أن أمصه وأرعى بشفله ؟ . . . وأعطي بيغل له ثمناً خسيساً . فقال : ما للعقار ببغداد قيمة ؟؟ . . . ودخل بستاناً له فقال لو كيله : إغرس لى بصلا بخل فانه نافع للصفراء !.. وكتب إليه بعض الكتاب كتاباً ، فأجابه ، وعنوانه : إلى ذلك الذي كتب إلى ؟.. وعثرت به البغلة . فقال لعلامة : إنظر هل سال من أصبعها دم !.. وكتب إلى ابنه وقد خرج من مكة : يا ولدى إن قدرت أن تضحي عندنا فافعل . لنفرح بك في العيد . . . وسقطت إبنته في البئر . فقال يا بنية لا تبرحى مكانك حتى أجيء بمن يخرجك منها !..

يفر من الموت

تبخر مغفل في ثياب نفيسة فاحترقت ، خلف بالطلاق لا يتبخر بعدها إلا عرياناً ! وأراد مرة أن يكسر لوزة فزهقت عن الحجر ، فقال كل شيء يفر من الموت حتى البهائم أيضاً !

صاحب الشرطة يؤدبها

كان بمصر واعظ يقال له أبو عبد الله الخواص ، من أشد الناس غفلة ، وقف عليه رجل من العامة يقال له محمد القمقاني الحجاز فقال له : أصلحك الله لى نفس معلولة لا تجيب إلى شيء من الخير فما يصلحها لى ؟ قال : إقرأ القرآن وأكثر منه . قال : ما أحفظ غير الحمد وقل هو الله أحد وقد قرأتها مرات كثيرة ونفسي بحالها . قال : فاذا كر الموت . قال : قد فعلت فما خشعت ، ولا جاء منها شيء . قال : فأكثر من حضور مجالس الذكر . قال : من أين أجد وقد تركت شغلى ولزمت المجالس ونفسي كما هي قال : لعن الله نفسك فهي مشؤمة ملعونة والرأى أن تمضى بها إلى « جرجان بن مظهر » صاحب الشرطة يؤدبها ، لعله ينجى منها بشيء !

لثلا يرميني بحجر

أتى رجل بقرد يبيعه ، فجاء عبادى فنظر إليه فقال له صاحبه - وقد دنا من رجله : إحذر لثلا يرمحك ، فدنا من يده . فقال : إحذر لثلا يخبطك . فدنا من فمه فقال : إحذر لثلا يعضك . فتباعد العبادى ناحية . فقال له : لم تباعدت . قال : أحذر لثلا يرميني بحجر ! . .

غريق فى شبر ماء

قعد عبادى وإعرابى يأكلان فقال العبادى للأعرابى : كيف مات أبوك ليشغله بالكلام عن الأكل ؟ فقال : أصابه كذا وكذا ، فأخذ فى حديث طويل والعبادى يأكل . ثم قال الأعرابى : وأنت كيف مات أبوك ليشغله . فقال : أتخمن فمات . . ودخل عبادى الماء إلى الكعب . فصاح : الغريق . الغريق ! قيل له : مادعاك إلى هذا ؟ فقال : أردت أن آخذ بالحزم ! . .

أبلغ من حجج غيرك

حمل عبدالله بن يحيى بن خاقان أبا العيناء على دابة فأخذها منه ابنه وقال : أبعث إليك بخير منها فتأخر عنه ذلك فلقيه . فقال : ما خبرك ؟ قال : بخير يا من أبوه يحمل وهو يرجل . فقال : أنا أنفذ إليك بغلا فارهاً بغير تأخر . فتأخر عنه ثم لقيه . فقال : كيف حالك يا أبا عبد الله ؟ قال : راجل أصلحك الله ! . فضحك وأنفذ إليه بغلا زعم أبو العيناء أنه غير فار . فكتب إلى أبيه : أعلم أيها الوزير أعزه الله ! إن أبا على محمد أراد أن ييرنى فعقنى ، وأن يركبنى فأرجلنى . أمر لى بدابة تقف للنثر وتعثر بالبعرة ، كالتقضيـب الـيابس عـجفاً ، والعاشق المجهود دنفاً ، وقد أذكرت الرواة عروة العذرى ، والمجنون العامرى ، فإن رأى الوزير أن يبدلنى عنه ، ويرىحنى منه ، بمركوب يمحنى بحسنه وفراسته ماسطره العيب بقبحه ودملـمته ، ولست أذكر من أمر سرجه ولجامه ، لأن الوزير أكرم

من أن يسب ما يهديه ، أو ينقض ما يمضيه . فوجه إليه عبد الله يبرذون من برادينه
بسرجه ولجامه . ثم اجتمع مع عبيد الله عند ابنه . فقال عبد الله : شكوت دابة محمد
وقد أخبرني أنه يشتريه الآن منك بمائة دينار ، وما كان هذا ثمنه لا يشتكي منه ؟
فقال : أعز الله الوزير : لو لم أكذب مستزيداً ، لم أنصرف مستفيداً ، وإني وإياه
لكما قالت امرأة العزيز : الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين .
فضحك عبيد الله وقال : يا أبا عبد الله ، حجتك الضاحضة بملاحتك وظرفك . أبلغ
من حجيج غيرك البالغة .

ماء دجلة

ركب المتوكل زلالا ومعه قطاطة وعبادة الخنثين ، وكان قطاطة فارع الطول ،
فجعل يغني إلى أن هبت ريح شديدة وثار دجلة ، فأمسك عن الغناء فزعاً ، فقال له
المتوكل : مالك ؟ فقال ياسيدي أفزعني ما أرى ، فرفع عبادة يده وصفعه على قفاه
وقال له : يا ابن الفاعلة ، تتوهم أن في دجلة ماء يطولك ؟!

في يوم الثلاثاء

سأل حمزة بن بيض النحوي ، غلامه ، في أي يوم صلينا الجمعة ، فأطرق برأسه
ساعة ثم قال : أظنها في يوم الثلاثاء !!

ضجر سليمان الأعمش

كان سليمان الأعمش من الضجر بحيث اشتهر وانتشر ، فقال له الامام أبو حنيفة
النعمان : لولا أخاف أني أشق عليك ، لأكثرت زيارتك فقال : لا تفعل ! فأنت
تشق على والله ، وأنت في دارك !

وقيل له : عمن أخذت الحدة ؟ قال : عن يحيى بن وثاب ، وسأله رجل عن

إسناد حديثه ، فقام وأخذ بحلقه ، وأسنده إلى الحائط يخنقه ، وقال هذا سند !!
 وآتى الأعمش رجل من أصحابه يدعوه إلى طعام صنعه له ، فأدخله الحمام قبل
 ذلك وأتاه بماء حار فسكبه عليه ، فقال أحرقتني أحرقتك الله ، والله لا أدخل إليك
 ولا آكل طعامك اليوم ! ثم صنع له طعاماً بعد ذلك ومضى يقوده فوقعت إبهام
 رجله في مسلاة في الدار يلعب فيها الصبيان بالبندق ، فقال أردت أن تقلبنى في
 بر ، لله على أن أقت عندك أو أكلت طعامك ، وسلم عليه رجل من أصحابه وقد
 وجد علة ، فقال : كيف بت يا أبا محمد ؟ ثم قال له آخر كيف بت ؟ فأخرج مضربته
 ومخدته ووضع رأسه عليها ، وقال هكذا بت !!

فضيلة الصدق

قال رجل لصديق له : سر إلى نأكل خبزاً وملحاً ، فقام معه وهو يظن هذا
 الكلام على مجاز ما يقوله الناس ، فقدم إليه خبزاً وملحاً ، ووقف سائل بالباب ،
 فقال له بورك فيك ! فألح السائل بالمسألة ، فقال له والله إن قمت إليك لأوجعتك
 ضرباً ، فقال له الضيف : إذهب فوالله لو علمت من صدق إيعاده ما علمت أنا من
 صدق وعده لم تقف لحظة !!

ضعي رأس أمك

إشترى مزيد رأسين من الغنم ، فوضعهما بين يدي امرأته ، وقال اقعدى
 نأكل ، فأخذت رأساً فوضعت خلفها ، وقالت : هذا لأبى ! . فأخذ مزيد الرأس
 الآخر ووضعه خلفه ، وقال : هذا لأبى ! . قالت : فماذا نأكل ؟ قال : ضعِي رأس
 أمك ، وأضع رأس أبى .

هدية إلى السجن

دخل أشعب على أحد الولاة وكان بخيلاً ، وذلك في أول ليلة رمضان ، فأفطر
 عنده ، فقدم جدى ، فأمعن فيه أشعب حتى ضاق الوالى ، فقال يا أشعب ، إن أهل

السجن سألوني أن أوجه إليهم من يصلى بهم فى هذا الشهر ، فامض وصل بهم ،
واغنم ثوابهم ، فقال أيها الأمير ، أوخلة أخرى ، قال وما هى ؟ قال أحلف بالطلاق
والعتاق أن لا آكل جدياً أبداً .

فضحك منه الوالى وأعفاه ! .

لأننا كل خبيصاً !

ذكروا أن أحد الولاة أته سلل خبيص ، فظنها فاكهة ، فبعث إلى مساكين
المسجد ، فحضروا ، ثم فتح السلل فوجد فيها خبيصاً فندم ، وبقي متحيراً ؛ فأمر بهم
إلى السجن ، فقالوا ما ذنبنا ؟ قال بلغنى أنكم تنامون فى المسجد ، ثم تقام الصلاة
فتصلون على غير وضوء ، فقالوا خل سبيلنا ، فوالله لا أكلنا خبيصاً أبداً ، فضحك
وعلم أنهم فهموا مراده ، فأمر لهم بدراهم وخلقى سبيلهم .

التحميد ريبة

قال رجل لآخر : ممن تكون ؟ قال قرشى والحمد لله ، قال بأبى أنت التحميد

هنا ريبة !

أكلة فالودج

جلد أحد الشرطة رجلاً وكان الجلاد قصيراً دميماً ، فقال الجلاد : تقاصر لينالك
الضرب فقال ويلك ؟! إلى أكل فالودج تدعونى ، والله لو ددت أن تكون أنت
أقصر من يأجوج ومأجوج ، وأنا أطول من عوج بن عنق !

ثقيفى عند خالد القسرى

دخل إعرابى من ثقيف على خالد بن عبد الله القسرى ، فشكا إليه قلة المطر ،
وجفاف الشجر ، وكثرة العيال ، وعدم المال ، وكان خالد مبغضاً لثقيف ، فقال :
أما ما ذكرته من قلة المطر ، فوددت أن الله جل اسمه ضرب بينكم وبين السماء

صفائح من حديد ، وجعل مسيلها مما يلي البحر ، فلا تصل إليكم قطرة من مائه ،
وأما ما ذكرت من ييس الشجر ، فوددت أن الله أحرق ما لديكم منه ، أما ما ذكرت
من قلة المال وكثرة العيال ، فوددت أن الله قطع يديك ورجليك ، ولم يجعل
لأهلك كاسباً غيرك .. فقال أيها الأمير أصلحك الله ، وطأت أرضك ، وأملت رفدك
فلاتصرفني بحسرة الحرمان وأجعل قرأى منك بقدر أملى فيك ، لا بقدر نسي عندك
قال يا غلام إعطه بدرة ، ثم زاده أخرى .

عليه اللعنة

أراد قوم من البصرة الجمع ، فقال أحدهم على الطعام ، وقال الآخر على الشراب
وقالوا وما عليك أنت يا أبا إسحاق ، قال على لعنة الله إذا لم آكل وأشرب معكم ،
فضحكوا منه ، ومضوا به .

أنصيحة طفيلي

قال أبو دراج الطفيلي لأصحابه : لا يهولنكم غلق الأبواب ، ولا شدة الحجاب
وتحذير العقاب ، ومنازمة الألقاب ؛ فان ذلك صائر بكم إلى محمود النوال ، ومنع
لكم عن ذل السؤال ، واحتملوا الوخزة الموهنة ، واللطمة المزمطة في جنب الظهر
بالبغية ، والدرك للأمنية ، فاذا وصلتكم إلى مرادكم فكلوا محتكرين ، وادخروا لغدكم
مجتهدين ، فانكم أحق بالطعام ممن دعى إليه ، وأولى ممن صنع له ، فكونوا لوقته
حافظين ، وفي طلبه متمسكين !!

ما ينبغي وما لا ينبغي

كان أبو الينبغى ضعيف الشعر ، فلما يصح له الوزن ، إلا أنه كان ظريفاً لبقاً ،
دخل عليه وقد حبس أحد أصدقائه ، فقال له ما كان خبرك ؟ قال : أبو الينبغى ،
قال ما لا ينبغي ! ففعل به ما ينبغي !

ومما يسأل عنه أصحاب المعاني ، هل هو مدح أو هجاء ؟! قوله :
تكمّل فيه البخل والجود فاعتلى بفضلهما ، والبخل بالمرء يزرى !!

ذكاء صبي

قال رجل لامرأته ، الحمد لله الذي رزقنا ولداً ذكياً ، قالت ما رزق أحد مثلاً
رزقنا ، فدعياه ، فجاء ، فقال له الأب : يا بني ، من حفر البحر ؟! قال : موسى بن
عمران . قال : من بلطه ؟ قال : محمد بن الحجاج !! فشقت المرأة جيبها ، ونشرت
شعرها وأقبلت تبكي فقال أبوه : مالك ؟ قالت : ما يعيش إبنى مع هذا الذكاء .

طالق ثلاثين

قال مزيد لامرأته ، أنت غير شفيقة على ولا راعية لى ، فقالت والله لأنا أرعى
بك من التى كانت قبلى ، وأشفق ، قال أنت طالق ثلاثاً ، لقد كنت آتيها بالجرادة
فتطبخ لى منها أربعة ألوان ، وتشوى جنيها ، فدعته إلى القاضي ، فجعل
القاضي يطلب له المخرج ، فقال : أصلحك الله ، لا عليك ، إن أشكلت المسألة
فهمى طالق ثلاثين !

أنا أزرع وأنت تحصد

كان أبو حبيب مضحك المهدي ، يحفظ نوادر مزيد ، ويحكى عنها ، فيصله
المهدي ، فقال مزيد لأبي حبيب ، بأبي أنت ؛ أنا أزرع ، وأنت تحصد ؟!

يكفينى ستة أشهر

قيل لقنية : صوم يوم عرفة كفارة لذنوب السنة ، فصامت إلى الظهر وأفطرت
فقيل لها : ما هذا ؟ فقالت يكفينى كفارة ستة أشهر !

ابن الرومي ، والوسواس الخناس

كان ابن الرومي شديد التغير سريع الانقلاب ، ضيق الصدر ، قليل الصبر ، مفرط الطيرة غالباً فيها ، وكان عظيم التخوف ، كثير التجسس ، يراه من يلقاه كالمتوجس المذعور ، ذكر بعض أصحابه أنه سأل الموفق في قدح محكم رآه فأعجبه فوهبه إياه . وكنت معه وقد خرج من دار السلطان فوضعه على رأسه . ثم وضعه بسرعة على ركبته . ثم رمى به فكسره فقلت : ما هذا الحاطر الفاسد ؟ قال : وصل إلى هذا القدح وما على الأرض أحب إلى منه ، فوضعت على أشرف أعضائي ! ثم ذكرت قول بعض الحكماء : إن الصاعقة إذا قابلت الشيء الشفاف انحدرت إليه ، خفت أن تقع على صاعقة فتهلكني ، ثم وضعت على ركبتي خفت أن تصدمني دابة فينكسر ويدخل في جسمي فيكون سبب علة مزمنة ، وخفت أن يكون الذي دعاني إلى طلبه ما أراده الله بي ، فرأيت الراحة في كسره !

وكان أبو الحسن علي بن سليمان شاباً مترفاً وأديباً مستظرفاً ، وكان يعذب به فيقرع عليه باب داره . فيقال من الباب ؟ فيقول قولوا لأبي الحسن مرة بن حنظلة ، فيتطير لقوله ويقيم أياماً لا يخرج من داره ، وكان ذلك سبب هجائه إياه ! . وقيل إن البحترى وجه إليه من قرع عليه بابه . فقال من هذا ؟ فقال : سخطه الحى القيوم ، والمهل والغسلين والزقوم ، والشيطان الرجيم ، وكل بلاء كان أو يكون إلى يوم الدين ! فأقام مدة لم يخرج . فسأل عنه الموفق . ف قيل : هو في حبس البحترى !

من خزائن الأدب

الوفاء المتبادل

جريدة أم القرى : رمضان ١٣٥٨ — نوفمبر ١٩٣٩

في ليلة مقمرة من الليالي الناصعة ، خرج دريد بن الصمة في فوارس من بني جشم يتصيدون رزق الفلا ، وفرائس الصحراء ، ولم تكن فرائس الصحراء من أبناء آوى ، ولكنها كانت من أبناء آدم ، فما كان للعربي في جاهليته من صيد غير بني جنسه ، وما كان له من دافع على خوض الحتوف غير طلب الثأر أو طلب الرزق ، وكلاهما عنده صيد حلال ، حتى شرف الله العرب بالاسلام فانتزع من صدورهم سخائم البغضاء وعزة الجاهلية وقيدهم بحدود الشريعة السمحاء .

خرج دريد في تلك الليلة القمرية الزهراء ، في أولئك الفوارس من بني جشم حتى إذا كانوا في واد لبني كنانة يقال له «الأخرم» ، قال دريد لصاحبه من الفرسان :
هذه طلبتنا من كنانة ! فاقصدوا إليها .
فقال له رفيقه الأدنى :

ألا تبصر ما أبصر؟ ذاك الفارس ومعه ظعينة فلتكن ظعينته أول سينا من كنانة ؟
فقال دريد :

دونك وإياه ، وصحب به ، خل عن الظعينة وانج بنفسك ! فسار رفيق دريد فلما انتهى الى الفارس ، صاح به وألح عليه دون أن يلقى اكترائاً من البدوى المثلث ، فإنه لم يلقى إليه غير إشاحة عاجلة من وجهه الذي لم يكن بادياً تحت لثامه الأغبر ، فلما أثقل الفارس على ذلك البدوى ، وهم به لم يجد المسكين بداً من أن يلقى من يده زمام الناقة التي تحمل ظعينته ، ولكن لا ليسلمه إلى الفارس المغير بل أسلمه إلى الظعينة نفسها وخاطبها قائلاً :

سيرى على رسلك سير الآمن سير رداح ذات جأش ساكن

إن التأتى دون قرنى شائى أبلى بلائى واخبرى وعافى

وأقبل البدوى الملمم بوجهه على الفارس الغارق فى حديدته وعدة حربيه ، فحمل عليه حملة صادقة القوة ، بعيدة المهمة ، فأرداه لتوه قتيلا من رمح واحد ، وأخذ فرسه الجافل فأسلمه إلى الظعينة لتجنبه فى ناقتها ، فى غير زهو ولا خيلاء .

وفما كان البدوى يصلح من شأنه ، ويهم باتخاذ سبيله الذى هو ماض إليه كان هذا الحوار يدور بين دريد وبين فارس آخر من رفقته الأدينين :

دريد — ماذا صنع فلان الذى بعثناه لسلب الظعينة ؟

الفارس — لا شىء من خبره ، غير أن غيبته أجواف الصحراء فى صميمها ولا بد أن يكون له مع البدوى وظعينته شأن .

دريد — وأى شأن ذلك الذى يحتمل أن يكون ؟ إمض إليه فاستنجزه وأقدم علينا بالظعينة .

مضى الفارس الآخر ، وهو أشد ما يكون شوقاً إلى الوقوف على جلية الخبر ، وأشد ما يكون عطشاً إلى نهل جرعة من دماء ذلك البدوى لو أن نفسه حدثته بشىء ولو قليل من الصيال ! فلما انتهى إلى حيث شهد ما شهد بأمر عينيه ، لا برواية تطرق سمعيه ، كاد يذهله هول ما لم يصدق فيه عينيه الجاحظتين ، وصاح بالبدوى الملمم : ويلك لا أم لك ، خل عن الظعينة وخذ من يدى طعنة عاجلة تسقيك الموت العاجل ! ولشد ما كانت دهشة الفارس حين لم يسمع جواباً من البدوى الذى يخاطبه ، وحين لم يجد منه أكثرائاً ولا اهتماماً ، حتى أيقن فى نفسه أن الرجل أصم فأراد أن يصدقه القول ويخلص إليه النصيح قبل أن يفصل رأسه عن جسده بضربة واحدة من سيفه . فصاح به صيحة أخرى لعله بعد سماعها يلقي بالظعينة وينجو بنفسه من الموت المحقق ، فكان نصيبه من إجابة البدوى واهتمامه ، لا يقل عن نصيبه من الإجابة الصماء الأولى التى لم يظفر فيها بنعم أو بلا ، لولا حركة بدرت من البدوى إذ عمد إلى تسليم زمام الراحلة إلى الظعينة ، ثم أنشأ يقول :

خل سبيل الحرة المنوعة إنك لاق دونها ربيعة
في كفه خطية مطيعة أو لاخذها طعنة سريعة
والطعن منى في الوغى سريعة

ثم حمل عليه في مثل لمح الطرف أو رجع البصر ، فصرعه وجندله بضربة واحدة
لا ثانية لها .

كان هذا يجري في حلبة الظعينة ، وأمام بصرها بينما كان دريد بن الصمة يكلم
ثالث فرسانه بقوله :

— ويلك ! لقد غاب الفارسان ، ولا أتصور أن مكروهاً حاق بهما ، إلا أن
يكونا طمعا في غير مطمع وأن يكون شيطان الجشع سول لنفسيهما الهرب بالظعينة
والنعمة بسبيها ، فاتخذنا سبيلهما في الصحراء قافلين !
فقال الفارس الثالث المعنى بالكلام : —

— هون عليك فأنا آتيك بنجرهما وبالظعينة على عجل .

قال دريد : لعل الخطب أهون مما تقول فعجل قبل أن ألحق بهما أو أستبطنك
فألحق بكم جميعاً .

ومضى الفارس لطيته ناحية زميله المتقدمين فما هو إلا أن بصر بزميله مجندين
وبالبدوى المثلث يقود صاحبه آخذاً سبيله حتى فغر فاه من الدهش ولم يلبث أن صاح
بالمرأة وتوجه إلى صاحبها حاملاً عليه فقال البدوى لصاحبه أقصدى قصد البيوت
ثم أقبل على الفارس الثالث وهو يقول :

ماذا تريد من شقيم عابس ألم تر الفارس بعد الفارس
أرداهما عامل رمح يابس

فلم يلبث في مثل كر الطرف ورجع البصر أن ألحقه بصاحبيه وأخذ سبيله ماضياً
إلى شأنه كأن لم يكن هناك ما يهد الحيل ويصرع القوى سوى أن رمح الندى كان
عوناً له على جندلة هؤلاء الثلاثة الأبطال قد كسر فلم يعد ينفع بشيء .

وفما كانت هذه الحلبة تستعر ، كان صبر دريد قد نفذ فلم يجد بداً من مجابهة الحقيقة الواقعة التي تخيلها وهي أن صحبه قد أطمعتهم غنيمة السبي فهربوا بالظعينة غير مبالين ، فعول على اللحاق بهم وما هي إلا هنيهة حتى كان واقفاً إلى جانب زملائه الفرسان المجندين وصاحبهم البدوى الأعزل . فماذا كان في هذا الموقف الرهيب ؟

إن البطل الشجاع ، يقدر البطل الشجاع ، وإن دريداً لفارس قومه وكبيرهم فكيف يرى في هذا الفارس المغوار الأعزل من السلاح . هنا نقطة الارتكاز كما يقولون وهنا الصخرة التي تتحطم عليها الآراء . فلو أن دريداً لم يكن شجاعاً ولم يكن مثلاً من أمثلة الأخلاق العربية على حقيقتها لما كان أهون عليه من التعجيل على صاحبه البدوى بضربة واحدة يقصم بها ظهره ، فيستبيح السبي والظعينة ، وينتقم لأصحابه القتلى الذين جندلهم في لحظات متتابعة . ولكنه عوض ذلك التفت إلى الرجل وقال له :

إن مثلك لا يقتل أيها الفارس ، فإنك بطل شجاع ، ولا أرى معك سلاحاً والخيـل نائرة بأصحابك فدونك هذا الرمح وإني لمنصرف إلى أصحابي ومشبطهم عنك . وانصرف دريد إلى أصحابه فقال لهم إن فارس الظعينة قد حماها وقتل أصحابكم وانتزع رمحي ولا مطمع لكم فيه فانصرفوا عنه . وامثل القوم لما أمرهم به دريد ، ولكنه ظل وحده في هم ناصب مقعد مقيم وعرج على ناحية من طريق البدوى المجهول وأنشد :

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله	حامى الظعينة فارساً لم يقتل
أردى الفوارس لم يكونوا نهزة	ثم استمر كأنه لم يفعل
متهللاً تبدو أسرة وجهه	مثل الحسام جلته كف الصيقل
يزجي ظعنته ويسحب رقه	متوجهاً بمناء نحو المنزل
وترى الفوارس من مهابة رمحه	مثل البغاة خشين وقع الأجل
ياليت شعري من أبوه وأمه	يا صاح من يك مثله لا يجهل !

ومضى البدوى إلى طيته وهو ينشد :

إن كان ينفعك اليقين فسائلى
إذ هى لأول من أتاها نهبة
إذ قال لى أدنى الفوارس منهموا
فصرفت راحلة الظعينة نحوه
وهويت بالرمح الطويل إهابه
ومنحت آخر بعده جياشة
ولقد شفعتهما بآخر ثالث
عنى الظعينة يوم وادى الأخرم
لولا طعان ربيعة بن مكدم
خل الظعينة طائعاً لا تندم
عمداً ليعلم بعض مالم يعلم
فهوى صريعاً للدين وللغم
نجلاء فاعرة كشدق الأرقم
وأبى الفرار عن العداة تكرمى

لقد عرفت الصحراء إذاً من هو هذا البدوى المثلث ، صاحب الظعينة وحاميتها وفارسها .

إنه سيد شباب كنانة وفارسها وحامى ذمارها وإن دريداً أصاب الصنيعة حين منح الفارس الأعزل رمحاً وحين خلى بينه وبين قومه ومن عليه بالنجاة بعد أن أردى ثلاثة من فرسان بنى جشم .

ومضت أيام قليلة فإذا بقبيلة بنى جشم تغير على بنى كنانة ، الذين هم قوم دريد بن الصمة ، فأمعن الجشميون الفتك فى الكنانيين حتى وقع عليهم وفارسهم المغوار دريد أسيراً فى يد بنى جشم . ولكن الفارس المغوار دريد أبى عليه كبرياؤه ، وأبى عليه شتمه ، أن يعلم بمكان أسره كائن من كان ! فأخفى نفسه فى ثياب الأسر ، ولم يدع ظنة تحوم حوله أو تدل الجشميين على مكاتته ، لا خوفاً على نفسه فهو يعرف مكاتها فى نفوس مواطنيه من العرب حتى ولو كانوا من أعدائه ، بل هو يعلم قيمة البطولة ذاتها وكرامتها على كل عربى وأنها أعلا منزلة من أن يكون نصيبها المهانة والازدراء لا من الموالين ولا من الأعداء . فبينما هو فى تخفيه بين طيات الأسر إذا بنسوة جئن يتهادين ، ولشد ما كانت دهشة الحى ، حين صاحت صاحبة الكلمة والرأى فيهن بعقيرة مرتفعة ، قائلة :

لقد هلكتم وأهلكتم يا آل فراس ! ماذا جرى علينا ؟ هذا والله الذى أعطى ربيعة رحمه يوم الطعينة ثم ألقى عليه ثوبها ، وقالت مرة أخرى ، أناجارة له منكم منه ، هذا صاحبنا يوم الوادى ، فسألوه من هو ؟ فقال أنا دريد بن الصمة فمن صاحبي ، قالوا ربيعة بن مكدم ، قال فما فعل ؟ قالوا قتلته بنو سليم . قال فما فعلت الطعينة ؟ قالت امرأة أناهى ، وانى امرأته ، فلا بأس عليك ولا هوان بك . والتأم شمل القوم يأترون فى أمره ، فقال قائل منهم : لا ينبغي لدريد أن يكفر نعمته على صاحبنا ، وقال آخر : لا يخرج من أيدينا إلا برضا المحارب الذى أسره ، فانبعثت المرأة فى الليل ، وهى ربيعة بنت جزل الطعان فقالت :

سنجزى دريداً عن ربيعة نعمة	وكل امرئ يحزى بما كان قدما
فإن كان خيراً كان خيراً جزاؤه	وإن كان شراً كان شراً مذمما
سنجزيه نعمة لم تكن بصغيرة	بإعطائه الرمح الطويل القوما
فلا تكفروه حق نعماء فيكموا	ولا تركبوا تلك التى تملأ الفما
فإن كان حياً لم يطق بثوابه	ذراعاً غنياً كان أو كان معدما

فلما أصبح الصباح كان القوم قد انتهوا من ائتمارهم فى أمره فأطلقوا سراحه ، فكان من شأن الطعينة أن كسته وزودته وجهزته وصرفته .

وكان من أمر دريد أن أعلن للمرأة جزاء صنعها هذا ، انه لا يشهر حرباً ولا يجرد سيفاً ولا يسدد رمحاً فى وجه بنى فراس بعد يومه هذا .
وكان ما قال

مهرجان الجن في ولادة المتنبي

أم القرى : رمضان ١٣٥٦ — نوفمبر ١٩٣٧

هذه قصيدة من عيون الشعر ، عثرت عليها بين مختاراتي ومحفوظاتي ، وهي لشاعر لبنان المعروف الأستاذ بشارة الخوري صاحب جريدة البرق البيروتية المشهور بلقب « الأخطل الصغير » كان قد نظمها وألقاها في حفلة تكريم أقيمت له في حلب .

والقصيدة متينة السبك ، رائعة المعاني ، وقد جعل الشاعر موضوعها وصف « زميله » المتنبي ، وقد كانت المنتديات الأدبية والصحف والجماعات تلهج في تلك الآونة بذكر المتنبي وتحتفل بأدبه وشاعريته وتتذاكر آثاره وتتدارس آدابه . وقد شاء أدب الشاعر وذكاؤه أن يستهل قصيدته بيت فخم من عيون الشعر يفرغ فيه كل معاني التحية والتقدير للمدينة التي كرمه أهلها « حلب » فجاء ذلك البيت في تواضعه وغمامة معناه أثنى في مادة التقدير من ألف حفلة وحفلة ، إذ أنه حمل أطرف معاني الدعوة إليها وخلع عليها من جمال الصفات ما وفقه إليه خياله الخصب البديع إذا صرفنا النظر عن المبالغة الظريفة التي احتواها البيت واشتملت عليها معانيه ، وهذا هو مطلع القصيدة :

نفيت عنك العلا والظرف والأدبا وإن خلقت لها ، إن لم تزر حلبا
واستمر الشاعر في بضعة عشرة من أبيات القصيدة ، ينسج على هذا المنوال في مثل ذلك الخيال إلى أن قال بيت القصيد :

ذر الليالي تمعن في غوايتها فقد حشدت لها الأخلاق والعربا
ولا يمكن لشاعر أن يذكر حلبا ولا يعرج على ذكر صاحبها في أمارتي الحسب

والشعر وأولهما سيف الدولة أمير بنى حمدان ، وثانيهما صاحبه سيف الشعر
أبو الطيب المتنبي ؛ وقد أعلا هذان المتصاحبان من ذكر حلب في التاريخ ، فقال
الشاعر في سياق قصيدته :

ملاعب الصيد من حمدان ما نسلوا إلا الأهلة والأشبال والقضبا
الخالعين على الأوطان بهجتها والرافعين على أرماحها القضبا
رب القوافي على الاطلاق شاعرهم الخلد والمجد في آفاقه اصطحبا
« سيفان » في قبضة الشهباء لا ثلما قد شرفا العرب بل قد شرفا الأدبا

وهذه في الواقع إلمامة موجزة قد أراد الشاعر أن يذكر بها « بنى حمدان »
ويذكر شيئاً عن السيفين ، سيف الدولة وسيف الشعر ، ولكنه انتقل بعد ذلك
إلى الكلام عن زميله الشاعر ، فقال ، وقد حلق في سماء الخيال ماشاء له التحليق :

عرش من الجن في الصحراء قد نصبوا له السرادق تحت الليل ، والقببا
كأنه تدمر الزهراء مارجة بمثل لسن الأفاعى تقذف اللهب
أوهضبة من خرافات مرقصة بأعين من لظى أو من رؤوس ظي
تخاصر الجن فيها بعدما سكروا وبعد ما احتدمت أوتارهم صخبا
فأفزع الرمل ما زفوا وما عزفوا فطار يستنجد القيعان والكتبا
تكشف الصبح عن طفل وماردة له على ثديها زأر إذا غضبا
كأنه الزئبق الرجراج في يدها أو خفقة البرق إما اهتز واضطربا
نادى أبوه — عظيم الجن — عترته فأقبلوا ينظرون البدعة العجبا
ماذا نسميه ؟ قال البعض صاعقة فقال كلا ... فقالوا عاصفا — فأبى
فقام كالطود منهم مارد لسن وقال : لم تنصفوه اسماً ولا لقباً
سنبعث الفتنة الكبرى على يده فتشغل الناس والأقلام والكتبا
واختال غير قليل ، ثم قال لهم سميته : المتنبي : فانتشوا طرباً
وزلزلوا البید حتى كاد سالکها يهوى به الرجل لا يدري له سبباً

يرى السراب عاباً هاج زاخره
إيه أخا الوفرة السوداء^(١) كم ملك
طلبت بالشعر دون الشعر مرتبة
إذن لأثكلت أم الشعر واحدها
لولا طماحك ، ما غنيت قافية
قد يؤثر الدهر إنساناً فيحرمه
أبا الفتوحات لم تزج الخميس لها
تأى التخوم فتلقاها مهالة
ما الفتح أهدي إليك الروض والسحبا
ولو فتحت بحد السيف لانحطمت
« ما كل ما يتمنى المرء يدركه »
« خذ ما تراه ودع شيئاً حلت به »
ملك البيان ، له كالملك صولته
كفى البيان ، غداة الفخر ، أن له
يا ملبس الحكمة الغراء روعتها
كأنما هي أصداء ترددها

والرمل يلتحف الأزهار والعشبا
أعاضك التاج منها ، لو بها اعتصبا
الحمد لله إن لم تدرك الطلبا
وعطل الوكر ، لا شدوا ولا زغبا
بوأتمها الشمس ، أو قلدها الحقا
من يمنع الشيء أحياناً فقد وهبا
ولا لبست إليها البيض واليلبا
مثل المريض أناه بالشفاء نبا
كالفتح ، جر عليك الويل والحربا
تيجان قوم ، حشوها الظم والرهبنا
ويدرك الغاية القصوى وما طلبا
فرب حلم جميل أورث العطبنا
وفاق إن ملك الدنيا وما اغتصبا
أم الكتاب — إذا ما اختال وانتسبا
حتى هتفنا : أوحياً قلت أم أدبا ؟
هذا إذا بث ، أو هذا إذا عتبا

(١) ذكروا أنه عندما كان في المكتب قيل له ما أحسن هذه الوفرة وهي الشعر

المجتمع على الرأس فقال :

لا تحسن الوفرة حتى ترى منشورة الضفرين يوم القتال
على فتى مشتمل صعدة يعلها من كل وافي السبال

قالوا استباح ارسطو : حين أعجزهم
مهلا ، فما الدهر إلا فيض فلسفة
من علم ابن أبي سلمى : حكيمة
أضمرت ثورتك الهوجاء فالتهمت
وغال شعرك شعر الكائدين له
حتى رجعت وللأقلام هلهلة

وإنه استل من آياته النخبا
يعود بالدرد منه كل من دأبا
وقس ساعدة ، الأمثال والخطبا ؟
من القريض الهشيم الغث والخسبا
لنفسهم حقرت أيديهم التريا
في كف أبلغ من غنى ومن طربا

اختلاف المعاني

جريدة أم القرى : رمضان ١٣٥٨ - أكتوبر ١٩٣٩

لأبي الطيب قصيدة يمدح بها عضد الدولة بين بويه ، وولديه أبا الفوارس وأبا دلف ، وقد استهلها بوصف « شعب بوان » وجعل ذلك الاستهلال في وصف الشعب بمثابة المقدمات الغزلية التي درج المتقدمون من الشعراء على إهلال قصائد المديح بها ، على حد تعبير أبي الطيب نفسه في مطلع إحدى قصائده ؛ بقوله :

إذا كان مدح فالنسيب المقدم أكل فصيح قال شعراً مقيم ؟ !

وقبل أن نسترسل في موضوعنا لا نرى بداً من الوقوف لحظة أمام هذا الاستنكار الجريء ، والتهكم البريء ، اللذين يبيدهما أبو الطيب على تلك العادة أو القاعدة التي لم يسلم منها هو نفسه ، ونعني بها تقديم القصائد بأبيات من الغزل والنسيب . ومع أنها كانت شائعة شيوعاً يكاد يكون مطلقاً أو ما هو قريب من ذلك في سائر العصور الأدبية ، فقد درج عليها أبو الطيب كما درج عليها شعراء عصره وشعراء العصور التي تقدمته وكثير من شعراء العصور التي جاءت بعده إلا أن أبا الطيب لم يفته تسجيل تلك القاعدة الشائعة مشفوعة بالتهكم والاستهجان في بيت واحد من الشعر ، وهي ظاهرة لها قيمتها من حيث إنها حقيقة استحققت الانتقاد بصور تكاد تكون إجماعية في الأزمنة التي تلت عصر أبي الطيب واستهجن وتنبذت في العصر الأخير فكان المتنبي سبق كل هؤلاء إلى تلك الملاحظة التي تهكم عليها وسخر منها ، وهكذا لم يبق الأولون شيئاً للآخرين كما يقول أكثر الناس .

فلنعد إلى موضوع بحثنا الذي نحن بصددده وهو قصيدة أبي الطيب في مدح عضد الدولة التي لم يستهلها بالغزل كعادة كثير من الشعراء المتقدمين وإنما استهلها

بوصف « شعب بوان » وجعل هذا الوصف بمثابة تلك المقدمة الغزلية التقليدية المألوفة حرفاً بحرف ، بحيث تخلص من وصف الشعب إلى مدح الممدوح كما لو كان الاستهلال بالغزل والنسيب سواء بسواء .

قال أبو الطيب في مطلع هذه القصيدة : —

مغانى الشعب طيباً فى المغانى بمنزلة الربيع من الزمان
ولكن الفقى العربى فيها غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنة لو صار فيها سليمان لسار بترجمان
ثم استرسل فى الوصف إلى أن تعرض لذكر دمشق فمدحها وقال بيتاً قد يعود وصفه إلى شعب بوان وقد يعود إلى دمشق ، وهو قوله :

تحل به على قلب شجاع وترحل منه عن قلب جبان
ونقطة الجدل فى تفسير معنى هذا البيت هى ما أورده الشراح ومفسروا المغانى من الاختلاف فيه ، فقد جاء فى تفسيره وشرحه ما يأتى :

« اضطربت كلمة الشراح فى هذا البيت ولعل أحسنها ما ذهب إليه الواحدى ، قال : تحل به أنت أيها الرجل ، أى تنزل بهذا الرجل الذى وصفه بما تقدم على قلب شجاع جرىء على الاطعام والقرى ، غير بخيل لأن البخل جبن وهو خوف الفقر ، وترحل منه عن قلب جبان خائف لفراقك وارتحالك ، وقال ابن جنى : المعنى أنه يسر بأضيافه فتقوى نفسه بالسرور فإذا ارتحلوا عنه اغتم فضعت نفسه فالقلبان على هذا وعلى ما ذهب إليه الواحدى قلبا المضيف وقال ابن فوجه ، كأنه — يقصد ابن جنى — يظن أنهما قلبا عضدا الدولة ، ولو أراد الشاعر ما قال ، لقال تحل به على قلب مسرور وترحل منه عن قلب مغموم ، فأما الشجاعة والجبن فلهما معنى غير ما ذهب إليه — أى ابن جنى — وإنما يريد الشاعر أنك إذا حللت به كنت ضيفاً له وفى ذمامه فأنت شجاع القلب لا تبالى بأحد وتفارقه ولا ذمام لك فأنت جبان تخشى من لقيك بعده ومثله قوله :

« وأن نفوساً أمتك منيعة »

إلى هنا انتهى كلام الشراح والمفسرين وقد أوردناه بنصه وحذافيره حتى يرى القارئ إلى أى حد تختلف وجهات النظر في تفسير المعانى ، وعلى الأخص في بيت واحد من الشعر ضيق النطاق محدود الغرض .

ونحن في تعليقنا على ما تقدم ، نوافق على ما قال «الواحدى» ونجزم بصحة تفسيره لما فيه من استقامة الدوق وسلامته عما جاء في تفسير « ابن جنى » الذى لا يتفق مع سياق الدوق وعما جاء في تفسير ابن « فوجه » الذى لا يتفق مع السياق الأدبى أيضاً ونضيف إلى ما تقدم زيادة في التدليل على ما نقول وزيادة في الجزم بصحة تفسير «الواحدى» ، أن مثل هذا المعنى قد ورد في أبيات لعنترة العبسى ، يماثل من بعض الوجوه الإشارة التى قصد إليها الشاعر ، فقد وصف عنترة رجاله عند ركوب الخيل للطعان ، ونزولهم عنها للهو والاستراحة وانتهاء الغارة بقوله :

« إنساً إذا نزلوا جنأ إذا ركبوا »

ومفهوم أن المعنى الذى قصد إليه عنترة هو نفس المعنى الذى قصد إليه أبو الطيب إذ يريد عنترة أن يصف قومه بالبسالة والهياج عند استقبالهم الطعان وركوبهم الخيل حباً في الطعان والنزال ، ويصفهم بالكسل والخمول عند نزولهم عن الخيل لركود نفوسهم واشمئزازها من انقضاء النزال والطعان ، وهذا منتهى الشجاعة ، كما أن استقبال الضيف بالكرم والابتسام وتوديعه بالحزن والقلق هو منتهى إكرام الوفادة وبذلك يستقيم المعنى في بيت أبى الطيب ، كما استقام المعنى في بيت عنترة .

أثر الصحافة في حياة الأمة

محاضرة أُلقيت في منتدى جمعية الاسعاف الخيرية بمكة ونشرت
بمجريدة صوت الحجاز . صفر ١٣٥٨ — أبريل ١٩٣٩

تمهيد

إذا كان من القواعد التقليدية في كل أنحاء العالم ما تواضع عليه الناس من أن
المحاضر أو الخطيب يمهّد لكلامه بتقديم الشكر للمنتدى أو الجمعية التي دعته إلى موقف
الخطيب أو المحاضر ، فإنه يؤسفني جداً أن يكون شكرى لجمعية الاسعاف الخيرية
جاء متأخراً عن أوانه فقد مضت بضعة شهور على العمل الكبير الذي قامت به
وهو فتح قسم المحاضرات في منتدائها ، وتعهد عقول أبناء هذه الأمة بالتثقيف .

ولقد سبقني إلى أداء ذلك الواجب من تشرف بتلبية دعوة الجمعية ومحاضرة
روادها فقضى بذلك جملة واجبات متسلسلة ، أولها واجب تلبية الدعوة وثانيها أداء
حق الشكر لهذه الجمعية على نهوضها بعبء هذه الحركة الأدبية ، وثالثة الأثافي
كما يقال ، أداء خدمة عامة يستفيد منها الوطن بتغذية عقول جملة من فلذات
أكباده الذين يقبلون بنهم وشوق طيبين إلى الافادة من ثمرة تجارب أولئك الرجال
المحاضرين ، وارتشاف عصارة أفكارهم ، وخلاصة معلوماتهم وتنتاج مواهبهم
ودراساتهم .

هذه الواجبات وأكثرها منها أداها من تصدى لاقامة هذه الجمعية في غير زهو ولا
خيلاء لأن إحساسه العادى لا يستشعرها ، لعزوفه عن المظهر المادى وانصراف إحساسه
الخفى إلى تأدية الخدمة العامة غير مندفع بشيء سوى ما يكمن في نفسه من الرغبة
في أداء الخدمة العامة للمصلحة العامة ، وهذا الاحساس الخفى هو الدافع للناس على

القيام بأعمال الخير وهو المحفز للنفس على التخلي أحياناً كثيرة عن منافعها المادية ، ومصالحها الدنيوية لتفضيل خدمة عامة أو عمل خيري معين ، ينساق المرء إلى أدائه والقيام به من غير أن يعرف الأسباب الباعثة له على ذلك إلا إذا أعار تفكيره بحث تلك الأسباب ، وهو ما لم يقع إلا نادراً ، وما لا يحصل إلا لمأماً ، لأن النفس التي يملكها الشغف بالخدمة العامة تكون من طبيعتها روحية لا أثر للمادية فيها إلا بما يمسك الرمق ويحفظ النداء ولو لم يكن للمحاضر من شرف في مثل موقفه هذا غير الاعتراف بهذا الجميل وأداء واجب الشكر لكفاء ذلك فخراً وشرفاً . وأما وقد فاتني ذلك من قبل فعزائي الوحيد أنكم جميعاً الحاضر منكم هنا ، والغائب ، كلكم أيها السادة « فؤاد شاكر » للجمعية .

* * *

أما موضوع « الصحافة وأثرها في حياة الأمة » فهو موضوع متشعب عويص يحتاج تفصيله إلى صحف مستفيضة لا يتسع الوقت لسماعها في إلمامة عاجلة كهذه التي أحضركم فيها ، وهو على التحقيق موضوع متسع النواحي مترامي الأطراف إذ تبارى فيه المؤلفون بسائر لغات العالم فأخرجوا فيه الأسفار النفيسة والمؤلفات الشائقة التي تتضمن من طرائف المعلومات ما يلفت النظر ويسترعى الانتباه ، وإنما سأرد بكم ما نستطيع وروده من هذا المنهل السائغ ، لنقف على جانب من جوانب الصحافة وأهميتها في حياة الأمة .

ولا يعني الآن أن أسرد لكم من المعلومات الجافة المشمولة بالأرقام والإحصاء ، ما يثقل على مسامعكم وما لستم في حاجة إلى الوقوف عليه كأن أعرض لتاريخ الصحافة وكيف كانت في نشأتها الأولى وكيف تطورت ومتى نشأت ، فتلك معلومات رياضية إن صح هذا التعبير المستعار ، وأنا يعني غير تلك النواحي مما هو أقرب إلى الذوق الأدبي .

فالصحافة أيها السادة ثمرة من ثمار المطبعة الحديثة كما كان التأليف ثمرة أولى

من ثمار الطباعة ، وقد اندفعت النفس البشرية برغبتها الملحة وإحساسها بالحاجة والفراغ ، إلى ابتكار فن الطباعة بعد إذ شاعت المعرفة شيوعاً عظيماً بين الناس حملهم على التفكير في الوسيلة التي تشبع فيهم ذلك النهم ، حتى هداهم الله إلى معرفة فن الطباعة ثم موالاة إتقانه وتهذيبه وتدرجه إلى ما تدرج إليه من سعة وانتشار ، فقد كانت المؤلفات إلى عهد غير بعيد تكتب بخط اليد ولا يمكن تداولها إلا في ذلك النطاق الضيق المحدود ، وكانت الثقافة للعقل أكثر منها للنقل وكانت المعرفة للذاكرة والحافظة أكثر منها للتقيد والتسجيل وهذه الأحاديث النبوية الكريمة بأساندها ورواياتها أصدق برهان على ما أقول ، فبسبب عدم وجود فن الطباعة في تلك العصور كان الاعتماد على الذاكرة له المرتبة الأولى في حفظ الأحاديث النبوية حتى أن الأوان لتسجيلها كتابة بطريق الرواية في ثبت مؤكداً وثقة بالغة واطمئنان عظيم ، وبالاعتماد على الرواية وقوة الذاكرة وحسن الحافظة في ذلك الزمن أمكن تسجيل تواريخ العرب وأيامهم ونوادرهم وحوادثهم ومفاخرهم وأنسابهم من غير تلكؤ ولا تلثم وكل ذلك يؤيد ما قلته آنفاً من أن المعرفة كانت للذاكرة والحافظة ، قبل أن يوجد فن الطباعة وقبل أن تتسع مذاهب الخط والكتابة . ولعلكم تذكرون بهذه المناسبة تلك القصة التي أوردتها سير الأدب عن الخليفة العباسي المنصور ووزيره وغلّامه وإن الأول كان يحفظ ما يسمع من مرة واحدة والثاني يحفظ من مرتين والثالث من ثلاث مرات ، فكان الشاعر إذا أنشده قصيدة مهما كان طولها — وعرضها أيضاً — يقول له الخليفة إنها ليست لك وقد مدحنا بها من قبل من شاعر آخر ويقدم له الدليل على ذلك بأن يعيد الخليفة تلاوتها ثم يستشهد بوزيره الذي يكون قد سمعها مرتين مرة من الشاعر ومرة من الخليفة ، فينشدها أيضاً ثم يستشهد بغلّامه الذي يكون قد سمعها ثلاث مرات ، من الشاعر ومن الخليفة ومن الوزير ، فينشدها الغلام ، وبذلك يخفق الشاعر ويدهش ويتعثر في أذْياله فيأمر بجأزته من المال على وزن الورقة أو اللوحة التي تكون القصيدة مكتوبة عليها ، وقد فطن إلى هذه العادة أديب من جهابذة الأدب في ذلك العصر ومن

أصدقاء المنصور وأراد أن يداعبه فنظم قصيدة من أصعب البحور والقوافي وأخفى شخصيته واستأذن في الإنشاد ، فلما مثل الخليفة وحاشيته ذلك الدور التمثيلي المتقن وأراد إجازة الشاعر أمر بأن يعطى له من المال على وزن الورقة أو اللوح الذى كتبت عليه القصيدة ، فاذا بالشاعر يفاجئهم بالقصيدة مكتوبة بل منقوشة على قطعة كبيرة من الصخر هى حمل بعيره الذى قدم عليه ، وتكشف الشاعر للمنصور عن حقيقته ، فكانت مداعبة لطيفة طريفة .

هذه الأحداث الشائعة أوردناها للاستشهاد بها على ما ذهبنا إليه من أن الحافظة وقوة الذاكرة وإتقان الرواية ، من المواهب الالهية الكريمة التى خص بها الأمة العربية منذ القدم ، لنخلص من ذلك إلى تقرير ما سبق أن قلناه من أن الحافظة العربية أدت بأمانة وإخلاص رسالة الدين والعلم والأدب قبل أن يوجد فن الطباعة ، ونظن أنه لا يختلف فى ذلك اثنان لبدايته وشيوعه ، فلما وجدت الطباعة وأدت مهمتها فى خدمة التأليف والنشر ، اتسع هذا الفن فوجدت الصحافة وتعاقب الفنان ، فن الصحافة وفن الطباعة فى خطوات واحدة واتجاه واحد ، وأصبح كل منهما متما للآخر ، وتعاقبا النهوض والتطور والارتقاء بدرجة واحدة حتى وصل الفن الصحفي إلى ما تشاهدون اليوم ، ووصل فن الطباعة إلى الدرجة الممتازة المعروفة وسيظل هذان الفنان يواصلان خطوات التقدم والارتقاء فى ذلك الاتجاه المشاهد إلى ما يعلمه الله فى مستقبل الأيام .

فرغنا الآن من الكلام على القسم الأول من موضوع المحاضرة وهو ما ذكرناه من التمهيد للكلام على أثر الصحافة فى حياة الأمة ، ومفهوم بالطبع أن المقصود من الموضوع التعميم لا التخصيص لأننا نقصد الصحافة على الإطلاق فى جميع الأمم ، وليس مجهولا أن الصحافة أصبحت فى حالتها الحاضرة ، حاجة ماسة من الحاجات الضرورية التى تحتاج إليها كل أمة عرفتها ، فقد تكون هناك بعض الأمم على وجه الأرض لاتعرفها وهذه استراحت منها لجهلها بإياها .

أما الأمم التي عرفت الصحافة فلا يمكن أن تستغنى عنها ، بل تزداد شغفاً بها وشعوراً بالحاجة إليها ، وهي تسير ذلك الشعور بزيادة الانتاج الصحفي يوماً بعد يوم ، وتشعر بمسئولية الحاجة إليها كلما تقوت فيها الناحية العلمية والثقافية ، ولا يمكن لأمة تعرف الصحافة أن تستغنى عنها ، فذلك رابع المستحيلات على التحقيق تحديداً لمن يقول إنه لا يوجد في الدنيا مستحيل .

وأذكر لكم في هذا الباب مثالا صغيراً يؤيد ما أقول ، فكلكم تعلمون أن في القطر المصري تصدر حوالى عشر صحف يومية وحوالى مائة صحيفة أسبوعية وكان يحدث في الظروف السياسية أو لبعض الأسباب الصحيفة وأحياناً لأسباب شخصية أو مالية ، أن تعطل واحدة من هذه الصحف أو تحتجب باختيارها عن القراء بضعة أيام أو عشرات من الأيام ، فهل تظنون أن احتجاج صحيفة واحدة من بين عشرة صحف يحدث له أثر في الجمهور أو القراء ، قد يكون الجواب سلباً ممن لم يقف على الحقيقة الواقعة ، ولكنى لأستثير دهشتكم إذا قلت إنه قد يحدث شيء من القلق الأدبي والاضطراب الذهني في نفوس الجمهور والقراء بصفة عامة ، وفي نفوس قراء تلك الصحيفة المحتجة بصفة أخص ، لأن لكل جريدة من الجرائد قراء يعنون بها عناية خاصة علاوة على عنايتهم العامة بكل الصحف على الاطلاق .

ومن المناسب أن أذكر لكم في التدليل على مدى انتشار الصحافة وشعور الجمهور المثقف بالحاجة إليها أن في مصر مثلاً عشرات الصحف بين يومية وأسبوعية فالصحف الصباحية التي تصدر في الصباح يتخاطفها الجمهور ساعة خروجها فتتفد بعد ذلك بساعة أو ساعتين وقبل أن تمضى بضع ساعات أخرى تكون صحافة الظهر قد خرجت إلى الجمهور فيتناولها في لهفة وشوق ساعة خروجها أيضاً فإذا جان وقت الأصيل برزت صحف المساء واكتظت بها الشوارع وصرخ عليها الباعة فاذا بالجمهور يقبل عليها بنفس تلك الלהفة وذلك الاشتياق . ومع أننا سبق أن قلنا إن لكل صحيفة من الصحف قراء يعنون بقراءتها وتفضيلها على غيرها إما لأسباب حزبية أو لأسباب

أخرى غير ذلك إلا أن جمهرة القراء في مجموعها مشتركة كالأسرة الواحدة في قراءة جميع الصحف وإنما وجه التفضيل يرجع إلى الأسباب الخاصة الباعثة عليه ، فالرجل الحزبي يقرأ صحيفة حزبه لتعزيدها ومعرفة أخبار حزبه ومقرراته وما يعنيه من الشؤون الخاصة ولكنه لا يقتصر على ذلك بل يشترك مع أسرة القراء في معنى بمطالعة الصحف الأخرى ليقف على رأى منافسيه في الحزبية وعلى آراء الأحزاب الأخرى ثم يقرأ الصحف المستقلة والمحايده التي لا تنتمى إلى حزب معين أو هيئة بذاتها ليقف منها على مصدر الأخبار التي لا تشوهها الحزبية وليطالع فيها غير ذلك من الميزات التي يفقدها في الصحف الأخرى وهناك عوامل غير التي ذكرناها تدفع القارئ إلى مطالعة جميع الصحف التي تصدر في بلده ، منها وأهمها ، انتشار الثقافة العامة وسعة التعليم بين مختلف طبقات الأمة ومنها شغفه بالوقوف على أحدث الأنباء سواء المحلية أو العالمية ، ومنها المنافسة الصحفية التي تحدث بين الصحف باجتماع جمهرة القراء إليها وموالاته الابتكار في الشؤون الصحفية .

وأخيراً هناك من الأسباب الشخصية ما يحمل القارئ على أن يطالع جميع الصحف لتقضى النواحي التي تعنيه شخصياً في نواحي الثقافة العامة فالشاعر يحرص على قراءة الصحف ليطالع ما تنشره من الشعر والرياضى يحرص على مطالعة الصحف لقراءة الأخبار الرياضية والسياسى كذلك والأديب والتاجر والفنان والعامل والصانع والمزارع وكل أولئك وأمثالهم خصوصاً بعد أن انتشرت وسائل الثقافة والصحافة وأصبحت الصحيفة الواحدة المبوبة المرتبة تجمل في أعمدها وتفصل في إجمالها شتى الأفانين العلمية والثقافية المتنوعة كوجود أبواب فسيحة للفنون العلمية الفنية أو العلوم الفنية مثل الرياضة ، والأدب الشعر ، والموسيقى ، واللاسلكى والقصص الطويلة والقصص القصيرة والروايات المتسلسلة المتتابعة وأخبار المجتمعات والسينما والمسارح وأخبار الدول البعيدة المترامية الأطراف والحياة الاجتماعية والأدبية لمختلف الشعوب وما إلى ذلك من الشؤون الصحفية الحديثة .

أيها السادة : هذا هو شأن الصحافة في مصر بملخص موجز إلى أبعد حدود

الإيجاز ، أما في أوروبا فالحال يختلف عن ذلك كثيراً بقياس أترك لكم حكم تقديره وليس في ذاكرتي الآن من الدقائق التفصيلية ما يحملني على إيراد بيان متسع عن انتشار الصحافة في أوروبا واتساعها ولكنني بمثل ذلك الإيجاز سأذكر ما أستطيعه الآن .

تعلمون حضراتكم أن نسبة التعليم في أوروبا مرتفعة عن أي نسبة أخرى في غيرها من الأقطار فقد نهضت أوروبا لمحاربة الأمية في بلادها وجعلت التعليم لازماً حتى ترتب على ذلك ارتفاع نسبة عدد المتعلمين وكلما كان الشعب متعلماً كلما ارتفعت نسبة القراءة وارتفع مستواهم الثقافي وقد ترتب على ذلك أن شاع الاهتمام بالصحافة بين مختلف طبقات تلك الأمم تبعاً لثقافتها العلمية بحيث ترى الزارع يستصحب جريدة الصباح قبل أن يدخل إلى مزرعته وقل مثل ذلك عن الصانع والعامل والموظف والتاجر وغير هؤلاء ممن تتألف منهم طبقات الأمة الواحدة ، وبالنظر لهذا الشيوع الصحفي بين الجمهور الأوروبي تجد أن الصحف الأوروبية تطبع من أعدادها أرقاماً يظنها القارئ أو السامع خيالية لا أثر للحقيقة فيها وهل يصدق الإنسان العادي أن جريدة من صحف لندن تطبع ثلاثة ملايين من النسخ في اليوم الواحد إلى الخمسة في كل صباح أو مساء وهل يتسع ذهن القارئ أو المستمع لتخيل هذا العدد الضخم والرقم الهائل وكيف يدبر وكيف يدار وكيف ينجز على أكمل وجه في ساعات محدودة من ساعات النهار أو الليل .

وقد امتازت الصحافة الأوروبية والأمريكية أيضاً باتقان فن التصوير الصحفي إلى أبعد حد ، فكما تقدم فن العبارة — وهو الكتابة — تقدم فن الإشارة — وهو التصوير — إن صح هذا التعبير ، فالصحيفة في أوروبا تصدر أحياناً وفيها خبر من الأخبار الصحفية التي وقعت في يوم صدورها ، مكتوباً باللغتين لغة العبارة ولغة الإشارة ، أي أن الصحيفة تنشر الخبر مؤيداً بصورته الواقعية ، وقد ساعد على ذلك كما هو معروف تقدم فن التصوير ، فهو عندهم كامل الأدوات بأقسامه الثلاثة ،

قسم الفوتوغراف ، وقسم الكاريكاتور ، وقسم الروتوغرافور ، ولهذا التصوير المتقن أثره البالغ في حياة الصحافة ورواجها وسعة انتشارها ، لما فيه من الطرافة والفائدة .

وأغرب من هذا الذى نقوله عن أوروبا ، ما هو واقع فى أمريكا ، فهناك إدارات الصحف تستظل بالقصور الشائقة الشاهقة بحيث تكاد تكون إدارة الصحيفة شبه مدينة صغيرة لكثرة عدد من تضمهم من العمال الذين يقومون بشق الأعمال المتعلقة بإصدار الجريدة وهناك الآلات الفنية وأدوات الطباعة الحديثة والتصوير ما يبهر العقول ويدهش الأذهان ، وذلك هو السر الوحيد فى إمكان إصدار الصحف بذلك الحجم الهائل والسرعة الناجزة والوقت المحدود . وكما قلنا إن نسبة التعليم فى أوروبا هى التى ساعدت على نمو الصحافة وانتشارها ، فالحال كذلك فى أمريكا عدا ما هو موجود من الفوارق الطبيعية فى اختلاف الانتشار الصحفى لاتجاه الميول فى نفسية كل شعب إلى الناحية الطريفة التى تستهوى انتباهه وتستثير إعجابه وتتحدد هذه الفوارق ، وتعرف تلك الميول ، من الأسلوب الطبيعى من أساليب الحياة عندها .

زهو الشعراء واعتزازهم

عرف المتنبي بحبه للفخر والزهو ، والمبالغة فيه ، كما عرف ذلك في بعض شعر شوقي .

ولسنا الآن في مقام الموازنة بين الشاعرين في هاتين الناحيتين ، ولكن هذه المقارنة ساقنا إليها الموضوع الذى نحن بصدده ، وهو أن نذكر بعض الاعتزاز والزهو في شعر المرحوم احمد شوقي بك الذى لم يعن بدراسته كثير من الأدباء بما يجب لمقامه ومكاته ، على تقيض أبى الطيب الذى قتل الناقدون شعره بحثاً وتمحيصاً في كل عصر منذ عرف أبى الطيب إلى اليوم وإلى الغد .

وقد تكون لشوقي بعض الأعذار في ذلك الاعتزاز لما عرف به في حياته من المكانة الخاصة في الهيئة الاجتماعية ، التى ترتبت على دراسته العالية واتصاله بملوك مصر وثرائه الكبير وغير ذلك من الأسباب التى طارت بنباهة ذكره ما بين مشرق الأرض ومغربها . فانظر معى فيما يقوله شوقي عن نفسه مخاطباً الشعراء لا في مصر وحدها ولا في الشرق معاً ولا في قارة من القارات ، لكن اسمع ماذا يقول لشعراء الزمان :

شعراء الزمان مهلا رويدا إن في مصر شاعراً لا يجارى
حاملا في الصبا لواء القوافي مسترقاً لملكه الأشعارا

هذا ما قاله الشاعر في صباه فلما تقدمت به السن بعد ذلك استرسل في يقينه بنفسه وبشعره إلى ما ترى فيما يلى :

قال من قصيدة يخاطب بها خديوى مصر :

رمى بى القوافي من رمى السحر قبلها بموسى وأعيى بابن مريم الطبا
فأسمعت « عباس » الندى كل آية من الشكر لم تترك لندى منطق ريبا

وقال من قصيدة أخرى في مثل هذا الموضوع :

وإليكها عذراء لا يرجى لها وصل ولا باع الشيوخ يطولها

تهتز أعطاف الملوك مثلها لو كان يجدى في القريض مثلها

وحدث أن توفي الأمير عبد القادر نجل خديوى مصر السابق عباس حلمى وأريد دفنه فى مصر فقدمت به من الاستانة جدته أم الحسين ورئى إذ ذاك ألا تستقبل باحتفال رسمى حسبما قضت الظروف السياسية آنذاك فاستقبلها شوقى بك بقصيدة من عيون الشعر ، سار بذكرها الركبان مطلعها :

إرفعى الستر وحي بالجبين وأرينا فلق الصبح المبين

وقفى المودج فينا ساعة نقبس من نور أم الحسين

وقال ، وكأنه يعتذر لها عن منع الحفاوة الرسمية :

لا تروى غير شعرى موكباً إن شعرى درجات الخالدين !

ولا أذكر لشوقى من مواقف التواضع وإنكار الذات غير موقفين اثنين ، لا أظن أن لها ثالثاً ، وأحدهما فى هذه القصيدة التى نحن بصددھا حيث قال منها معزياً لأم الحسين :

ليس من قدرى وقدر الشعر أن نرفع الصبر لأم الصابرين

التى حجت وزارت ورأت تحت هذا الترب خير المرسلين

والموقف الثانى يوم أقيمت حفلة تكريمه الكبرى بمصر منذ سنة ١٩٢٦ وخطب فيها أقطاب البيان فى البلاد العربية ، وكأن شوقى لم ير من الذوق واللياقة فى موقف كهذا أن يجرى مع هوى النفس فى الفخر والاعتزاز وأن الذى يحتم فى مثل هذه الحالات هو إنكار الذات فى التواضع ؛ فجاء بقصيدته الغراء التى رد بها على مكرمه والمحتفلين به والتى مطلعها :

مرحباً بالربيع فى ريعانه وبأتواره وطيب زمانه

ثم قال بعد ذلك فيما نحن بسبيله ولعله ضرب أبلغ مثل في إنكار الذات ومواجهة الحقيقة :

لست أنسى يداً لإخوان صدق	منحوني جزاء ما لم أعانه
رب سامى البيان نبه شأنى	أنا أسمى إلى نباهة شأنه
كان بالسبق والميادين أولى	لو جرى الحظ في سواء عنانه
إنما أظهروا يد الله عندى	وأصاغوا الجليل من إحسانه
ما الرحيق الذى يذوقون من كر	مى وإن عشت طائفاً بدنانه
وهبوني الحمام لذة سجع	أين فضل الحمام في تحنانه
وتر في اللهاة ما للمغنى	من يد في صفائه وليانه

وبعد هذا التواضع المعجب ، وإنكار الذات يعود فتغلب عليه طبيعة الفخر ، فتطل في البيت الذى يلي هذه الأبيات متصلاً ، فيقول :

كان شعرى الغناء فى فرح الشر ق وكان العزاء فى أحزانه

ثم يقول من قصيدة فى مدح خديوى مصر السابق :

إذا أنا لم تكفل لى الخلد حكمتى	ولم ألتحمه فى ييانى وفى علمى
فلا استرجعت بى الضاد ببيان مجدها	ولا لقيت بى العصر فى البذخ الجم
ولا جاز شعرى النيرات ولا اعتلى	لسدة عباس الفقى العلم النجم

وقال فى نفس المعنى من قصيدة مطلعها :

صريع جفنيك ينفى عنهما التهما	فما رميت ولكن القضاء رعى
------------------------------	--------------------------

وبيت القصيدة منها قوله :

وانع الأحاديث واستعصم برايتها	سيان قدت خميساً أم ملكت فما
-------------------------------	-----------------------------

ومفهوم أنه يقصد نفسه ولسانه بقوله : « ملكت فما » فهو يرى أن امتلاك الجيش الجرار ليوازى امتلاك لسان الشاعر المغوار .

المتجردة

تقوم حوادث هذه القصة على أربعة أشخاص هم المتجردة والنعمان والنابعة والدياني والنخل اليشكرى . ويد المتجردة هي التي أدارت الأقدار التي قذفت بكل واحد من هؤلاء إلى التهلكة أو ما يقاربها فلقد غامر هؤلاء الثلاثة في سبيل المتجردة ، النابعة بفنه والنعمان ببطشه والنخل بقلبه وحياته .

أما المتجردة فاسمها «ماوية» وقيل «هند بنت المنذر بن الأسود» من بني كلاب ولا نعرف عن ولادتها وطفولتها شيئاً كما أننا نجعل شيخوختها ووفاتها .

أما شكلها فقد قال فيه صاحب الأغاني على عادته في الوصف إنها «كانت من أجمل أهل زمانها» وهو وصف لا يقدم ولا يؤخر ولكنه على كل حال يجعلنا نتفهم كل الغواية التي كانت كامنة في أنوثتها .

هذه هي المتجردة كما تتصورها اليوم . ولا بد من التساؤل لماذا لقبت بالمتجردة ألعليها كانت تحضر مجالس الرجال حاسرة الوجه أم لأن النابعة وصفها في قصيدته كأنها متجردة من ثيابها أم أنها كانت ترتدى ثياباً شفافة رقيقة أم غير ذلك ؟

وأول ما يروى عنها أنها كانت متزوجة ابن عم لها يدعى «الأسود بن المنذر ابن حارثة الكلبي» ويقال له «حلم» فرآها المنذر بن المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة فأحبها وتقرب إلى زوجها وأخذ يدعو له منادته واتفق أنه كان في مجلس شراب مع زوجها حلم وكانت المتجردة حاضرة مجلسهما . وقد لعب الشراب برأس الرجلين وأثار في نفس المنذر لواعج حبه لها فقال المنذر لحلم «قيح بالرجل أن يقيم مع المرأة زماناً طويلاً حتى لا يبقى في رأسه ولحيته شعرة بيضاء إلا عرفها . فهل لك أن تطلق امرأتك المتجردة وأطلق امرأتى سلمى ثم يتزوج كل واحد منا امرأة الآخر» فقبل حلم وطلق المتجردة ولكن المنذر لم يطق لسلمى أن تتزوج حملاً

وحجبها ثم تزوج من المتجردة وإنما حجب المنذر « سلمى » زوجه لأنها كانت أم ابنه النعمان .

* * *

على أن المنذر ما لبث أن قضى وتولى الملك من بعده ابنه النعمان فكان أول ما فعله أن تزوج من المتجردة .

واتصل بالنعمان النابغة الديباني . وكان النابغة سيد شعراء عصره غير مدافع . إذا اجتمع العرب بسوق عكاظ وأقيمت حلقات الشعر ضربت قبة من آدم وتقدم إليه الشعراء يعرضون عليه ما نظموه ليحكم بينهم وكان حكمه قاطعاً .

وكان النابغة ينادم النعمان كما كانت له مداخل ومخارج إلى القصر من غير استئذان ، ودخل النابغة مرة فجأة إلى إحدى غرف القصر فإذا المتجردة فيها وقد سقط النصف عن وجهها فاستترت بيدها وذراعيها قال أبو الفرج : « وكادت ذراعيها تستر وجهها لبعالها وغلظها » . فنظم النابغة قصيدته التي مطلعها :

من آل مية رأمح أو مغتدى عجلاف ذا زاد وغير مزود
وفيها يقول إشارة إلى الحادث :

سقط النصف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

وكان ينادم النعمان أيامئذ شاعر آخر يدعى « المنخل بن عبيد اليشكري » وكان على إقلاله في النظم ، جميل الوجه وقيل إنه كان « أجمل العرب » ولقد أناله جماله حظوة لدى المتجردة بينما أناله شعره حظوة لدى النعمان .

واتفق أن اجتمع الشعاران في مجلس شراب للنعمان ولعله جرى ذكر دخول النابغة على المتجردة وقد سقط نصيفها أو اعل نفس المنخل العاشقة قد سولت أن يجري الحديث بحضرة النعمان وعلى كل حال فإن النعمان طلب إلى النابغة أن يصف المتجردة .

يقولون في وصف النابغة إنه كان « حلماً عفيفاً » ولكن حلمه وعفته لم يتغلبا

على فنه وشاعريته حين سأله النعمان وصف المتجردة فنظم النابغة قصيدته فإذا به يصف المتجردة في جسمها وجمالها وأنوثتها وفي أدق المواضع من هذا جميعه ولما أتمها عرضها عليه وقد قالوا إنه لم يجزؤ على إنشادها لديه وإنما تولى ذلك أحد الدساسين الذين أرادوا إهلاكه ورأى المنخل في القصيدة مطعناً في النابغة فلم يتورع من أن يقول للنعمان إنه لا يصف هذا جميعه غير من رآه وذاق طعمه .

ولقد كان له ما أراد لأن النعمان تغير على النابغة ولم يشفع به لديه قوله في القصيدة متبرئاً من مواسلته المتجردة :

زعم الهمام بأن فاها بارد عذب مقبله شهى المورد
زعم الهمام ولم - أذقه - إنه يشفى برياريقها العطش الصدى

لم يشفع هذا للنابغة فرغب النعمان البطش به وأحس بهذا النابغة أو أن بعض أصدقائه المخلصين قد نصحوا له بالهرب فسار الى بنى غسان واتصل بملوكها بالشام .

* * *

خلا الجو للمنخل وازداد اتصالاً بالمتجردة . وكانت ألسنة السوء تتهمها بحبه ومواسلته ، وكانوا يستدلون على هذا بولدين للمتجردة رائعين في جمالها يشبها المنخل ولم تكن العرب تصدق أن النعمان « الأحمر الأبرش القصير الدميم » يخرج من نسله مثل هذا الجمال . وبعد أليس المنخل هو الذى يقول فيها قصيدته التى مطلعها :

إن كنت عازلتى فسيرى نحو العراق ولا تعودى
والتي يصف فيها دخوله عليها ومغازلته لها :

ولقد دخلت على الفتاة الحدر فى اليوم المطير
والكاعب الحسناء تر فى الدمقس وفى الحرير
فدفعتها فدفعت مشى القطاة الى الغدير
ولثمها فتنفست كتنفس الظبي الغرير
فدنت وقالت يا منى خل ما بجسمك من حرور

ماشف جسمى غير حبه لك فاعزبى عنى وسيرى

يا هند هل من نائل يا هند للعانى الأسير

ولهذه الأبيات روايات مختلفة . ورواية أبى الفرج لها فى أخبار النابغة تختلف عنها فى أخبار المنخل . فأثرنا الرواية الأولى لشهرتها .

كانت المتجردة إذن تختلى بالمنخل كما يستبان من قصيدته وكما يذكر الرواة وكانا يتصلان اتصال العاشقين كما وجدا إلى ذلك سيلا .

قالوا : وكان للنعمان يوم فى الأسبوع يركب فيه للتنزه والصيد فإذا خرج أرسلت المتجردة وليدة لها تحجر المنخل بخروج المليك وتدعوه لزيارة مولاتها . فإذا اختلا الشاعر بالمتجردة استشرقت الجارية رجوع النعمان وأنبأت سيدتها بذلك وأخرجت المنخل من عندها .

على أن الزمان لا يصفو أبداً وهو إذ يسر حيناً يحزن حيناً ويبتسم آونة ويتجهم أخرى . فقد خرج النعمان مرة وأدخلت الجارية المنخل على المتجردة . فأخذ العاشقان فى أحاديث غرامهما وبث نجواهما وطلبا خمراً فشرباها . ولعبت نشوة الحميا برأس المتجردة فأثارت كوامن وجدها وهيجت عواطفها . وشاءت أن تبرهن للمنخل على مبلغ حبها له وتعلقها به فعمدت إلى خلخالها فاتزعتة من رجلها وجعلته فى رجل المنخل وأسدت شعرها ثم شدت به الخلخال الذى برجل المنخل إلى الخلخال الذى بقى فى رجلها . أليس هذا منتهى الدلالة على الحب القوى والعواطف المتقدة ؟ أليست هذه الصورة خليقة بأن تثير خيال المصور الفنان فيعبر بريشته مما لا يستطيع الكاتب أن يعبر عنه بقلمه ؟ ..

وشاءت المقادير أن يعود النعمان مسرعاً إلى قصره على غير انتظار . وأن تغفل الجارية عن ترقبه لأن موعد أوبته لم يكن قد حان . ودخل النعمان على المتجردة فرآها على حالتها . فثارت نفسه غضباً على شرفه الممتن . فاتزعت المنخل من موقفه ذاك وأسلمه إلى بعض حراسه فعذبه حتى مات . وقيل بل حبسه ثم غمض خبره فلم

تعلم له حقيقة إلى اليوم . فزعم بعضهم أنه دفن حياً وقيل إنهم أغرقوه والعرب تضرب به المثل فيقال للشيء الضائع الذي لا يرجى رجوعه أنه عائد عند إياب المنخل .

* * *

لم يذكر المؤرخون ما فعله النعمان بالمتجردة . وهل اقتص منها كما اقتص من المنخل . وأكبر الظن أنه احتفظ بها احتفاظه بالدمية الحسنة رياءً لصدى نفسه المهمة . . . من يدرى لعل المتجردة كانت بين الذين نصحوا للنعمان في السفر إلى كسرى عند ما طلبه وتأخر النعمان خوفاً من بطشه . ولعلها حين أشارت عليه بهذا كانت تفطن إلى مصيره لدى كسرى فأرادت أن تنتقم منه وتثأر لعشيقها الذي قتله شر قتلة .

صفحة من أدب الأندلس

المعتمد وابن زيدون

ابتدأ عصر « أبي القاسم المعتمد على الله » بالأندلس حوالى سنة ٤٦٤ هجرية فى عصر ازدهرت فيه حضارة الأندلس وبلغت فيه شأواً بعيداً من المدنية والثقافة ، وكان المعتمد أو « ابن عياد » كما يقولون ذكى النفس والفؤاد يميل بفطرته إلى كافة العلوم والأدب خاصة ، بل إن اهتمامه بالأدب والأدباء كان بدرجة لا يكاد يسبقه فيها أحد سلفائه من الملوك ولعل ذلك لتعلقه هو بالأدب فقد كان يفيض بالشعر الرقيق الذى يدل على الانطباع ، والدوق الفطرى ، وكان له إلى جانب ميزته الأدبية ميزة خلقية أخرى تلك هى انطباعه على جملة غرائز حميدة منها الكرم والشجاعة وإصالة الرأى والنزاهة والحياء الشديد وقد ولى الملك وهو فى السابعة والثلاثين من عمره فكث به حوالى العشرين عاماً حيث خلع وأسر لأسباب سياسية .

ولعل الباحث فى تاريخ الأندلس عامة و « المعتمد » خاصة يعجب بما كان لهذا الملك النبيل من خلق حميد ومواهب فطرية فى الأدب والعلم حتى كانت دولته دولة العلم والأدب ، استوزر له أعلام البيان وأمراء الصناعتين حتى كان مجلسه يبرز مجلس المأمون والرشيد من هذه الناحية وقد كانوا يشبهونه (بهارون الواثق بالله) العباسى لتوافق أوجه الشبه بينهما ، اتفق أن كان له فى بعض حاشيته شاعراً هو (عبد الجليل ابن وهبون) إلا أنه كان زرى الحال فلم يستطع إلى وقت طويل أن يختلط (بجلالته) فأراد نصفته أحد زملائه فى المجلس وأن يصطنعه لنفسه إذ رأى فيه مخائل النجابة والذكاء فأنشد هذا الزميل — ذات يوم — بين يدى المعتمد بيتين من الشعر لصاحبه الذى أراد :

قل الوفاء فما تلقاه في أحد ولا يمر لخلوق على بال
وصار عندهم عنقاء مغربة أو مثل ما حدثوا عن ألف مثقال

فأعجب بهما المعتمد أيما إعجاب ، وسأل عن صاحبهما ف قيل له إنه « عبد الجليل
ابن وهبون » أحد خدم مولانا المعتمد ، فزادت دهشته عند ذلك وقال : هذا والله
اللؤم البحت ، رجل من خدامنا والمنقطعين إلينا ، يقول أو مثل ما حدثوا عن
ألف مثقال ؟ وهل يتحدث عنا أحد بأسوأ من هذه الأحدثوة ؟ ثم أمر له على الفور
بألف مثقال وبعدئذ دخل عليه الشاعر ليشكر له عطيته فقال له « يا أبا محمد ، هل
عاد الخبر عيانا ؟ ! » قال أي والله يا مولاي فلما هم بالانصراف قال له « يا عبد الجليل
الآن حدث بها ، لا عنها ، يقصد الألف مثقال الذي زعمها الشاعر كالعنقاء لا وجود
لها وهذا مثال من إكرامه للأدب ومدى عنايته به . ونورد هنا أمثلة من شعره
لتكون بمثابة دليل على ثقافة المعتمد الأدبية فمن ذلك أنه كان أهدي له غلام اسمه
« سيف » من صاحب طليطلة وكان هذا المملوك غاية في فتنة الحسن فقال فيه :

سموه سيفاً وفي عينيه سيفان هذا لقتلى مسلول . وهذان
أما كفت قتلة بالسيف واحدة حتى أتيح من الأجفان ثنتان
أسرته . وثنائي غنج مقلته أسيره . فكلانا أسر عاني
ياسيف امسك بمعروف أسيرهوى لا يبتغى منك تسريحاً بإحسان
وقال فيه أيضاً وقد نبت العذار بروض محياه :

تم له الحسن بالعذار واقترب الليل بالنهار
أخضر في أبيض تبدى ذلك آسى ، وزا بهارى
فقد حوى مجلسي تماما إن كان من ريقه عقارى

وفي مناسبة لطيفة أخرى تلك أن كان جالساً في إحدى القباب فدخلت عليه
الشمس من إحدى كواه فقامت إحدى كرائمه تحول بقامتها بينه وبين الشمس .
فقال لها على الفور :

قامت لتحجب ضوء الشمس قامتها
علماً لعمرك منها أنها قر
عن ناظري : حجبت عن ناظر الغير
هل تكسف الشمس إلا صورة القمر؟

ولعل أزهر أيام المعتمد الأدبية تلك الفترات التي جمعت بينه وبين سيد أدباء الأندلس
« ذو الوزارتين » ابن زيدون وزيره المشهور . وما كان لابن زيدون مع حبيته
الولادة ابنة المهدي سيدة عصرها في الأدب والعلم من هوى وغرام تناقلت طرفه
الأسن والمنتديات ، لا في ذلك الوقت وبين أهالي تلك العصور فحسب ، بل إلى
عصرنا اليوم فلا أظن بين الأدباء من يجهل تلك المكاتبات البديعة والرسائل الشيقة ،
التي كانت تخطها أنامل كل منهما للآخر مليئة بمتانة الشعر السليم ، بل الشعر الغزلي
اللاذع الذي يصدر عن عاطفة ملتبة ، وخاطر متقد ، سيما ما كانت تؤاتيهما به
الظروف التي كانت تمر بهما بالسعد أحياناً ، فالدنو والتواصل ، وبالنحس آونة
أخرى ، فالصد والجفاء ، وسعاية الوشاة بينهما ، حيث كان للولادة كثير من الطامعين
في حبات قلبها من وزراء ذلك العصر وأدبائه ، وذلك لما كانت عليه من غزارة الأدب
ووفرة المادة في خاطرها الملهم . ولعله لم تغب عن الأذهان قصيدته التي غنت بها
العصور المتوالية تلك النونية المشهورة التي كتبها للولادة حينما كانت بأشبيلية ، وكان
هو بقرطبة ، والتي يقول فيها :

بنتم وبنا ، فما ابتلت جوانحنا	شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا
تكاد حين تناديك ضمائرنا	يقضى علينا الأسى لولا تأسينا
حالت لبعدم أيامنا فغدت	سوداً وكانت بكم ييضاً ليالينا
إذ جانب العيش طلق من تألفنا	ومورد الليل صاف من تصافينا
ليسق عهدكم ، عهد السرور فما	كنتم لأرواحنا إلا رياحينا
إن الزمان الذي قد كان يضحكنا	أنساً بقرهم قد عاد يبكينا
غيظ العدى من تساقينا الهوى فدعوا	بأن نعص فقال الدهر آمينا
فانحل ما كان معقوداً بأنفسنا	وانبت ما كان موصولاً بأيدينا

وقد تكون وما يخشى تفرقنا
يا سارى البرق غاض القصر فاسق به
ويا نسيم الصبا بلغ تحيتنا
لا تحسبوا نأيكم عنا يغيرنا
والله ما طلبت أهواؤنا بدلا
يا روضة طال ما أجت لواحظنا
ويا حياة تملينا بزهرتها
لسنا نسيمك إجلالا وتكرمة
كأننا لم نبت والوصل ثالثنا
سران فى خاطر الظماء يكتمنا
فاليوم نحن ولا يرجى تلاقينا
من كان صرف الهوى والود يستقينا
من لو على البعد فينا كان يحينا
إذ طالما غير النأى المحينا
عنكم ولا انصرفت عنكم أمانينا
ورداً جناه الصبا غصاً ونسرينا
منى ضرورياً ولذات أفانينا
فقدرك المعتلى عن ذاك يغنينا
والسعد قد غص من أجفان واشينا
حتى يكاد لسان الصبح يفشيننا

ونكتفى بهذه القطعة من القصيدة إذ هى طويلة جداً ولا يجملها الأدباء ، وبمناسبة
قصيدة ابن زيدون أذكر أن لأمير الشعراء شوقى بك معارضة لها نظمها فى الأندلس
هى آية من آيات بيانه الخالد ، يقول فى مطلعها :

يا نأخ الطلح أشباه عوادينا نشجى لواديك أم نأسى لوادينا
ماذا جنيت علينا غير أن يداً نالت جناحك جالت فى حواشينا
رمى بنا البين أيكاً غير سامرنا أخا الغريب وظلا غير نادينا

ولعل قصيدة شوقى هذه من أمتن وأروع ما عرف من شعر العواطف لأن
شوقى نظمها عن عاطفة جياشة وكيف لا يكون كذلك وقد كان عند نظمها واقفاً
على أطلال الأندلس ، وعلى دارس ربوعها .

ويطول بنا المقام لو أردنا أن نسهب الحديث عن ابن زيدون وحبيبته وأدبهما
الجم ، ولكننا نكتفى بما أوردناه ونذكر بعض أبيات كتب بها إلى ابنة المهدي يتشوق
إليها وقد ضمنها بيت المتنبي المشهور :

بم التعلل لا أهل ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا شجن

وهي :

هل تذكرون غريباً عادته شجن
يخفي لواعجه والشوق يفضحه
يا ويلتاه أيبقى في جوانحه
وأرق العيش والظماء عاكفه
فبت أشكو وتشكو فوق أيكته
يا هل أجالس أقواماً أحبهما
أو تحفظون عهداً لا أضيعها
من ذكركم وجفا أجفانه الوسن
فقد تساوى لديه السر والعلن
فؤاده ، وهو بالأطلال مرتهن؟
ورقاء قد شفها أو شفى حزن
وبات يهفو ارتياحاً بيننا الغصن
كنا وكانوا على عهد وقد ظنوا
إن الكرام بحفظ العهد تمتحن

ومنها :

إن كان عادكموا عيد فرب فتى
وأفردته الليالي من أحبته
(بم التعلل لا أهل ولا وطن)
بالشوق قد عادته من ذكركم حزن
فبات ينشدها مما جنى الزمن
ولا نديم ولا كأس ولا شجن)

ومن وزراء المعتمد أيضاً الوزير أبو بكر محمد بن عمار ذلك الرجل العصامي والأديب البديع صاحب النفس الكريمة والخلق الحميد وكان هو أيضاً ضرب بسهم وافر في الأدب حتى طبقت شهرته أرجاء الأندلس وغيرها من الممالك في عصره رغم ما كان عليه من خمول وجذب حال في ريق حياته ، ولعل من الأحاديث التي تنم عن طيب قلبه وفضائل خلقه ، تلك الأحداث التي وقعت له في مدينة (شلب) التي نشأ فيها ثم خرج منها وعاد إليها ثانياً لا يمتلك غير دابة فكتب برقة من الشعر إلى أحد التجار يمتدحه بها أو يستجديه فأرسل له ذلك التاجر بمخللة مائة بشعير للدابة فكانت تلك الصلة أوقع في نفس ابن عمار من أي شيء آخر لعلمه باحتياج دابته إلى الغذاء ثم اتفق بعد ذلك أن تدرج ابن عمار في مراتب الجد السعيد حتى مشت إليه الوزارة فدخل هذه المدينة وزيراً من قبل المعتمد في موكب نفخ لم يركبه المعتمد نفسه وكان أول عمل يتبدى به لهذه المدينة أن سأل عن ذلك التاجر حتى

إذا ما عرف مكانه أرسل إليه بتلك الخلاة عينها مملوءة بالدراهم وقال له — على لسان
رسوله — لو ملأت لنا مخلاتك برأً لملائها لك تبراً ، أما قد ملأتها شعيراً فقد
ملأناها لك دراهماً . .

ومن شعره الذى امتدح به المعتضد قصيدته التى يقول فى مطلعها :
أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى والنجم قد صرف العنان عن السرى
والصبح قد أهدى لنا كافورة لما استرد الليل منا العصفرا
ومنها يمدح المعتضد :

عباد الخضر نائل كفه والجو قد لبس الرداء الأغبر
قداح زند المجد لا ينفك من نار الوغى إلا إلى نار القرى
يختار أن يهب الخريدة كاعباً والطرف أجرد والحسام مجوهر
ثم يقول بعد ذلك بيتاً يخاطبه به ولعله بديع الخيال والتشبيه هو :

السيف أفصح من زياد خطبة فى الحرب إن كانت يمينك منبرا

هذه طرفة صغيرة عن صورة من الأدب الأندلسى فى عصر المعتمد الزاهر ، ولعل
من غرائب التاريخ هذه القصة التى رواها المؤرخون عن المعتمد وابن عمار ذلك أنه
كانت لابن عمار منزلة سامية عند المعتمد : وقد كانا معاً فى ليلة أنس بدار الأخير .
فشربا حتى ثملا وإذ ذاك أقسم المعتمد على ابن عمار أن يضعا رأسيهما على وسادة
واحدة . فكان ذلك حتى منتصف الليل إذ استيقظ ابن عمار على هاتف يقول له فى
رؤياه : « لا تغتر أيها المسكين . إنه سيقنتك ولو بعد حين » فاستيقظ فزعا مرعوبا
ثم حاول أن ينام وإذا بالهاتف يتكرر ثلاث مرات متوالية ينذره فى نومه بهذا النذير
السوء ، فقام بعد ذلك ابن عمار وعول على الهرب فى تلك اللحظة ، ولم يجد وسيلة
للخروج فعمد إلى جانب من « الحصير » كان بأسفل رحبة الدار والتف بينهما منتظراً
حلول الصباح حتى ينجو بنفسه من غير أن يشعر به أحد ، وحدث أن استيقظ المعتمد
فلم يجد وزيره فقام يبحث عنه فى كل أنحاء القصر هو وخدمه حتى عثر هو بنفسه

عليه في تلك الحصار ، وعلى تلك الحال ، وكان من رقة قلب المعتمد أن زرقت عيناه بالدمع أمام ذلك المشهد ، ثم استخبره عما حدى به إلى مثل ذلك ، فلم ير بداً من إخباره بحقيقة الخبر ، فعجب المعتمد ، وقال لوزيره : « أتصدق مثل هذه الحرافات وهى أضغاث أحلام ، بل من آثار الحمار ؟ ! وهل أقتلك أنا وأنت كل نفسى ، أقتل نفسى ؟ ! »

ولعل من سخرية القدر بعد ذلك أن تحققت هذه النبوءة في الوقت بالذات .

استمر ابن عمار مع المعتمد فى رفهية من العيش الرغيد بدرجة لم يسبق مثلاً بين أمير ووزير ، حتى كانا ألزم لبعضهما من ظلما . قد لا يفترقان أحيانا — ليل نهار . وحتى أصبح لهما حديثاً وقالة تتناقلها الألسن عنهما بما عساه أن يكون بينهما من ذلك الحب الذى عقد بين قلبيهما شأن الناس فى كل أمر . ولعل جعفر بن يحيى لم يكن له مع الرشيد مثل ما كان للوزير ابن عمار مع المعتمد وكان إذ ذاك المسيطر على بلاد الروم ملك يقال له « الأدفنش » كان فى عظمة وأبهة كبيرتين . وكان برغم ذلك إذا ذكر لديه ابن عمار يعترف له بدهائه ومكره فيقول عنه إنه (رجل الجزيرة) وفى الواقع أن لابن عمار مع (الأدفنش) مسألة سجلها التاريخ يصح أن نورد لها لغايتها . ذلك أن الأدفنش خرج فى جيوش جرارة وعديدة يقصد بلاد المعتمد لانتهاكها وسلبها فكان أن عم الملح قلوب سكان بلاد المعتمد لعلمهم بقوة ملك الروم وعظيم استعداده وضالة عددهم إزاءه فكان من ابن عمار أن دبر حيلة لطيفة عقد عليها العزم . وأوصى بصنع (سفرة) للشطرنج من الإبداع والإتقان بمكان لا يجارى على نسق ابتكره ولم يعمل له نظير من قبل حتى أصبح (الطقم) يخلب الأبصار والألباب بروقه وإبداعه سيما ألباب من عكفوا على درس تلك اللعبة ذات المغزى العميق ، ثم رصعها وزينها بمختلف المعادن حتى أتمها على النسق المفرد ثم أنفذ بعد ذلك رسولا ذكياً إلى ذلك (الأدفنش) فلقبه آتياً بتلك الجموع التى لا تحصى ، وكان قد وصل بها إلى أوائل بلاد المسلمين فقابله ذلك العاهل بخفاوة وإجلال مبالغ فيهما

وأفرد له قبة خاصة بديعة في نواحي المعسكر . ثم لحق به ابن عمار وفيما هما يتباحثان في بعض الأمور إذ لوح ابن عمار بتلك السفرة أو (الشبكة) البديعة للأدفنش فلم يقر عليها بصره حتى أخذ عقله . وافتن بها أيما افتتان سيما وهو من المولعين بل المفتنين بلعب الشطرنج فلم يرداً من أن يتباحث معه في لعب الشطرنج فأظهر ابن عمار أنه بارع ونابع في ذلك النوع فطلب إليه ملك الروم أن يلعبا سوياً فقال له ابن عمار : ولكن على شرط ، فقال الآخر : وما شرطك ؟ قال : إن غلبتني فهي لك . ولكن إن أنا غلبتك فلي حكمي عليك بما أريد فقال له : إذا دعني أراها ، ثم جلسا يمتعان الطرف بما حوته من إبداع وتنميق ثم رجاه ملك الروم كرة أخرى أن يهما باللعب على غير هذا الشرط ولكن ابن عمار رفض ما دون ذلك فكان من الأدفنش أن استشار بعض وجوه ملكه في الأمر ، ولأن ابن عمار قد ألقم بعضهم بشيء من الذهب والإغراء فوافق مستشاروه ، بل حسنوا له المضي في هذه المباراة التي أكدوا له ما ستعود به عليه من الربح الجليل ، وهو ربح (الطقم) جلسا ولعبا ، وانكشف الستار عن الملك مهزوما ومغلوباً إزاء خصمه شر هزيمة ، فخمت هيئة التحكيم التي كانت مؤلفة لهذا الغرض بفوز ابن عمار وإذ ذاك طلب إليه ملك الروم أن يطلب منه ما يشتهي فقال له : أن تعود بجيوشك من حيث أتيت .

وبعد جدال استقر الاتفاق بينهما على أن يعود بلا حرب نظير أخذه (جزية) عامين .

وبهذه الحيلة اللطيفة بل الخديعة الماكرة تغلب ابن عمار على العدو وارتفعت بذلك منزلته لدى المعتمد .

لقد خدم (ابن عمار) المعتمد مثل هذه الخدمات الجليلة كثيراً بل وأجل من هذه الخدمات وليس ذلك بمستكثر على مثل تلك الصداقة التي كانت بينهما والمحبة والإخلاص الذي تمشى في شرايين كل منهما نحو الآخر ، ولكن من سخرية القدر الذي لا يعرف قاعدة أو نظاماً أن يمثل بينهما نفس الدور الذي تمثل بين (الرشيد وجعفر)

إلا أنه بصورة أخرى ، ذلك أنه وقع بين هذين الصديقين الحميمين شيء من الجفوة فهرب ابن عمار ثم أسره أحد الأعراب وباعه إلى المعتمد نفسه في قصة طويلة فسجنه هذا سجناً طويلاً بغير شفقة ولا عطف عليه وكان سوء التفاهم ما زال واقعاً بينهما حتى في السجن وفي تلك المحنة أو النكبة العظيمة .

ذلك أن ابن عمار أرسل وهو في سجنه قصائد حمة يستعطف بها أميره فلم يرث له وبعد لأي وتردد عطف عليه ذات يوم فأمر بإحضاره إلى مجلس أنسه مكبلاً بالحديد وأخذ يعاتبه بعض العتب القاسى ثم رده إلى سجنه بعد أن وعده بالعفو فكتب إليه بقصيدة يقول فيها :

سجايك إن عافيت أندى وأسجح	وعذرك إن عاقبت أجلى وأوضح
وإن كان بين الخطتين مزية	فأنت إلى الأدنى من الله تبجح
حنانك في أخذي برأيك لا تطع	عداى ولو أثنوا عليك وأفصحوا
فإن رجائي أن عندك غير ما	يكر عدوى اليوم فيه ويمرح
ولم لا وقد أسلفت وداً وخدمة	يكران في السيل الخطايا فيصبح
أقلنى بما بينى وبينك من رضى	له نحو روح الله باب مفتوح
وعف على آثار جرم سلكتها	بهية رحى منك تمحو وتمسح
ولا تلتفت نحو الوشاة ورأيهم	فكل إناء بالذى فيه ينضح
سيأتيك في أمرى حديث وقد أتى	بزور بنى عبد العزيز موشح
وما ذاك إلا ما علمت فإننى	إذا ثبت لا أنفك آسو وأجرح
كأنى بهم لا در لله درهم	أشاروا تجاهى بالشمت وصرحوا
فقالوا سيجزيه فلان بفعله	فقلت وقد يصفو فلان ويصفح

ولما قرئت هذه القصيدة على المعتمد اعترض بعض الوشاة على البيت الأخير منها فقال المعتمد : أما والله لئن سلبه الله المروءة والوفاء فما أعدمه الفطنة والذكاء ، إنه إنما نظر إلى بيت الهذلى من طرف خفى وهو :

وإذا النية أنشبت أظفارها ألقيت كل تيمة كل لا تنفع

وكان من سوء التفاهم الذي وقع بينهما ورافقهما لآخر لحظة أن كتب ابن عمار من سجنه إلى « الراضى بالله » ابن المعتمد يبشره بقرب عفو أبيه عنه فلما سمع خصومه وحساده بذلك اغتاظوا وأخذ الحنق والحسد يدب في صدورهم خوفاً من أن يفرج عنه حقيقة وفي ذلك عليهم الظامة الكبرى أو القضاء المبرم . فاستغلوا هذه الفرصة وتناقلت ألسنتهم إشاعة قرب العفو عنه حتى بلغت المعتمد ولكن بصورة سيئة جداً يقصد بها الخط من اعتباره ومكاته فكان أن استدعى المعتمد بن عمار من سجنه ، وسأله « أخبرت أحداً بعفوى عنك ؟ » فأجابه بالسلب ، فتغيظ المعتمد ثم سأله « أين الورقتان اللتان طلبتهما في سجنك ، لقد كتبت في أحدهما القصيدة فأين الأخرى ؟ » فأجابه لقد بيضت فيها القصيدة ، قال إذاً إئتني بالمسودة ، فلم يجر ابن عمار جواباً ، وإذا ذاك بلغ الحنق من المعتمد كل مبلغ إذ تصور أن ابن عمار يضم له شراً وينخفي عنه كل حقيقة حتى في مثل هذا الموقف موقف السجن والأسر وإذا ذاك انصاع لأراجيف حساده وشائثيه ولم يتمالك نفسه دون أخذه إلى غرفة أخرى ومسك يمينه « الطبرزى » فعلم ابن عمار إذاً أن المعتمد قاتله لا محالة ، فأخذ هذا البائس المنكود وهو على أبواب الأبدية يرسف في قيوده حتى ارتقى على قدميه يقبلهما ويبللهما بدموعه عليه يصيح إلى شكاته أو ينثني عن قتله هذا القتل المظلم فلم يأبه له المعتمد وأهوى عليه « بالطبرزى » ضرباً مبرحاً حتى مات لساعته ثم أمر بغسله وتكفينه وصلى عليه ودفنه .

تلك تنفأ موجزة عن « ابن عمار والمعتمد » ولعل لهذه الحادثة من الأثر في نفسى أبلغ وقع لما أعرفه عن شهامة الاثنين لولا الظروف السيئة ، وسوء التفاهم الذي حل بينهما بطريقة محكمة الحلقات حتى وقع ما وقع ، وقد كنت أميل إلى أن أصدر حكماً أدبياً على أحدهما للآخر ولكنى أعود فأقف منهما موقف الحياد لئلا أعسف أحدهما وأجور عليه في الحكم .

دار الفلك دورته بعد ذلك خلع المعتمد وأسر في قضايا سياسية طويلة ، وحروب
تشعبت بينه وبين غيره من ولاية الأندلس لا محل لذكرها الآن . ونذكر هنا قطعة
من شعره نبض بها فؤاد المعتمد وهو في أسره « بالعدوة » حيث يقول :

لما تملكتم الدموع	وتنهى القلب الصديع
قالوا الخضوع سياسة	فليد منك لهم خضوع
وألد من طعم الخضوع	على فم السم النقيع
إن تستلب عني الدنى	ملكى وتسلمنى الجوع
فالقلب بين ضلوعه	لم تسلم القلب الضلوع
لم أستلب شرف الطباع	أيسلب الشرف الرفيع
قد رمت يوم نزالهم	ألا تحصننى الدروع
وبرزت ليس سوى القميص	على الحشا شئ دفع
وبذلت نفسى كي تسيل	إذا يسيل بها النجيع
أجلى تأخر لم يكن	بهوى ذلى والخضوع
ما سرت قط إلى القتال	وكان من أملى الرجوع
شيم الألى أنا منهموا	والأصل تتبعه الفروع

وكان من حاشية المعتمد أديب يسمى « ابن البانة » هو أبو بكر محمد بن عيسى ،
ولم يكن هذا الشاعر قد اتصل به من أول عهده ، بل كان قبيل أقول نجمه ،
ولكنهما تحابا أيضاً وتوافقا على الألفة والوداد ، وكان وفياً للمعتمد يحدب عليه ،
وقصد إليه وهو في محنته تلك وامتدحه بأبيات فقدم إليه المعتمد قليلا من المال
فردّها إليه ثانية مشفوعة بالأبيات الآتية :

غنى النفس أنت وإن ألت	على كفيك حالات الفتور
وأعجب منك أنك في ظلام	وترفع للعتاة منار نور
تأهب أن تعود إلى طلوع	فليس الخسف ملتزم الدور

ولعل هذه الأبيات كان لها أفضل وقع لدى المعتمد في حالته تلك ، فقد كانت تحمل إليه برد السلوى عن بعض ما نكب به في جاهه وماله إذ كتب من فوره إلى صاحبه رداً على أبياته هذه بأخرى منها :

رد برى بغيــــــــــــاً على وبرا	وجفا فاستحق لوماً وشكرا
فإذا ما طويت في البغض حمداً	عاد لومى في البغض سراً وجهرا
يا أبا بكر الغريب وفاء	لا عدمنك في التغرب ذخرا

فرد عليه ابن البانة كرة أخرى بالأبيات التالية :

أيها الماجد السمينع عذراً	صرفى البر إنما كان برا
ليت لى قوة فأوى لركن	فترى للوفاء منى سرا
أنت علمتنى السيادة حق	ناهضت همى الكواكب قدرا
لم تمت إنما المكارم ماتت	لا سقى الله بعدك الأرض قطرا

وبذلك انتهت المحاوره ورجع الشاعر إلى بلده .

ومما قاله المعتمد نفسه بل إن آخر ما قاله المعتمد من الشعر وهو فى تلك الحنة الأبيات الآتية ، من قصيدة أوصى بكتابتها على قبره :

قبر الغريب سقاك الرايح الغادى	حقاً ظفرت بأشلاء ابن عياد
بالحلم بالعلم بالنعمى إذا اتصلت	بالخصب إن أحذبوا، بالرى للصادى
بالطاعن الضارب الرايح إذا اقتتلوا	بالموت أحمر بالضرغامه العادى
نعم هو الحق حابانى به قدر	من السماء فوافانى لميعاد
كفالك فارفق بما استودعت من كرم	رواك كل قطوب البرق رعاد
يبكى أخاه الذى عيبت وابله	تحت الصفيح بدمع رايح غادى
حتى يجودك دمع الطل منهمر	من أعين الزهر لم تبخل بإسعاد
ولا تزال صلاة الله دأمة	على دفينك لا تحصى بتعداد

أقصوصة أدبية ظريفة

قال الحسن بن هانئ : حججت مع الفضل بن الربيع ، حتى إذا كنا ببلاد
فزارة ، وذلك إبان الربيع ، نزلنا منزلاً لبني تميم ، ذاروض أريض ، ونبت غريض ،
تخضع لهجته الزرابى المبوثة ، والتمارق المصفوفة ، فقرت بنضرتها العيون وارتاحت
إلى حسنها القلوب ، وانفرجت أبهاؤها الصدور ، فلم نليث أن أقبلت السماء فانشق
غمامها ، وتداني من الأرض ركامها ، حتى إذا كانت كما قال أوس بن حجر :
وأن مسف فريق الأرض هيدبه يكاد يدفعه من قام بالراح

همت برداذ ثم بطش ، ثم برش ، ثم بوابل ، ثم أقلعت وقد غادرت الغدران
مترعة تندفق ، والقيعان تتألق ، رياض موقنة ، ونوافح من ريحها عقبه فسرحت
طرفي راتعاً منها في أحسن منظر ونشقت من رياها أطيب من المسك الأذفر قال :
فلما انتهينا من أوائلها إذا نحن بنجاء على بابه جارية مشرقة ترنو بطرف مريض الجفون
وسنان النظرات . فقلت لزميلى : استنطقها . قال : وكيف السبيل إلى ذلك ؟ قلت :
استسقىها . فاستسقاها فقالت : نعم ونعماعين وإن نزلتم في الرحب والسعة ثم مضت
تتهادى كأنها خود بان ، أو قضيب خيزران . فراعنى ما رأيت فيها . ثم أتت بالماء
فشربت منه وصبت باقيه على يدى . ثم قلت : وصاحبى أيضاً عطشان فأخذت الإناء
فذهبت فقلت لصاحبى من ذا الذى يقول :

إذا بارك الله فى ملبس فلا بارك الله فى برقع

يريك عيون الدمي غرة ويكشف عن منظر أشنع

قال وسمعت كلامى فأتت وقد نزعَت البرقع ولبست خماراً أسود وهى تقول :

الاحي ربعى معشر قد رأها أقاما فما أن يعرفا مبتغاهما

هما استسقى ماء على غير ظمأة ليستمتعا باللحظ ممن سقاها

فشبهت كلامها بعقد وهي فانتثر ، بنعمة عذبة رقيقة رخيمة لو. خوطب بها صم
الصلاب لانبجس منه الماء ، وجه يظلم من نوره ضياء العقول ، وتتلف من روعته
مهج النفوس ، وتخف في محاسنه رزانة الحليم ويحار في بهائه طرف البصير . فرقت
وجلست واستبطرت وأكملت ، فلو جن إنسان من الحسن جنت ، فلم أتمالك أن
خررت ساجداً فأطلت من غير تسبيح فقالت : ارفع رأسك غير مأجور ولا تدم
بعدها برقعاً فلربما انكشف عما يصرف الكرى ويحل القوى ويظيل الجوى من
غير بلوغ إرادة ولا إدراك طلبه ولا قضاء وطر. ليس إلا للحين المجلوب والقدر المكتوب
والأمل المكذوب . فبقيت والله معقود اللسان عن الجواب حيران لا أهتدى لطريق
فالتفت إلى صاحبي فقال ما هذا الجهد بوجه برقت لك منه بارقة لا تدري ما تحته
أما سمعت قول ذي الرمة :

على وجه محيٍّ مسحة من ملاحه وتحت الثياب العار لو كان باديا
فقلت :

أما ما ذهبت إليه فلا أبالك . والله لأنا بقول الشاعر :

منعمة حوراء يجرى وشاحها على كشح مرتج الروادف أهضم
لها أثر ضاف وعين مريضة وأحسن إبهام وأحسن معصم
خزاعية الأطراف سعيدة الحشا فزارية العينين طائية الفم

أشبه من قولك الآخر ، ثم رفعت ثيابها حتى بلغت نحرها وجاوزت منكبيها
« وهنا أسهب الراوية في وصف ذلك الجسد من مفرق رأسه إلى أخمص قدمه وصفاً
هو الذي يعنى بالأدب المكشوف ونحن نستأذن التاريخ في إغفاله ونستميحه العذر
ولمن شاء أن يقف على نضه أن يراجع في الصفحة ٣٦٠ من العقد الفريد لابن
عبد ربه » .

ثم قالت بعد ذلك : أترى لا أبالك ؟ قلت : لا والله ولكن القدر المتاح ومقربي
من الموت الذريع يضيق على الضريح ويتركني جسداً بغير روح . فخرجت عجوز من

الخباء فقالت له امض لشأنك فإن قتيلاً مطلوب ، لا يودى وأسيرها مكبول لا يفدى
فقالت لها دعيه فإن له مثل قول سقيلان :

وإن لم يكن إلا تعلل ساعة قليلاً فإنى نافع لى قتيلاً

فولت العجوز وهى تقول :

وما نلت منها غير أنك نائل بعينيك عينيها وأنت خائب
فنحن كذلك حتى ضرب الطبل الأصيل فانصرفت بكمد قاتل وكرب خائب
وأنا أقول :

يا حسرتنا ممن تجن فؤادى أرف الرحيل بعبرتى وفؤادى

فلما قضينا وانصرفنا راجعين مررنا بذلك المنزل وقد تضاعف حسنه ونمت بهجته
فقلت لصاحبي امض بنا إلى صاحبتنا فلما أشرفنا على الحيام وصعدنا ربوة ونزلنا وهدة
فإذا هى تتهادى بين خمس ما تصلح أن تكون خادماً لأدناهن وهن يجنين من نوار
ذلك الزهر فلما رأيناهن وقفن قليلاً حيث قلنا السلام عليكن فقالت فتاة من بينهن
وعليك السلام ألسنت صاحبي ؟ قلت بلى ، قلن أو تعرفينه قالت نعم ، وقصت عليهن
القصة ما خرجت حرفاً ؛ قلن لها ويحك ! ما زودتيه شيئاً يتعلل به ؟ قالت بلى زودته
لحداً ضامراً وموتاً حاضراً ، فأنبرت لها أنضرهن خداً وأرشقهن قدأً وأسحرهن
طرفاً وأبرعهن حسناً فقالت والله ما أحسنت بدأ ولا أجملت عوداً ، ولقد أسأت
فى الرد ولم تكافئيه على الود فما عليك لو أسعفتيه بطلبته وأنصفتيه فى مودته وإن
المكان لحال وإن معك من لا ينم عليك فقالت أما والله لا أفعل شيئاً من ذلك
أو تشركنى فى حلوه ومره ، قالت لها تلك إذا قسمة ضيرى ، تعشقين أنت وأنا ،
قالت أخرى منهن ، قد أطلت الخطاب من غير أرب ، فاسألن الرجل عن نيته
وقصده وبعيته ، فلعله لغير ما أنتن فيه قصد ، فقلن حياك الله وأنعم بك عيناً ، ممن
تكون وممن أنت وما تعانى وإلام قصدت ؟ !

قلت ، أما إسمى فالحسن بن هانى من اليمن ثم من سعد العشيرة وخير شعراء

السلطان الأعظم ومن يدنى مجلسه ويتقى لسانه ، ويرهب جانبه ، وأما قصدى فتريد غلة ، وإطفاء لوعة قد أحرقت الكبد وأذابتها ، قالت لقد أضفت إلى حسن المنظر كرم الخبر وأرجو أن يبلغك الله أمنيته وتنال بغيته ، ثم أقبلت عليهن فقالت ، ما الواحدة منكن غير ملتزمة مرغبة ، فتعالين نشترك فيه وتتقارع عليه ، فمن نالتها القرعة منا كانت له ، فاقترعن فوقعت القرعة على المليحة التي قامت بأمرى ، فعلق إزار على باب الغار وأدخلت فيه ؛ وأبطأت على وجعلت أشوف لدخول إحداهن إذ دخل على عبد أسود كأنه سارية ، ويده شيء كالحراوة وقد انعظ بمثل رأس الحنيد ، قلت ما تريد قال آتيت لأصنع بك أمراً وأغلظ القول وأناخ على بجماع نفسه ثم صحت بصاحبي وكان متدانياً وألقيت بنفسى خارج الغار فإذا بالفتيات يتصاحكن ويتهادين إلى الحلمات فقلت لصاحبي من أين أتى الأسود ، فقال : كان يرعى غنماً إلى جانب الغار فدعونه ووسوسن إليه شيئاً فدخل عليك ، قال : أو صنع بك شيئاً فقلت أبعدك الله لقد كتمت الحديث خوف هذا التأويل حتى ضاق به صدرى فرأيتك موضعاً له فبحق عليك أن لا تذيعه .

قال إسماعيل فكتمته حتى مات — آه .

أنصفوا شيخ الشعراء !

من المؤسف حقاً ، أن يسحب النسيان ذبوله على شيخ شعراء هذا العصر ، وأستاذهم وإمامهم وطليعهم في هذا الجيل ، هو المغفور له محمود سامي باشا البارودي . وإذا كان شيوخ الأدب وأئمة البيان في هذا القرن ، قد نالهم فضل التشريف على يد هذا الشاعر المنسى ، حين انطلق وحده يغرد على أفنان الشعر وأرائكه . وحين كانت دولة البيان مقفرة تشكو الجذب والظما ، فإن كثيراً من ناشئة الأدب وتلاميذه وطلبته ، فاتهم أن يعرفوا قدر شاعرنا الكبير ومكانته الحقيقية في عالم البيان والفصاحة للأسباب التي سنذكرها فيما يلي :

ليس يعني أن أترجم للمرحوم محمود سامي البارودي باشا ، حياته من مبدئها إلى منتهاها ، فليس ذلك هو الهدف الذي قصدت إليه من الحديث عن هذا الشاعر الفحل ، وإنما يعني الجانب الأدبي العام الذي يعني طائفة من رجال العلم والفضل . ذلك بأن المرحوم محمود سامي البارودي ، رجل من أبرز الرجال في عصره ، حيث تجلت صفاته وأخلاقه ومكانته السامية للعالم العربي ، فيما نهض به من أعباء جسام في مختلف نواحي الحياة من سياسة ، وعلم ، وجهاد ، وأدب .

فقد ولد — رحمه الله — في عام ١٢٥٥ هجرية ، وانتقل إلى جوار ربه في عام ١٣٢٢ ، حسبما هو مسطر في بعض المراجع الأدبية ، وقد اشغل طيلة حياته بالأعمال العسكرية وغير العسكرية ، حتى اقتعد أرفع منصب من مناصب الدولة المصرية وكانت له جولات سياسية ، وحرية مجيدة تأدت به إلى النفي والاغتراب عدداً غير يسير من السنين .

وإذا كان ليس من هدي أن أتعرض بالتفصيل لتلك الحياة الحفيلة بالجهاد ، المليئة بمختلف الحوادث والمعارك ، لأنها ناحية شخصية ، تتعلق بحياة رجل مجاهد

عظيم ، عرف كيف يشق لنفسه طريق المجد بأعماله العسكرية أو بأفكاره السياسية ، فإن الذى يعينى ، ويعنى جمهرة المتأدبين هى الناحية العامة فى حياة رجل اختار الأدب هوية له ، وبني للعربية ، صرحاً باذخاً من المعرفة والثقافة ، وخلف لقومه — وأقصد بهم كل ناطق بالضاد — ثروة يعترف منها كل من يترسم الأدب الصحيح ، ويتناول من مآدتها الشهية كل طالب من غير حرج ولا تقتير ، فالمعروف أن العصر الذى نشأ فيه البارودى الشاعر ، كان عصر ركود وجمود بالنسبة للحالة الأدبية العامة ، إذ كانت تلك الفترة من أسوأ الأيام التى سادت الشعر والنثر ، فكان البارودى طليعة عصره ، وطليلة هذا الجيل الحديث بما بده به الناس من شعر رائع رصين ، فصيح العبارة ، قوى الأسلوب ، بليغ المعنى ، قوى المبنى ، لفت الأنظار واسترعى انتباهتها ، ومملك شاردها وواردها .

طلع البارودى على الناس بذلك الشعر العف النزيه ، ولو كانت وسائل النشر متيسرة بمثل ما هى عليه اليوم ، لكان شعر البارودى على كل لسان ، وفى سويداء كل قلب ، ولكن الناس لم يقرأوا شعره فى صحف سيارة لعدم وجود تلك الصحف فى ذلك العصر ، ولم يطبع شعره إلا بعضه فى نطاق أضيق من الضيق ، فلم يقدر له من الديوع ما هو جدير بمعانيه السامية وبما فيها من بلاغة وفصاحة . ولهذا السبب — على ما أعتقد — يجهل الكثير من الناس قيمة شعر البارودى بل شعر البارودى على الاطلاق ؛ ولعل الذين يعرفون حياته السياسية ، وجهاده فى خدمة بلاده ، أكثر من الذين يعرفون أدبه وحياته بالنظر لما كان له من شهرة عامة إبان حياته لاشتغاله بالأعمال الحكومية وتسمنه أرفع مناصب الدولة فى مصر وعلاقة تلك الأعمال بالحركات السياسية والوطنية .

أما البارودى الشاعر ، البارودى الذى ملك زمام الشعر وطوع معانيه لألفاظه وذل ألفاظه لمعانيه ، فقد ظل مغموراً بالنسبة لما كان يجب أن تصبح له من مكانة ، وليس ذلك ذنب البارودى ولكنه ذنب مواطنيه إذ أنه أدى واجبه نحو قومه ولغته

وفنه ، ولم يقصر في الحلبة التي كان إمامها ومجليها . ولئن ساهم العصر الذي أنجب البارودي في تحمل بعض أوزار هذا التقصير بسبب فقدان وسائل النشر والاذاعة في ذلك الوقت ؛ فليس ثمة من عذر للعصر الذي تلا ذلك ، وهو عصر توفرت فيه وسائل النشر والديوع وأصبحت المطابع تقذف فيه بكل ما يلقي إليها من غث وسمين ! وإني لعلی ثقة — أى ثقة — أنه لو طبعت دواوين البارودي ، وهى لم تطبع كاملة إلى الآن لوجدت من الإقبال ما هى جديرة به ولأفادت جمهرة المتأدين ، وعلى الأخص ناشئة الأدب وطلبة المعرفة والثقافة .

إتهج البارودي لنفسه طريقة خاصة في قرض الشعر ، فلم يكن مقلداً ، كل التقليد ، ولا مجدداً كل التجديد ، فقد سائر القديم — بعض الشيء — بما نسجه على منوال من سبقوه من أئمة الشعراء المتقدمين ، ودلف إلى التجديد — بعض الشيء — أيضاً — بابتكار كثير من المعانى العصرية التي ضمنها شعره ، وهو بين هذا وذاك ، شاعر مطبوع ، خصب القريحة ، سما بشاعريته عن الزلل ، وارتفع بقريضه عن الأغراض التي يجب أن يتنزه عنها الشاعر العف النزيه ، وقبل أن يتجلى هذا السمو في شعره ونفسه ، من تضاعيف أقواله وبيانه ، لم يفته أن يشير إلى ذلك صراحة في مقدمة ديوانه بقوله من شعره :

تكلمت كالماضين قبلى بما جرت به عادة الانسان أن يتكلما
فلا يقدحنى بالاساءة غافل فلا بد لابن الأيك أن يترنما

ثم يبالغ في توضيح غرضه من الشعر وممارسته ، فيتمثل بقول أبى المنهال ابن بقليلة الأكبر :

وإنما الشعر لب المرء يعرضه على المجالس إن كيساً ، وإن حمقا
وإن أشعر بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقا !

ومن هذا التوضيح ثم من شعر البارودي نفسه ، تتجلى الحقيقة الكامنة التي دفعت بالبارودي أن يكون شاعراً ، وهو أن يرضى سليقته ، ويجرى مع غريزته ،

دون أن يهدف من وراء ذلك إلى غرض من الأغراض التي كادت تكون من طبائع بعض المتقدمين من الشعراء والتي هي موضع هنات ومآخذ عليهم ، وأبرز آية على ذلك أنه وقف في جولاته الشعرية عند أهداف محددة ، وأبواب معدودة ، وهي ألصق الأبواب بالشعر وأحق الأهداف به ، فلم نر له تكلفاً ولا تزلفاً ، ولم نسمع منه ما لا يحب ولا نرجو ، وحسبنا من أهدافه الشعرية ، ذلك الغزل الرقيق أو وصف البادية والحيام والصيد والقنص ، والحرب والغزو ، وما إلى ذلك من المواضيع الشائقة البهيجة الطريفة .

إختار البارودي لنفسه أسلوباً خاصاً في الشعر ، انفرد به دون غيره من سائر الشعراء ، حيث جمع بين القديم والجديد في أسلوبه ، ووفق بين التليد والطريف في معانيه ، وفي ذلك من البراعة العقلية ما يلفت إليه نظر الإعجاب والتقدير ، إذ أنه وفق إلى ذلك الأسلوب في رصانة وآزان ، وفي فصاحة بيان ، ووجه التقدير في هذا الأسلوب أنه لا أسهل في هذا الزمن من أن يخرج على الناس متشاعر ، ينظر إلى القديم نظرة التجهم والازدراء ، وينادى بالتجديد المطلق ولم يكتف بذلك فيمطر القديم بوابل من القذف والسباب والاستهجان والازدراء !!

ولا أسهل في هذا الزمن أيضاً من أن يخرج على الناس متشاعر يدعو إلى التعصب الأعمى والتمسك المطلق بالقديم في جمود راكد ووقوف جامد ، وينظر إلى كل ما هو عصري وحديث ، نظرة الازدراء والاحتقار ، نظرة الحسرة والألم ، على ما صارت إليه في الحال - في نظره - من تطور وتزييف !!

ولكن اللباقة كل اللباقة في أن يقف الانسان من جيله الموقف الذي يرضى به الأمر الواقع ، ويساير موكبه في غير تسابق ولا تخلف حتى لا يكون عرضة للعثار ولا عرضة للاندحار !!

وهذا البارودي شاعرنا الفحل ، انفرد بهذا الطراز من البيان ، في الوقت الذي كان هو فيه من الطليعة ، وهو القدوة ، ولا أستطيع أن أقول بأن الذين تأثروا

كثيرون هم ، بل هم على العكس قلة نادرة ، ولكنها قلة موقرة رزينة لها مكاتبا التي بلغت إليها في عالم البلاغة والفصاحة ، والتي جعلت منها علماً من أعلام البلاغة والفصاحة . ويرجع السبب في قلة عدد الذين تأثروا من الشعراء والأدباء ، أن ديوان البارودي لم يطبع طبعة عامة شعبية تجعله في متناول الأيدي ، فقد طبع بعض شعره دون بعض في الوقت الذي اتسعت فيه وسائل النشر وأصبحت تسابق البشر وتنافسها في الحركة والنمو والتنقل .

وفي يقيني أن شعر البارودي ، لو طبع لأفاد قرائه أكبر الفوائد الأدبية ، ولأفاد طلابه أكبر الفوائد المادية .

وإني لأود - والله - أن أنقل للقارئ الكريم كل شعر البارودي ، ولو استطعت لحشدته في هذا النطاق الضيق المحدود ، ولكن لا سبيل ذلك ، كما لا سبيل إلى التخيير في شعر البارودي . وإني حين أتعرض لشعره لأختار منه بعض النماذج ، أجدني في حرج أي حرج ، حيث تتراحم على العرائس الحسان ، والحد الغيد ، وتتجاذبن الفتنة ويتناهبن السحر ، فأقف موزع النفس والعقل ، مبهوت العاطفه والقلب ، وكلما استحسنت غادة ، عارضتها أختها بالاحسان ، وكلما انتهيت لموضع من مواضع الفتنة والروعة جذبني إليه موضع آخر أكثر فتنة وأكثر روعة ، فأتمثل بقول شوقي بك وهو يصف ما يصف :

بيضاء ، أو صفراء إن كريمها كالغيد ، كل مليحة بمذاق

إصغ معي أيها القارئ الكريم الى الرجل الذي يقول :

سرى البرق مصرياً ، فأرقني وحدي	وأذكرني ما كان من سالف العهد
فيا برق حدثني وأنت مصدق	عن الآل والأصحاب ما فعلوا بعدي
وعن «روضة المقياس» تجري خلاهما	جداول يسديها الغمام بما يسدي
إذا صاحبتها الريح زهواً تجعدت	حبائكها ، مثل المقدرة السرد
وإن صاحبتها الشمس رفت كأنها	مناصل سلت للضراب من الغمد

نعمت بها دهرًا ، وما كل نعمة
فوا أسفًا إذ ليس يجدى تأسف
إذ الدهر سمح والليالي سميحة
فتاة تريك الشمس تحت خمارها
حبتك بها الأيام ، إلا الى الرد
على ما طواه الدهر من عيشنا الرغد
ولمياء لم تخلف بليانها وعدى
إذا أسفرت ، والغض في معقد البند

هذه الأبيات القليلة ، تحمل أسمى معاني الحنين ، وأنبئ عواطف الوجد والشوق
وقد جمعت في فصاحتها ذلك الأسلوب الرصين المختال بين القديم والجديد ، فكأنك
تصغى الى نخامة امرئ القيس وروعته ، دون أن تشعر بيداوة ولا بتعقيد .

وهكذا كل شعر البارودى ، يختال في حلة قشبية من الروعة والفخامة ، لا يملك
القارئ نفسه وهو يلتهم تلك المعاني ، دون أن يقف مبهوراً معجباً ، مقدراً تلك الروح
التي سيطرت على مشاعره وحفزته ، وقفزت به الى الذروة في الوقت الذى كان فيه
المستوى الأدبى عامة يهبط الى الحضيض هبوطاً متواصلاً ، بسبب ركود الحركة
الثقافية ، وجمود الحركة الفكرية ، وتقلص الحياة الأدبية بصفة عامة .

ولعل أبرز النواحي في شعر البارودى ، تتجلى في نخامة منقطعة النظير لم يسبقه
إليها معاصر ولم يدانيه فيها مواطن ، هى :

شعره في الحنين الى الأهل والوطن . فقد كان يتكلم في صدق وحرارة وإيمان
لأنه كابد الغربة والأبعاد والفراق .

شعره في وصف الحرب ، فقد أبدع ما شاء له الابداع في وصف المعارك الحربية
وما يتخللها من أهوال وخطوب ، وجمع من حسن الوصف بين القديم والجديد .
فبينما تراه العربى البدوى المحارب بسيفه وسانه على ظهر جواده الأشقر أو المحجل
إذا بك تراه في صورة الجندى العصرى الحديث الذى ينحوض غمار المعارك الآلية
في عدته وعديده .

أما شعره في وصف البادية والصيد والقمص وحياة العروبة الأولى فقد بلغ فيه ذروة
الإجادة وقمة الابداع وهو ينقل قارئه من مكانه الوثير بين الولائد والوسائد الى صميم

القاع ، بالدهناء أو الصمان ويخلق به ما شاء له التحليق في مختلف تلك الربوع بين المضارب والخيام ، وفي حياة الصيد والقتل ، والأكل والشرب ، واللذة والنعمة ، حتى إذا انتهى القارىء من استعراض القصيدة وأفاق من حلمه اصطدم بالحقيقة الواقعة ، فإذا هو لم يبرح مكانه . وإذا به إما في أضغاث أحلام ، أو في صحبة خيال شاعر .

ولن أطيل بالقارىء الكريم ، فسأثبت فيما يلي قصيدة واحدة ، من غرر قصائد البارودى جمعت تلك النواحي الثلاث التى أثرت في شعره ، والتى ذكرتها آنفاً ، مضافاً إليها ما امتاز به البارودى من رقة الغزل ، وحلو النسيب ، وجمال التشبيب :

قال ، رحمه الله ، فى قصيدة يعارض بها قصيدة النابغة الذبياني المشهورة التى مطلعها :

من آل مية راعٍ أو مغتدى
عجلان ، ذا زاد وغير مزود

قال البارودى فى قصيدته :

ظن الظنون : فبات غير موسد	حيران يكلاً مستنير الفرقد
تلوى به الذكرات حتى أنه	ليظل ملقى بين أيدي العود
طوراً يهم بأن يزل بنفسه	سرفاً ، وتارات يميل على اليد
فكأنما افترست بطائر حلمه	مشمولة ، أو ساغ سم الأسود
قالوا غداً يوم الرحيل فمن لهم	خوف التفرق أن أعيش إلى غد
هى مهبجة ذهب الهوى بشغافها	معمودة ، إن لم تمت فكأن قد
يا أهل ذا البيت الرفيع مناره	أدعوكموا يا قوم ، دعوة مقصد
إني فقدت اليوم بين بيوتكم	عقلى ، فردوه على لأهتدى
أو فاستقيدوني ببعض قيانكم	حتى ترد إلى نفسى أو تدى
بل يا أخا السيف الطويل نجاده	إن أنت لم تحم النزيل فأغمد
هذى لحاظ الغيد بين شعابكم	فتكت بنا خلساً بغير مهند

من كل ناعمة الصبي بدوية
هيفاء أن خطرت سبت وإذا رنت
يخفضن من أبصارهن تحتلا
فإذا رأين أبا الشباب سلبنه
وإذا لمحن أبا المشيب قلينه
فلئن غدوت ذرية لعيونها
ولقد شهدت الحرب في إبانها
يتقصف المرات في حجراتها
عصفت بها ريح الردى فتدفقت
مازلت أطعن بينها حتى اثنت
ولقد هبطت الغيث يلمع نوره
تجوى به الأرام بين مناهل
بمضمّر أرن كأن سراته
خلصت له اليمنى ، وعم ثلاثة
فكأتما انتزع الأصيل رداءه
زجل يردد في اللهاة صهيله
متلفتاً عن جانبيه يهزه
وإذا أطعت له العنان رأيته
يكفيك منه إذا استحسن نبأه
صلب السنايك لا يمر بجلمد
نعم العتاد إذا الشفاء تقلصت
ولقد شربت الخمر^(١) بين غطارف

ريا الشباب سليمة المتجرد
سلبت فؤاد العابد المتشدد
للنفس مثل القاسات العبد
ورمين مهجته بطرف أصيد
وسترن ضاحية المحاسن باليد
فلقد أفل زعارة المتمرد
ولبئس راعى الحى إن لم أشهد
ويعود فيها السيف مثل الأدرد
بدم الفوارس كالآتى المزبد
عن مثل حاشية الرداء المجسد
في كل وضاح الأسرة أغيد
طابت مواردنا ، وظل أبرد
بعد الحميم ، سبيكة من عسجد
منه البياض إلى وظيف أجرد
سلباً ، وعب من الضحى في مورد
رفعاً كزممة الحى المرعد
مرح الصبي ، كالشارب المتغرد
يطوى المهامه ، فدفاً في فدفاً
شداً كمعمعة الاباء الموقد
في الشد ، الأرض فيه بجلمد
يوم الكريهة في العجاج الأربد
شم المعاطس كالغصون المبد

(١) المعروف عن البارودى أنه لم يشرب الخمر إطلاقاً ، وإنما جرى على سليقة الشعراء في المفاخرة باللهو والشراب ، وليس منهما فى شىء .

يتلاعبون على الكؤوس إذا جرت
لا ينطقون بغير ما أمر الهوى
من كل وضاح الجبين كأنه
بل رب غانية طرقت خباءها
قالت وقد نظرت إلى فضحتي
فمسحتها حتى اطمأن فؤادها
وخرجت أحترق الصفوف من العدى
فلنعم ذاك العيش لو لم ينقضى
يرجو الفتى في الدهر طول حياته
لعباً يروح الجد فيه ويغتدى
فكلامهم كالروض مصقول ند
قر توسط جنح ليل أسود
والنجم يطرف عن لواحق أرمد
فارجع لشأنك فالرجال بمرصد
ونقبت روعتها برأى محصد
مثلثاً ، والسيف يلعب في يدي
ولنعم ذاك العيش ما لم ينقد
ونعيمه ، والمرء غير مخلد

ولم يقتصر مذهب البارودى فى الشعر ، على النواحي التى ذكرناها — وإن كانت
أبرزها — بل أضاف إليها الغزل الصادق الذى ينبم عن عاطفة مشبوبة ووجدان رقيق ،
وحين تقول « الغزل الصادق » لا نقصد أن ذلك الرجل الكبير الوقور ، كان قد
أغرم بغادة من الكواعب الأتراب أو بغانية من القاتنات الغيد ، وإنما يتجلى صدق
غزله فى صدق عاطفته ، فهو ذو نفس حساسة جياشة وعاطفة مترنحة شاعرة ،
ووجدان صارخ مشبوب وقد بعث ذلك كله فناً رائعاً فى شعره يتجلى فيما ترجم عنه
ببيانه العتيد من بلاغة وفصاحة ، فجاء شعره غنائياً وجدانياً مرقصاً . ولو فطن أولئك
المغنون الذين يثقلون الأسماع بالمعانى المبتذلة والأغاني الرخيصة الممجوجة ، التى لا حياة
فيها ولا حس ، لوجدوا كنزاً من أنفس الكنوز وثروة من أغلا الثروات هى فى
متناول أيديهم من الشعر الغنائى للبارودى ، وهو شعر لا تنقصه رقة الغزل ، ولا
روعة الحكمة . ولوجدت الشعوب العربية فيه مدرسة حديثة تقتحم كل منزل ،
وتغزو الأسماع والقلوب بما يغذيها ويطربها فى آن . ويظهر نفوسها من عبث العابثين
من صغار العقول والأحلام .

أجل ، إن الغناء المنتشر الآن إن تواضعنا فى وصفه وأغضينا عن سوائه ،

وما يبثه في مختلف البيئات من ألوان الفجور والتهتك ، فإنه عديم الجدوى — على الأقل — فأين منه مثل هذا الشعر الحى الذى ينبض بأسمى المعانى وأنبى العواطف وأعلا المثل ، علاوة على ما يبثه في مستمعيه من ملكة الذوق وحسن التمييز وسمو المعنى .

إستمع إلى البارودى ، وهو يردد ما يقول :

بناظر كفتان آمنت بالسحر	وهل بعد إيمان الصباية من كفر
فلا تعتمد بالمجر قتل مقيم	فان المنايا لا تزيد عن الهجر
فلولاك ما حل الهوى قيد مدمعى	ولا شب نيران اللواعج فى صدرى
وإنى على ما كان منك لصابر	لعلمى إن الفوز من ثمر الصبر
فليت الذى أهدى الملامة فى الهوى	توسم خيراً ، أو تكلم عن خبر
رأى كفى لا يستفيق فظن بى	هناة ، وسوء الظن داعية الوزر
وماذا عليه وهو خال من الجوى	إذا همت شوقاً أو ترنمت بالشعر ؟!
فإن ألك مشغوفاً فذو الحلم ربما	أطاع الهوى ، والحب من عقد السحر
وأى امرئ يقوى على رد لوعة	إذا التهب أربت على وهج الجمر
على أننى لم آت فى الحب زلة	تغض بذكرى فى المحافل أو تزرى
ولكننى طوفت فى عالم الصبي	وعدت ولم تعلق بفاضحة أمرى
سجية نفس آثرت ما يسرها	وللناس أخلاق على وفقها تجرى
ملكيت يدي عن كل سوء ومنطقى	فعثت برىء النفس من دنس الغدر
وأحسن ظنى بالصدى وربما	لقيت عدوى بالطلاقه والبشر
فأصبحت مأثور الخلال محبباً	إلى الناس مرضى السريرة والجهر

أجل ، سيدكر البارودى بشعره ، وستذكره به الأجيال مهما تقادمت وأمعنت فى القدم . وهل وصف الهرمان فى مصر بأبلغ مما وصفهما به البارودى فى قوله :

سل الجيزة الفيحاء عن «هرمي» مصر
بناء ان ردا صولة الدهر عنهما
أقاما على رغم الخطوب ليشهدا
فكم أمم في الدهر بادت وأعصر
تلوح لآثار العقول عليهما
رموز لو استطلعت مكنون سرها
فما من بناء كان أو هو كأن
يقصر حسناً عنهما صرح «بابل»
فلو أن هاروت انتحى مرصديهما

لعلك تدري غيب ما لم تكن تدري
ومن عجب أن يغلبا صولة الدهر
لبانيهما بين البرية ، بالفخر
خلت وهما أعجوبة العين والفكر
أساطير لا تنفك تتلى إلى الحشر
لأبصرت مجموع الخلائق في سطر
يدانيهما عند التأمل والخبر
ويعترف «الإيوان» بالعجز والبهر
لألقى مقاليد الكهانة والسحر

ومن غناؤه الطريف القطعة التالية التي يختصمها بحكمة المؤمن الصابر ، في قوله
« والله مع الصابر » وفيها يجمع بين الغزل الرقيق وبين الحكمة المترنة التي لا تتأني
لكل محب مفتون ، متشبيب مدفوع :

ما أطول الليل على الساهر
يا مخلف الوعد ألا زورة
تركتني في غمرات الهوى
ألمح في قلبي ديب المني
فتارة أهدى من روعتي
وبين هاتين شبا لوعة
فهل إلى الوصلة من شافع
يا قلب لا تجزع فان المني
وهذه قطع أخرى من شعره الغنائى :

أما لهذا الليل من آخر
أقضى بها الحق من الزائر
في لج بحر بالردى زاهر
والمح الشبهة في الحاطر
وتارة أفزع كالطائر
لها بقلبي فتكة الشائر
أم هل على الصبوة من ناصر
في الصبر ، والله مع الصابر

ألا متى كفى الملام عن الندى
فلولا سرى البدر المنير لعاقه
أحاوله من رحلة وسفار
عن التم لبث في مغيب سرار

لعمري أليك ما خفت حصاني لنازلة ولا ارتعد الفريص
وما قصرت في طلب المعالي ولكن ربما خاب الحريص

أين ليالينا بوادي الغضا ذلك عهد ليته ما انقضى
كنت به من عيشتي راضياً حتى إذا ولي عدمت الرضا
أيام لهو وصبي كلا ذكرتها ضاق على الفضا
فآه من دهر بأحكامه جار علينا وقضى ما قضى
أى قناغ من شباب سرى وأى ثوب من نعيم نضى
قد بيض الأسود من لمى ياليتيه سود ما ييضا
عهد كطيف زار حتى إذا أشرق صبح من مشيبي مضى
ما كان إلا كنسيم سرى وعارض غام وبرق أضا
ولى ولم يعقب سوى حسرة بين الحشى كالصارم المنتضى
قد سرنى حين أتى مقبلاً وساءنى حين مضى معرضاً

أما القصيدة التالية ، فهي أعجوبة من أعاجيب النظم ، أراد بها أن يذلل من
الألفاظ كل عصي شمس ، وأن يحشد في ألفاظها أجمل معاني الحكمة الممزوجة
بالعاطفة ، وأصدق أوصاف الحياة وشؤونها المختلفة المترامية قال :

لا يدرك الغاية القصوى سوى رجل ثبت العزيمة ماض حيث ينخرط
إن مسه الضيم ناجى السيف منتصراً أو همه الأمر لم يعلق به الثبط
فاقذف بنفسك في أقصى مطالبها إن النجاح بسعى المرء مرتبط
قد يظفر الفاتك الأولى بحاجته وليس يدركها الهيابة الخلط
وإن شأئتك المنى فاقنع بأقربها فليس في كل حين يدرك الوسط
لا تغفلن إذا أمنية عرضت فانما العيش في هذا الورى لقط
إني وإن كانت الأيام قد أخذت منى وأخنى على الضعف والشمط

فقد أزود السبتي عن فريسته
وأصدع الجيش والفرسان من مرح
فما بنصلي إن لاقى ضريبته
ورب يوم قصير العمر قصره
كأنما الوحش من تلهاب حمرة
ترى بها القوم صرعى لا حراك بهم
وليلة ذات تهتان وأندية
لف الغمام أقاصيها بيردته
بهماء لا يهتدى السارى بكوكبها
يكاد يجهل فيها القوم أمرهموا
يطغى بها البرق أحياناً فيزجره
كأنما البرق سوط والحيا نجب
كأنه صارم يرفض من علق
مزقت جلبابها بالخيول طالعة
وقد تخلل خيط النور ظلمتها
كأنها وصديق الفجر يصدعها
ومربع لنسيم الفجر هينمة
كأنما القطر در في جوانبه
وللنسيم خلال النبات غلغلة
والريح تمحو سطوراً ثم تثبتها
وللسماء خيوط غير واهية
كأنها وأكف الريح تضربها
فالضوء محتبس والماء منطلق

وأخفاً البطل الحامى فأختبط
تحت العجاج بأطراف القنا نخط
نكل ولا في جفيري أسهم مرط
جرى السوابق والوخادة النشط
مبدداً تحت أشجار الغضا خبط
كأنهم من عتيق الحمر قد سقطوا
كأنما البرق فيها صارم سلط
وأنهل في حجرتها وابل سبط
من الغمام ولا يبدو بها نمط
لولا صهيل جياذ الخيل واللغظ
مخرنظم زجل من رعدا حمط
يلوح في جسمها من مسها حبط
بالأفق يغمد أحياناً ويخترب
مثل الحمام في أجيادها العلط
كما تخلل شعر اللمة الوخط
من جانب أدهم قد مسه نبط
فيه وللطير في أرجائه لغط
يكاد من صدف الأشجار يلتقط
كما تغفل وسط اللمة المشط
في النهر لاصحة فيها ولا غلط
تكاد تجمع بالأيدي فترتبط
سلوك عقد تواهت فهي تنخرط
والجو منقبض والظل منبسط

وهذه قطعة أخرى يمزج فيها بين رقة الغزل ، وصدق الوصف وروعة التشبيه والتشبيب :

أترى الحمام ينوح من طرب معي ما للنسيم بليلة أذياه
بل ما لهذا البرق ملتهب الحشا لم أدر هل شعر الزمان بلوعتي
فالغيث يهمني رقة لصباقي خطرات شوق ألهمت بجوانحي
وجوى كأطراف الأسنة لم يدع يا أهل ذا النادى أليس بكم فتي
أبكي فيرحمني الجماد ولا أرى فإذا دعوت بصاحب لم يلتفت
ومن العجائب إنني أشكو الهوى قد طالما يا قلب قلت لك احترس
أوقعت نفسك في حبائل خدعة يا ظبية « المقياس » هذا مدمعي
إن كان لا يرضيك إلا شقوتي أنا منك بين صباية لا تنقضي
فثقي بما تمليه ألسنة الهوى لا تحسبي قولي خديعة ماكر
إني لأفنع من هواك بنظرة هذى منأى وحبذا لو نلتها
وهذه كتلك :

هل من فتي ينشد قلبي معي بين خدور العين بالأجرع

كان معى ثم دعاه الهوى
 فهل إذا ناديت به باسمه
 هيهات يلقى رشداً بعدما
 فيا دموع القطر سيلي دماً
 وأنت يا نسمة وادى الغضا
 وأنت يا عصفورة المنحنى
 وأنت يا عين إذا لم تنفى
 صباية أغرت على الأسى
 ويلاه من نار الهوى إنها
 أبيت أرعى النجم فى سدفه
 لا أهتدى فيها إلى حيلة
 طوراً أدارى لوعى بالمنى
 فهل إلى الأشواق من غاية
 لا تأس يا قلب على ماضى

وها هو ذا يعود مرة أخرى إلى ما ألفه من مواقع الكر والفر والطعن والضرب :

أخذ الكرى بمعاقد الأجفان
 والليل منشور الدواب ضارب
 لا تستبين العين فى ظلماتها

 فالبر أكدر والسماء مريضة
 والخليل واقفة على أرسائها
 وضعوا السلاح إلى الصباح وأقبلوا
 وهفا السرى بأعنة الفرسان
 فوق المتالع الربى بجران
 إلا اشتعال أسنة المران
 والبحر أشكل والرماح دوان
 لطراد يوم كريمة ورهان
 يتكلمون بالسن النيران

حتى إذا ما الصبح أسفر وارتمت
فإذا الجبال أسنة وإذا الوها
عيناى بين ربي وبين مجان
د أعنة والماء أحمر قان

ولما تداعى القوم واشتبك القنا
وزين للناس الفرار من الردى
ودارت بنا الأرض الفضاء كأننا
صبرت لها حتى تجلت سماؤها
ودارت كما تهوى على قطبها الحرب
وماجت صدور الحيل والتهب الضرب
سقينا بكأس لا يفيق لها شرب
وإني صبور إن ألم بي الخطب
ونختم هذا البحث بقطعة نفيسة من الشعر الوصفى للبارودى منها :

رمت بنخيوط النور ، كهربة الفجر
وسارت بأنفاس الحائل نسمة
فقم نغتم صفو البكور فانها
ففي الجو هتان يسيل وفي الثرى
غمaman فياضان هذا بأفقه
وقد ماجت الأغصان بين يد الصبا
كأن الندى فوق الشقيق مدامع
مروج جلاها الزهر حتى كأنها
وقد شاقنى والصبح فى خدر أمه
هتفن فأطربن القلوب كأنما
وقام على الجدران «أعرف» لم يزل (١)
تخايل فى موشية عبقرية
ونادى المنادى للصلاة بسحرة

ونمت بأسرار الندى ، شفة الزهر
بليلة مهوى النيل ، عاطرة النشر
غداة ربيع زهرها باسم الثغر
سيول ترمى بين أودية غزر
يسير ، وهذا فى طباق الثرى يسرى
كما رفرفت طير بأجنحة خضر
تجول بنجد ، أو جمان على تبر
سماء تروق العين بالأنجم الزهر
حنين حمامات ، تجاوبن فى وكر
تعلمن ألحان الصباة من شعرى
يبدد أحلام النيام ولا يدرى
مهدلة الأردن سابعة الأزهر
فأحيا الورى من بعد طى إلى نشر

(١) يقصد الديك الذى ينبه للقيام فى المزيغ الأخير من الليل .

فبادر لميقات الصلاة ، ومل بنا
إذا ما قضينا واجب الدين حقه
ألأرب يوم كان تاريخ صبوة
لدى روضة ريا الغصون ترقرت
ترى كل ميلء الخمار من الصبي
إذا انفتلت في حاجة خلت جوذراً
لوى قدها سكر الخلاعة والصبي
وعلمها وحى الدلال كهانة
أحست بما فى نفسها من ملاحه
فتاة يحول السحر فى لحظاتها
إذا نظرت أو أقبلت أو تهملت
فيا سامح الله الشباب وان جنى

إلى القصف ما بين الجزيرة والنهر
فليس علينا فى الخلاعة من وزر
مضى ، غير إثر فى الخيلة ، أو ذكر
معاطفها ، رقصاً على نعمة القمرى
هضيمة مجرى البند ، ناهدة الصدر
أحس بصياد ، فأتلع من دعر
فمالت بشطر ، واستقامت على شطر
فان نطقت جاءت بشيء من السحر
فتاهت علينا ، والملاحه قد تغرى
مجال المنايا فى المهنده البتر
فويل مهاة الرمل ، والغصن ، والبدر
على ، وحيا عهده سبل القطر

الذين فروا من الميدان

شاعر من فحول الشعراء في العصر الحديث ، جمع في شعره بين طرافة الشعر القديم ، وطلاوة الشعر الجديد ، عربي الأسلوب رصين التركيب ، ذلكم هو الصديق الكبير الأستاذ خير الدين الزركلي ، الذي عرفته العربية شاعراً وأديباً ، ومؤلفاً ، وبحاجة . أين هو الآن ؟!

لقد طغت عليه السياسة ، وامتلكته الوزارة ، وعزفت به الدنيا عن ذلك العالم الذي كان يعيش فيه !! فإذا أنت نشدته لم تجده في مكان ما ، فقد تجده طائراً ، « موكلًا بفضاء الله يذرعه » حقيقة لا مجاز فيها ، وإن كان صاحب هذا القول ، أطلقه - يوم أطلقه - على سبيل المجاز ، ولم يخطر في باله أن مجازه هذا سيصبح حقيقة واقعة مع الأيام بقدره الله تعالى وعلمه .

عرفت الأستاذ خير الدين الزركلي زميلاً كريماً في المهنة - مهنة الأدب - منذ ربع قرن من الزمان في بدء حياتي الأدبية ، وما زلنا نفترق ونلتقي ، وإن اختلف الفراق واللقاء ، فقد جمعنا محور واحد هو العمل في ممتلكتنا السعودية ، في خدمة مولاي صاحب الجلالة .

كان الأستاذ خير الدين يطرب العالم العربي ، ويشجيه ، بأغاريده من عيون الشعر ، تنهأها الصحف العربية ، وبأهازيج من السحر تتناقلها الأفواه ، وتطرب لها الآذان ، ويتعلم منها طلبة الأدب الرفيع أرق أساليب الأدب والشعر ، ثم ترك ذلك كله الأستاذ الزركلي الأديب ، لينزوي عن الناس في ظل السياسة وحجبها وغيومها وترك معه ذكريات عن أدبه ، تجلت بها مؤلفاته وديوانه الذي لم يعنى بطبعه طبعة ثانية بعد أن انقرض من الدور والمكاتب ، وأوشك أن ينقرض من الأذهان . وإذا كنا لا نطمح في أن نرجع بالأستاذ الزركلي عن حياته الحاضرة ،

إلى حياته الغابرة ، فلا يمكننا أن نثنى طموحنا — وهو طموح مقترن بالأمل والرجاء —
في أن يتصل مشكوراً فيضيف إلى ذكرياتنا الغابرة أملاً جديداً ، ويعيد النظر
في آثاره الأدبية ، ويدفع بها إلى « المطبعة العربية » لتعطينا صورة من ذكريات
عهد مضى من عهود الشباب ، وأيام الصبا ! وإنه لفاعل إن شاء الله .

ولو كانت تحت يدي تلك الآثار الأدبية الرائعة الآن ، لحشوتها أو حشوت
بعضها في هذه الصفحات ولكنني أكتفي الآن بهذا العتاب لا التهديد — والرجاء —
لا الوعيد — حتى لا أفاجئه بمطبوعات وقد بعثت منشورة من جديد !!

هذا أحد الذين فروا من الميدان الأدبي ، أما الثاني ، فهو الصديق الكبير ،
سعادة الأستاذ فؤاد الخطيب الوزير المفوض للمملكة العربية السعودية في أفغانستان
وقد عرفته منذ حقبة من الزمن ، لا داعي لتحديد لها !!

لقد عرفته ، منذ عرفه العالم العربي ، شاعراً مغرداً على هضاب الجزيرة ،
وطائراً محلقاً فوق أفنانها وأغصان رياضها ، تتجلى في شعره روعة الحماسة وصدق
الوطنية ، والغيرة المتوقدة على التراث العربي العتيق ، والمجد الاسلامي التليد . كان
يرسل الشعر سحراً ، ويفيض بالقول بياناً ونطقاً ، فييده الناس بشعر لا عهد لهم
به ، شعر مشرق الديباجة ، فصيح العربية ، قوى التركيب والبناء ، جزل اللغة ،
ضخم المعاني ، جمع بين فلسفة الحياة ، واستشفاف ما يهيم من مراميها وأهدافها ،
وبين صدق التصوير ورقة الابداع وسلامة النوق ودقة الاشارة .

أجل ، لقد كان فؤاد الخطيب طائراً محلقاً كالنسر بجناحيه العظيمين ، يرسل
الشعر في قصائده الفخمة الجليلة ويطلق بمعانيه من المواضيع ما هو متعلق بصميم
الأمة العربية وكيانها تارة بالتصريح وطوراً بالتلميح حتى اعتدت عليه الحياة ، وجرفته
فيمن جرفت من البشر ، فإذا بالشاعر يختفي من عالم الشعر وإذا بميدان الأدب ،
يقفر من أدبيه الكبير . وإذا بالناس جميعاً يتساءلون ، فلا يظفروا بجواب عن هذا
التساؤل ، إلا الذين يعرفون الشاعر معرفة شخصية خاصة ، ويعرفون منها أنه فارق

ميدان الأدب إلى ميدان السياسة ، وأنه يشغل الآن منصب الوزير المفوض للمملكة العربية السعودية في أفغانستان .

ولشد ما أهدت بالصديق الكبير ، أن يجود على الأدب العربي ، وعلى رواه ومحبيه ، بما أسلف للأمة العربية من صرخات أصبحت فيها براكين الجذوة والحماس ، ودوت في عالمها الماضي وملاّت الخافقين ، ثم نسيت من الأذهان لأنها لم تقيد في ديوان ، ولم تجمعها دفتان !!

ولقد ظفرت منه بموعد قاطع لا أظنه ينساه ، ولا أظنه عند قول القائل :

« لمنجز إيعادي ، ومخلف موعدى »

وإنما أكره الظن ، أن مهام منصبه ، ومهام الحياة أخرته بعض الشيء عن تذكر وعده الذي قطع به العهد على نفسه بأن يبادر إلى شعره فيقدمه « مطبوعاً » في متناول الأيدي وها أنذا فيما يلي أقدم بعض ما انتزعته من شعره ، واعتصمته منه ، ولو استطعت لحشدته كله في هذا المكان لولا استحالة ذلك .

مصيف الطايف

للمملكة العربية السعودية مصيف طبيعي هو (الطايف) تلك المدينة التاريخية التي هاجر إليها الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه وبها مدفن ابن عمه حبر الأمة عبد الله بن العباس ، وهي ترتفع من ستة آلاف قدم إلى عشرة آلاف ، وقد عرفت قديماً وحديثاً باعتدال المناخ ، وجودة التربة وخصوبة المرعى وعذوبة المياه . وكتب عنها الأمير شبيب أرسلان - رحمه الله - مؤلفاً خاصاً اسمه (الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف) حيث أتيح له أن يقضى بضعة أشهر مستشفياً ومنتجعاً للعافية وهي تبعد عن مكة بمسافة ١٢٠ كيلو متراً مصعدة في أبهى مناظر الطبيعة ومشاهد الصحراء .

وفيما يلي قصيدة من عيون الشعر ، للوزير الشاعر فؤاد الخطيب
قالها في وصف ذلك المصيف الفاتن الجميل :

أنا في الطائف أستوحى الشعور إن في الطائف بعثاً ونشور
روضة تضحك في أكمامها ضحك الساخر من صرف الدهور

ولقد حدثني رمانها إنه كان نهوداً في الصدور
وأرتني اللحظ في نرجسها وجلت لي في أقاحيها الثغور
وروى لي البان عن أعطافها إنه كان قدوداً وخصور
فلو اجتازت بها الروح لما كنت إلا بين ولدان وهور
ثرت في أرضها حباؤها درراً تنجم منها وشذور

ومشي الجدول في أرجائها كوثرأ يسبح فيها ويمور
جلس الزهر صفوفاً حوله وهو كالراح على الشرب تدور
كلما استضحك عن لؤلؤة هتفت في فنن الأيك الطيور
جل من ألهمها تسبيحها هكذا الجنة والعبد الشكور
سبحى أيتها الطير له واملاي في الدوح شدواً وجبور

جمع الملتف من أغصانها كنس الغزلان فيها والحدور
والصبا تخفق في أطرافها مثل ما يخفق في القلب السرور
فسل الطائف عن أيامنا تنطق الدار وأبراج القصور

وبطون القاع حامت حولها قم الهضب كأسراب النصور
والمروج الخضر في رأد الضحى لبست ثوبين من نور ونور

كم نفضنا الصدر من كل أذى ونسينا الصد والجد العثور
وقضينا اليوم في ظل الهوى ليت ذاك اليوم قد طال شهور
وغضيض الأثل عن إيماننا كعذارى الحى أرخين الشعور

وخلونا بين أحشاء الربى خلوة الورق جثوماً في الوكور
وتشاكيننا تباريح الجوى حولنا الوسن مستحى غيور
نجمل القول على علته ونسيم الروض في الروض نفور
نجنينا الغض من أوطارنا وحظوظ الناس ويل وثبور

وأبى العوسج إلا فتنة فأرر الشوا بألواذ الصخور
رصد الغفلة أن يعلق بي علق الفاجر بالعف الوفور
طبعه الوخز إذا استشهدته قبح العوسج من شاهد زور

كم وثبنا غلس الليل معاً وثبة البرق خفاء وظهور
نملاً الأيدي منا بعتة ثم تخفيننا الزوايا والستور
ملعب تعمره الروح فما فيه إلا نحن والروح حضور
أشرق البدر علينا ورنث نحونا الأنجم كالأعين حور
ولبثنا ساعة أو شيعها تتعاطى الكأس من غير فتور
ويد تمسك منا بيد تقصد الرعشة فيها وتجوور
وفم فوق فم تسمع من وقعه اللثمة ترى فتثور
تصعد الزفرة من أثنائها خلل الأنفاس كالمدر تفور

نحن لا نصبر عن حكم الهوى إن عدت الصبر من عزم الأمور
نخذ العفو من الذنب فكم زلة يغفرها الله الغفور

مرحباً بالفجر والصوت الذى قرع السمع بشيراً بالبكور
ولقد خطت يد الله على صفحة الكون من الخلق سطور
لفظ المقدار منهم آية بعد أخرى ملأت سمع العصور
فانهب اللذة فى إبانها وذر الغافل عنها فى غرور

ودع النوم وإن لج الكرى فغداً تشبع نوماً فى القبور
تطبق الأجفان فى ظلمتها وهى لا تعرف للصبح سفور

نشيد الخلود

وهذه قطعة أخرى من قصيدة للشاعر :

نظر المشيب إليك قبل أوان فرزحت تحت غوائل الأشجان
ودعت يومك فاستبد بك الأسى جزعاً تعض عليه كل بنان
ونفضت ثوبك منه أشعث محققاً نفث العقاب الطل فوق رعان

فاهزأ بدهرك مقبلاً أو مدبراً إن ضاق ذرع سواك بالحرمان
كم نظرة لك إن عبست كأنها قبس تهافت عن شبة سنان

إن الذى تبديه أنت تملأ هو ما استعنت عليه بالكتمان
سبى التفكير كيف كنت وما الذى سأكون بعد تطاول الأزمان

ولقد هبطت الأرض أسفح دمة هي دمتى الأولى من الحدثان
ولسوف أختم الحياة ببصقة وأمد خلف رشاشها بلسانى

أأتساغ فوق المهد كل رغبة وأباح تحت اللحد للديدان؟!
وأجول فى الأرحام تسعة أشهر وأزول عند الموت بعد ثوان
ما أبطأ الدنيا وأعجل ما انتهت وأشد ما صدع البناء البانى

الشهيد العربى المجهول

وهذه صرخة مدوية ، وأنة موجعة جمعت بين الأسى والشجن ،
وبين الحكمة وصدق النظر ، قال الشاعر :

يا جيرة البان مهلا اسأل البانا هل فيه أى صدى من رجوع شكوانا
فكم تهدلت الأفنان مصفية إليه وانتفض النوار يقظانا
والتفت الورق أسراباً مصفقة على الكئيب تبث الوجد ألحانا
والريح تهمس فى الآذان ملهمة والزهر ينصب للالهام آذانا

تلك الملاعب أقوت وانطوت حجج أمست جوى وضى برحا وأشجانا
تسربت فى حنايا الصدر فانعقدت همماً تشب به الأنفاس نيرانا

هى الهموم فسل عنها الخبير بها إن الهموم تصب الويل ألوانا
تالله لو فعلت فى الجسم ما فعلت فى النفس لم يعرف الإنسان إنسانا
وأصبح الخلق غير الخلق من صور شنعاء تمسخهم شيباً وولدانا
حتى الطبيعة تلقاهم فتكرهم وإن رأت قبلهم جنأ وغيلانا

غيظ تفجر أحقاداً وأضغاناً
في وجه إبليس ، صخاباً ولغاناً
سمج ، وكل وقاح لج تبياناً
مستوفزين لجمع السحت وحدانا
كالشرك ، يرفع أنصاباً وأوثاناً

فليتق الله قوم بين أضلعهم
أهوت بهم لعنة الأجيال تقذفهم
وحولهم ضجة من كل ذى ملق
مستهترين فما يخشون من شطط
يمشون في الغي والأهواء ترفعهم

فاجمع لديك من الغوغاء أعوانا
تصبح فتى الشرق تطيلاً وإعلانا
من هوسة القوم صوت المدح رنانا
من فوق شذقيه يخفى الدجل إتياناً
حد التشنج ضج القوم إيماناً
على الطريق مشاة فيه ركبانا
إلى العواقب حتى كان ما كانا
ذرعاً ، فحسبك وابغ الدن والحنان
فكم صبت إلى الصهباء ظمآننا
من منعم وسع الأكوان غفرانا

فإن أردت بعيد الذكر من أمم
واهتف وعربد وقل ماشئت ثرثرة
واضرب على الوتر الحساس مغتتما
وكم هنالك دجال له زبد
يبدى الحماسة إرغاء فإن بلغت
وكم شهدت جموع الناس مطبقة
تترى المواكب والأبصار شاخصة
ولو كشفت عن الأسرار ضقت بهم
واصدع همومك بالصهباء صافية
والعفو أقرب ما استدנית من أمل

ويملاً الفم بالتسبيح بهتاناً
فقد شربت دماء الناس طغياناً
وأينا كان عند الله أشقانا
عجبت كيف قذى عيني قد باناً
من فرط ما احتملت بغياً وعدواناً
عنفاً تجيش به الألفاظ أحياناً
عليك أو خلقاً وعراً وخذلانا

يا من يعيرني بالكأس أرشفها
لئن شربت دم العنقود عن سفه
فأينا احتقب الأوزار موبقة
أأنت والجدع في عينيك معترض
صبراً على العصبة المزور جانبها
وكيف تنقم منها عند محنتها
ولحة شذرة أو لفقة ثقلت

فانظر إلى النسم العالوى منطلقاً
فإن هو انحط منها اعتل من كمد
فاندس تحت ذيول الأيك محتباً
فكيف بالنفس من عليها انحدرت
فوق الجبال يحجر الذيل نشوانا
وارتد ملتهب الأنفاس ولهانا
وانسل بين زوايا الصخر حيرانا
والنفس أصدق إحساساً ووجدانا

فإن يكن حظ أهل الدس طنطنة
فالشمس تظهر للعينين قد نقصت
وكان حظ سرى النفس حرمانا
لدى الكسوف، وتأبى الشمس نقصانا

ويح السياسة كم طاش الدهول بها
فاستضحكت كل أرض وهى هازئة
فصورت من بغاث الطير عقبانا
بذى الجناح يشق الجو غضبانا
إلا على أهلها الألعاب خسرانا

يا بنت يعرب كم من موجع دنف
يدود عنك خفى الحتل منغمساً
لم تذكره فلم يجحدك نسيانا
فى الهول يحمل ما يرضيك جذلانا
شبت وأمعن فيه السيف إثنانا
بالعجب واحتمل الآلام كتماننا
وأنت يلهيك عنه الصائحون معاً
يا ويح جنديك المجهول منجدلاً
قدمات دونك لم يمتن عليك يداً
قلم يجشمك عبء المن منتفخاً
خبأ فتناً إعراضاً وهجرانا
على الصعيد سلب الثوب عرياناً
ولم ينل منك عند الموت أكفانا

مهلاً فصبحك والتاريخ يوم غد
سيرفغان غشاء يسدل الآنا

شعر البادية

لا يفوتنا ونحن نستعرض طائفة من الشؤون الأدبية أن نتكلم عن الشعر في البادية .

فالشعر في البادية له نصيبه الوفور على السنة قائله من الشعراء كما هو الحال في أمثالها من بوادي البلاد العربية ، وهو شعر عربي فصيح وإن الشعر العربي الفصيح أشوق ما تكون الأسماع متلهفة عليه حين يصدر من رجل البادية الذي لم تتأثر عربيته بعجمة ، ولم يتطرق إلى فصاحته لكنة . ولكن أهو كذلك في البادية حقاً ؟ الواقع أن الشعر العربي في بادية نجد هو كغيره في مختلف البوادي من ناحية تشابه الأسلوب وتقارب اللهجات ، فالشعراء في البوادي ينطقون الشعر بلهجاتهم الخاصة التي هي وإن لم تتطرق إليها عجمة الأعاجم ، فقد غمرها تحريف في الألفاظ كاد يخرج بها عن لغة الشعر ، وليس ذلك وحده بل ساعده عدوان آخر هو التحرر من قيود الشعر وأوزانه المعروفة ودقة قوافيه ، إلى جانب القيود العلمية الأخرى المتصلة بفنون الشعر من نحو وعروض ، وصرف وبيان .

ومع ذلك فالشعراء في البوادي يرتجلون الشعر ارتجالاً على الأسلوب الأنف الذكر ، فيجيء حفيلاً بالمعاني المستساغة ، مليئاً بالأفكار والآراء ، وإن كان محرراً من بعض أوزان الشعر المعروفة ، على أن هناك طائفة من أهل البوادي ممن ارتادوا الحضر يحملون نفوساً شاعرة ، فتعدلت لهجاتهم فكان لذلك أثره في منظوقهم . وجاء منظومهم خالياً من التعقيد بعض الشيء . وقد أشار إلى ذلك سعادة الأستاذ فؤاد بك حمزة في كتابه « قلب جزيرة العرب » ، وأفرد له بحثاً طريفاً أورد فيه نماذج من شعر البوادي من صفحة ٩٩ إلى صفحة ١٠٥ فليراجعه من شاء المزيد من البحث ، وليست قصة علي بن الجهم ببعيدة عن أذهان الأدباء وقد عرفوا منها كيف دخل من البادية إلى بغداد وهو بدوي جاف يقول لأمرها في غير تعثر ولا تلثم :

أنت كالكلب في احتفاظك بالود وكالتيس في قراع الخطوب
حتى هم أن يبطش به رجال الأمير ، لولا أنه استمهلهم عليه حتى اجتاحت رقة
الحضر ، فعاد يقول :

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن المهوى من حيث أدرى ولا أدرى
ولقد كنت أريد أن أحشد في هذا المقام طائفة مختارة من الشعر الحميني الذي
يهز النفوس ويستثيرها ، لولا أن الثروة التي تحت يدي منه ، ليست من الغزارة
بالقدر الذي يروى نهم محبي المعرفة والاطلاع ، وإنني سأورد فيما يلي بعض ما يتسع
له المقام .

فهذه أبيات بلغت منتهى الحماسة ، وقد قالها أحد كبار الرجال السعوديين
في معركة معروفة بين آل سعود وآل رشيد ، كان النصر فيها حليف آل سعود :

يا هَلْ العوجا تلزلال طمرة في القصر ما دونه
ننطح العايل بعيال^(١) والخيار^(٢) لا تطيعونه
ربنا القصمان جهال^(٣) حربنا واتم تعرفونه

وهذه الأبيات قيلت أيضاً في نفس المعركة :

الحرب حنا الى نشب شعالمها
ورث^ه لنا من جدنا
وان عاد راعي زلة عدنا له
يبطى وهو يشكى الونى

(١) أى زرد المعتدى بأقوى .

(٢) والخيار ، أى المتقلب الذي هو تارة معك وتارة عليك .

(٣) القصمان هم أهل القصيم وجهال معناها أنهم يتجاهلون الموت ولا يخافونه .

وكان أحد القادة العرب جميل الطلعة ، فكان خصمه يعيره بهذا الجمال الذي يكاد يصمه بالأنوثة فقال القائد المليح متحمساً :

وحياة رب البيت منشى البنان لجوعنا وجموعهم ، ليتلاقن^١
وإذا ركبت كروش^(١) بنت الحصان على ردت خيلهم إلين يقفن^(٢)
وإذا اجتمع حسن وفعل يبانى جنة نعيم فى الحشا وان تلاقن
ومثل هذا حدث لأبى الطيب المتنبي الشاعر المعروف ، حيث كان يتحلى بخصلة غزيرة من شعره تتدلى على كتفيه فلما عير بها ، وقيل له : ما أحسن هذه الوفرة ، قال :
لا تحسن الوفرة حتى ترى منشورة الضفرين يوم القتال !
على فتي مشتمل صعدة يعلمها من كل وافي السبال
وهذه قطعة رقيقة من الشعر العاطفي النفيس ، لأحد الشعراء المعروفين :

يا طير يا طير خفاق الجناحين يا للى كما لامع البراق مسراه
ما شفت لى بايمن الديره أليفين فى وسط قصر تعلّى الناس مبناه
واحد حبيب لنا طلق الحجاجين^(٣) والآخر اللى طوال الدهر ما انساه
يا طير من عقبهم ما تمرح العين^(٤) دأئم وعينى تراعى النجم مسراه
والقلب يا طير شبت فيه تارين ما تنطفي «كود»^(٥) صافى الحد يلقاه
والدمع يا طير منى فوق خدين مثل النهر مآخذ فى القاع مجراه

(١) كروش اسم بيت من بيوت الخيل النجيبة .

(٢) يقفن أى ينهزموا .

(٣) طلق الحجاجين ، أى الحاجين .

(٤) من عقبهم ما تمرح العين ، أى من بعدهم ما تستريح العين .

(٥) «كود بمعنى « حتى » .

قعدت في روضة مثل البساتين وإيش لي بروض وخلى بس ما جاه
الله يسخر لنا شيخ الحجازين رجل بنايم من بالقلب ملجاه

وهذه قطعة أخرى نفيسة من الشعر العاطفي الرقيق :

يا حمد طالت على الليالى سار قلبي يا حمد كله جروح
ما نملك يا بعد كل غالى أنت ، لك في القلب مقدار ، والروح
مير (١) انا أخوك عزى لحالى أقضى الأيام بالدار واسطوح
أقلب سايحاً في خيالى تطلع النجمه وأنا فوق مسدوح
رحت للبصرة أدور تسالى ما يسلى القلب يا كود (٢) مملوح
إلا (٣) نظرتة يا حمد زان بالى وإذا لثمته يا حمد ردت الروح
هذاك مقصودى وهذاك مالى مانى بمليوم إلا قلت بنوح
الله يجمع شملنا يا حلالى لو ساعة في العمر من قبل ما اروح

ومن الأمثلة الطريفة التي نحب أن نوردها توكيداً لهذا البحث أبيات رقيقة من الشعر قالها نجدى من صميم البادية ، ولكن ليس من أمثال الذين عناهم الأستاذ فؤاد بك حمزة في صفحاته المشار إليها ، بل هو ممن عنيتهم في سياق العبارة المتقدمة عن شعراء البادية المتحضرين هو الشيخ عبد العزيز بن فوزان . وهذا شعره يخال أنه من تجديده كأنه أحد شعراء المهجر المعروفين ، قال :

سر حبيب القلب سبقها الرياحُ بالسلامه
واطو وسط الليل هاتيك البطاح والركامه
واترع الأقداح من نخب الملاح بالغمامه

(١) مير بمعنى غير أنى ، وعزى لحالى بمعنى يرثى لحالى .

(٢) يا كود مملوح ، أى ما يسلى القلب إلا مليح .

(٣) إلا بمعنى إذا .

واشد يا خلى ، وغرد للصباح يا حمامه
يا عروس الروض نادتك تهامه

عبق الدرب أريج من شذاك للرياض
واعترت مضناك سراء لقاءى بالتراضى
وانبرى طيفك بالدعج يحاكى ويقاضى
وتصايينا ، فكم قبلت فاكى والأراضى
تحتنا تطوى ولم نخش الفطامه

ذات دلّ ما رأّت عيناى أروع فى الجمال
وجنتها الوردة والثغر ترصع بالآلى
ريقها العسجد ، ويحى كيف يصقع وهو حالى
نفس فى صدرها مامنه مشبع فى الوصال
حبها حلو ولو فيه الندامه

يا رعى الله ليال طيبات فى ركابك
صفعت قلبي بأحلا الذكريات من صفائك
لا أراك الله صرف العاديات وسما بك
فوق أعلا الدرجات وبدارك
ضرب التوفيق والسعد خيامه



فهرس

صفحة

- ٣ مقدمة : بقلم سعادة الشيخ محمد سرور الصبان
٥ تعريف وإيضاح

التدر والفظاهة فى الأدب العربى

- ١٠ المحاضرة الأولى فى جمعية الاسعاف الخيرية بمكة المكرمة
١٦ المحاضرة الثانية بجمعية الاسعاف الخيرية بمكة المكرمة

من فرائض الأدب

- ١٢٤ الوفاء المتبادل
١٣٠ مهرجان الجن فى ولادة المتنبي
١٣٤ اختلاف المعانى
١٣٥ أثر الصحافة فى حياة الأمة
١٤٥ زهو الشعراء واعتزازهم
١٤٨ المتجردة
١٥٣ صفحة من أدب الأندلس
١٦٥ أقصوصة أدبية ظريفة
١٦٩ أنصفوا شيخ الشعراء
١٨٧ الذين فروا من الميدان
١٩٧ الشعر فى البادية

892.74:Sh522hA:...

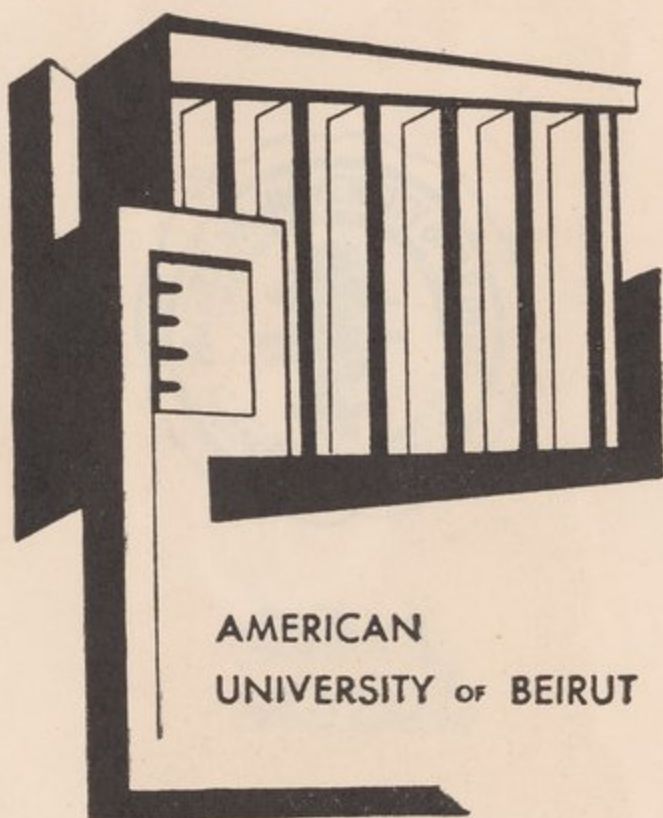
شاکر، فؤاد

حدائق وازهار

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01039226



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

892.709
Sh 532hA